اللهجات العربية

فى القراءات القرآنية

دكتور
عبده الراجحى
أستاذ العلوم اللغوية
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٩٥

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - إسكندرية
ت : ٤٨٣٠١٦٣

إلى الذى أعطانى كل شىء ..

ثم رحل لم يُرِدْ جزاء ولا شكورا ..

.. إلى أبى .. فى جوار رب كريم ..



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه

وبعد :

فإن القرآن الكريم حياة هذه الأمة ، لاتبتعد عنه لحظة إلا وتبتعد عنها معالم الحياة.

وإن حياة لغتنا العربية فى هذا الكتاب الكريم ، ولا يعرف التاريخ لغة اتصلت حياتها بكتاب مقدس كما تتصل حياة العربية بالقرآن .

ولا سبيل إلى فهم حياة هذه الأمة إلا بدرس كتابها ودرس لغتها التى عاشت فيه ، ولسنا نعرف درسا لغويا آصل ولا أعمق من درس يصل بين العربية والقرآن .

وليس من ريب فى أن القدماء قد قدموا لنا مجهودات عظيمة فى الدرس اللغوى للعربية ، لكن المصدر الأول الذى صدرت عنه هذه اللغة والذى لا تزال تصدر عنه حياتها هذه الطويلة — لما يزل فى حاجة إلى بيان .

وتلك محاولة لمثل هذا الدرس ، مجرد محاولة لفهم الواقع اللغوى للعربية قبيل الإسلام كما تمثله القراءات القرآنية ، وليس من شك فى أن القراءات تمثل منهجا فى النقل لا يصل إلى وثاقته علم آخر مهما يكن حتى منهج الحديث .

ولكن ماذا نقصد باللهجات العربية ؟ هل نقصد مايعنيه الدارسون المحدثون حين يتصدون لدرس اللهجات « العامية » ؟

وجلى أننا لا نقصد من بحثنا درساً لعاميات ما قبل الإسلام ، ذلك — أولا — لأننا لا نعرف شيئا عن هذه العاميات أو لا نكاد نعرف عنها شيئا ، و — ثانيا — لأن عنوان البحث ينفيه ، فالقراءات القرآنية لا تمثل شيئا من العامية ، ولعل الأصوب أن نقول إننا ندرس هنا « العناصر » التى تكون العربية الفصحى ، أو

الخصائص اللهجية التى تنتسب إلى قبائل بذاتها ثم دخلت الفصحى وصارت جزءا منها ، أى صار لها مستوى من الفصاحة يقرأ به القرآن وينظم به الشعر .

ولقد يقال إنه كان ينبغي ألا يكون عنوان البحث على ما هو عليه حتى يساير هذا الاتجاه الذى بيناه ، لكننا آثرنا أن نبقى هذا العنوان كى نقرر هذه الحقيقة ، وهى أن درس اللهجات العربية القديمة ليس درسا للعاميات كما يسبق إلى ظن بعض الذين كتبوا عن هذه اللهجات ، فالهمز والتسهيل أو الفتح والإمالة مثلا ليسا من العامية فى شىء ، وإنما هما مستوى من الفصاحة معروف مقرر لدى القدماء الفصحاء .

والنهج الذى اخترناه ، منهج لغوى وصفى ، لا يميل إلى شىء من التفسير المنطقى أو التعليل الفلسفى للظواهر اللغوية ، وأمل فى هذه « الوصفية » نصيبا من التجوز ، إذ نميل فى البحث إلى استعمال الظن الغالب حيث لا سبيل إلى شىء من يقين .

ولقد أدى بنا هذا المنهج إلى أن ندرس اللهجات العربية دراسة « بيئية » لادراسة « عنصرية » ، بمعنى أننا إذا أردنا أن نفهم ظاهرة لغوية تنتسب إلى قبيلة بذاتها فلن يكون فهمنا لها صحيحا باعتبار أن هذه القبيلة تنتسب إلى عدنان أو إلى قحطان مثلا ، ولكن باعتبارها تعيش فى بيئة معينة ، ولقد لحظنا أن القبائل التى تعيش حياة تحضر واستقرار تميل إلى طرائق فى اللغة تختلف عن تلك التى تميل إليها القبائل البادية ، لذلك قمنا بدراسة جغرافية وبشرية لشبه الجزيرة . ثم جمعنا القراءات القرآنية من مظانها ، واستخلصنا منها ما غلب على الظن وما أشارت المصادر إلى أنه من اللهجات ، ثم صنفنا هذه المادة التصنيف اللغوى الحديث ، بأن قسمنا الدرس اللهجى إلى مستويات أربعة صوتية وصرفية ونحوية ودلالية ، واجتهدنا فى نسبة الظواهر إلى بيئاتها مع استعمال الظن الغالب على ما بينا آنفا .

وغنى عن البيان أن مثل هذه الأبحاث اللغوية ينبغى أن تتجنب التزيد والتكثر ، لأننا فى مجال « علم » يتصل بالحقائق أو ما يغلب على الظن أنه من الحقائق . ومن ثم

خرج البحث على هذه الصورة الموجزة حيث لا مدعاة إلى شيء من إطناب .

ثم ختمنا البحث بأطلس لغوى اعتبرناه نتائج البحث ، جمعنا فيه العناصر اللهجية موزعة على أماكنها من شبه الجزيرة ، ولقد نجرؤ على الظن بأنه أول محاولة فى الدرس العربى . والذى لا شك فيه أن صعوبات كثيرة قد واجهتنا فى البحث ، لعل أولها وأهمها ذلك البعد الزمنى بيننا وبين اللهجات القديمة ، فدارس اللهجة ينبغى أن يكون معاصرا للهجة التى يدرسها ، أو على الأقل ينبغى أن تكون اللهجة «مسجلة» منطوقة ، أما وأن هذه اللهجات تبتعد عنا حقبة من الزمن تزيد على خمسة عشرة قرنا ، فإن محاولة الرصد والتحليل يكتنفها كثير من المخاطر .

ينضاف إلى ذلك أن المصادر القديمة فى اللهجات ضنينة بالأخبار ، وهى مع ذلك قليلة ، وأكثر هذا القليل مخطوط ، ولا يغيب عن أحد ما فى معاناة النص المخطوط من المشقة والجهد .

ثم إن التاريخ العام لشبه الجزيرة قبيل الإسلام غامض شديد الغموض ، وتاريخها اللغوى أكثر غموضا ، لأن هذا المكان — مع أنه المصدر الذى تصدر عنه حياتنا كلها — لم يجد بعد العناية من التنقيب العلمى المحقق ، فظل هذا التاريخ أساطير أو كالأساطير . والدراسات العلمية للواقع اللغوى الحديث فى شبه الجزيرة معدمة بيننا ، والعجيب أن الذين يقومون بها الآن هم الذين يحتكرون استغلال الزيت هناك .

ومع كل هذه الصعوبات ، لم نحجم عن المحاولة ، لأن هذه الصعوبات ينبغى أن تواجه ، وينبغى أن نجد الحلول العلمية ، ونحن ندرك أن الذى قدمناه قد يكون من الحقائق ، لكنه ليس الكلمة الأخيرة فى الموضوع ، بل سيظل معلقا رهن الدرس المنقب وما يأتى به من جديد .

ومع ذلك فلقد تكون هذه المحاولة خطوة على الطريق، ولعلنا يوما أن نعرف الطريق.

والله وحـــده ولى التوفيق ؟

الباب الأول

شـــبه الجزيرة العربيـــة

الفصل الأول

شبه الجزيرة : حدودها وأسماؤها

إن البحث اللغوى فى اللهجات العربية قبل الإســـلام يقتضينا أن نمهد له بدراسة ناحيتين مهمتين : —

١ — دراسة للبيئة الجغرافية لشبه الجزيرة العربية .

٢ — دراسة للقبائل العربية ومنازلها من شبه الجزيرة .

ودراستنا للبيئة الجغرافية لشبه الجزيرة العربية ، ليست دراسة جانبية أو ثانوية، بل لعلنا نعتبرها من أهم ما ينبغى أن يقوم عليه هذا البحث ، ذلك أن الدرس اللغوى الحديث يعتمد اعتمادا كبيرا على الجغرافيا اللغوية **Linguistic Geography** وارتباط دراسة اللهجات على وجه الخصوص بهـذه الجغرافيا اللغوية أصبح من القوة بحيث يقرر كارول **Caroll** أن هذا المصطلح قد تطور إلى أن أطلق عليه اللغويون المحدثون « الجغرافيا اللهجية **Dialect Geography** » أو علم اللجهات **Dialectology**(١)

ولقد أبان شنيجر العالم السويسرى عن أهمية هذا الفرع لدراسة العربية وتطورها بقوله « وبالنسبة للغة العربية نقول إن القيام بعمل أطلس لغوى سيحدث ثورة فى كل الدراسات الخاصة بفقه اللغة السامية ، لأنه سيكمل من غير شك الدراسات التى تعتمد على النصوص القديمة بكشفه عن التطورات المتعلقة باللهجات وباللغات الشعبية العصرية، وسيكون لهـــذا الأطلس الفضل فى اطلاعنا على تاريخ علم الأصوات والتغيرات التى أصابت اللغة العربية فى الأماكن المختلفة التى غذتها وعن مدى انتشارها وتأثرها

---

١ — Coroll (John B.) The Study of Language. Harvard University press, 1955. p. 59

بالمراكز الثقافية وتنوع مفرداتها إلى غير ذلك من الكتشفات التي لا يمكن أن تتم إلا إذا جمعت هذه المواد » [١] .

والحدود الجغرافية لشبه الجزيرة قبل الإسلام غامضة وفيها الكثير من الاختلافات، ولسوف نحاول هنـــا أن نتبين حدودها وأقسامها عند الجغرافيين القدماء من عرب وغيرهم .

رسم إراتوسين Eratosthenes [٢] حدودها على أنها تمتد من هيروبوليس ـ بالقرب من السويس الآن ـ إلى بابليون عن طريق سلع Petra وإلى جنوب هـذا الحد تمتد شبه الجزيرة إلى المحيط [٣] .

ويضع سترابو [٤] حدودها على النحو التالي ، يتكون الحد الشمالي من الصحراء، والشرقي من الخليج الفارسي ، والغربي من البحر الأحمر والجنوبي من البحر الكبير الذي يمتد بين البحرين [٥] .

ويرى بليني Pliny [٦] أن شبه الجزيرة تبدأ من سلسلة الأمانوس ثم تمتد بين البحرين الفارسي والأحمر . فهو يجعل من حدود شبه جزيرة سيناء غربا حتى فرع النيل [٧] .

أما الجغرافيون العرب فقد تأثروا بالتفسير اللغوي للفظ الجزيرة . «قال الخليل، سميت جزيرة العرب جزيرة لأن بحر فارس وبحر الحبش والفرات ودجلة أحاطت بها وهي أرض

---

(١) الدكتور خليل عساكر ، الأطلس اللغوي . مجلة الثقافة عدد ٥٢٤ يناير ١٩٤٩ م

(٢) (٢٧٥ ـ ١٩٥ ق.م) وله مؤلفات في النقد الأدبي والشعر والرياضة والجغرافيا .

(٣) Musil (Alois) : Arabia Deserta, New York, 1927. p. 498

(٤) (٥٨ ق.م ـ ٢٥ م) مؤرخ وجغرافي وكتابه في الجغرافيا مشهور وموجود . زار مصر سنة ١٩ ق.م وكان يعرف عنها أكثر مما يعرف عن اليونان وإيطاليا .

(٥) Musil : Arabia Deserta, p. 498

(٦) (٢٣ ـ ٧٩ م) وهو بليني الكبير وقد وضع معلوماته الجغرافية في المجلدات ٣ـ٦ من كتابه الكبير Naturalis Historia

(٧) Musil : Arabia Deserta, p. 489

العرب ومعدنها»(١). لذلك نرى البحر يحدها عندهم من الغرب والجنوب والشرق ثم يكمل هذا الحد من الشرق نهر الفرات الذى ينعطف بعد ذلك فى شمال سوريا ثم يتجه حتى يصل إلى خليج العقبة . فنرى ابن حوقل يرسمها على النحو التالى :—

« والذى يحيط بها — ديار العرب — بحر فارس من عبادان وهو مصب ماء دجلة فى البحر فيمتد على البحرين إلى عمان ثم يعطف على سواحل مهرة وحضرموت وعدن حتى ينتهى على سواحل اليمن إلى جدة ثم يمتد على الجار ومدين حتى ينتهى إلى أيلة ، ثم قد انتهى حينئذ حد ديار العرب من هذا البحر . وهذا المكان من البحر لسان ويعرف ببحر القلزم ، والقلزم مدينة على طرفه وسيفه ، فإذا استمر على تاران وجبلان وصل إلى القلزم ، وينقطع حينئذ وهو شرقى ديار العرب وجنوبيها وشىء من غربيها ثم يمتد عليها من أيلة على مدائن قوم لوط والبحيرة الميتة التى تعرف ببحيرة زغر إلى الشراة والباقاء وهى من عمل فلسطين وأذرعات وحوران والبثنية وغوطة دمشق ونواحى بعلبك وهى من عمل دمشق وتدمر وسلمية وهما من عمل حمص ثم إلى الخناصرة وبالس وهما من عمل قنسرين ، وقد انتهى الحد إلى الفرات . ثم يمتد الفرات على ديار العرب حتى ينتهى إلى الرقة وقرقيسيا والرحبة والدالية وعانة والحديثة وهيت والأنبار إلى الكوفة ومستفرغ مياه الفرات إلى البطائح ، ثم تمتد ديار العرب على نواحى الكوفة والحيرة على الخورنق وعلى سواد الكوفة إلى حد واسط فتصاقب ما جاور دجلة وقاربها عند واسط مقدار مرحلة ثم تستمد وتستمر على سواد البصرة وبطائحها حتى ينتهى إلى عبادان .

« وهذا الذى يحيط بديار العرب ، فما كان من عبادان إلى أيلة فإنه بحر فارس ويشتمل على نحو ثلاثة أرباع ديار العرب وهو الحد الشرقى والجنوبى وبعض الغربى وما بقى من حد الغربى من أيلة إلى بالس فمن الشام . وما كان من بالس إلى

---

(١) البكرى : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥ م) ص ٦

عبادان فهو الحد الشمالى . ومن بالس إلى أن تجاوز الأنبار فمن حد الجزيرة . ومن الأنبار إلى عبادان فمن حد العراق . [١]

والنص الذى يورده الإصطخرى فى تحديد جزيرة العرب لايختلف عن نص ابن حوقل إلا فى كلمة واحدة إذ تقرأ «البحيرة الميتة» فى كتابه « البحيرة المنتنة [٢] » .

وهذان النصان يضعان أمامنا عدة حقائق : —

١ — أن بحر فارس كان يقصد به أحيانا الخليج الفارسى وبحر اليمن ثم البحر الأحمر .

٢ — أن هذا التحديد لايذكر بحر الروم حتى تتم صورة الجزيرة من حدها الغربى .

٣ — أن هذا الحد يخرج شبه جزيرة سيناء ، وأرض الجزيرة من حدود ديار العرب ، «ويتصل بأرض العرب بناحية أيلة برية تعرف بتيه بنى إسرائيل وهى برية ، وإن كانت متصلة بديار العرب فليست من ديارهم ، وإنما كانت برية بين أرض العمالقة واليونانية وأرض القبط ، وليس للعرب بها ماء ولا مرعى ، فلذلك لا تدخل فى ديارهم . وقد سكن طوائف من العرب من ربيعه ومضر الجزيرة حتى صارت لهم بها ديار ومراع . ولم أر أحدا عزا الجزيرة إلى ديار العرب لأن نزولهم بها وهى ديار لفارس والروم فى أضعاف قرى معمورة ومدن لها أعمال عريضة فنزلوا على خفارة فارس والروم ، حتى إن بعضهم تنصر ودان بدين النصرانية مع الروم مثل تغلب من ربيعة بأرض الجزيرة وغسان وبهراء وتنوخ من اليمن بأرض الشام » . [٣]

ويبدو من ذلك أنهم كانوا يخرجون من حدود ديار العرب هذه المناطق العربية التى كانت تنشأ على أطراف البادية خاضعة لفارس أو الروم ، لذلك كان بعضهم يؤثر فى رسمه لهذا الحد استعمال عبارة « أطراف الشام » . قال الأصمعى « جزيرة العرب مالم

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض (ليدن ١٩٣٨ م) ١ / ١٨

(٢) الاصطخرى : مسالك الممالك (ليدن ١٩٢٧ م) ١٢ — ١٤

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ١/١٩

يانه ملك فارس من أقصى عدن أبين إلى أطراز الشام ، هذا فى الطول ، والعرض من جدة إلى ريف العراق [١]» .

أما المقدسى فإنه يصور شبه الجزيرة على أنها لا تنتظم البلاد الشامية ، « وهـذه صورة جزيرة العرب وقد جعلناه أربع كـور جليلة وأربع نواح نفيسة . والكور أولها الحجاز ثم اليمن ثم عمان ثم هجر . والنواحى الأحقاف والأشحار واليمامة وقرح . [٢] » ثم يقدم لنا هذه الصورة الطريفة لشبه الجزيرة ليؤكد خروج الشام والعراق من حدودها ، « واعلم أن مثل هذه الجزيرة كمثل صفة فيها أدنى طاول قـد وضع فيها سرير من صدرها إلى بابها بينه وبين الحائطين من يمين وشمال فضـاء . والسرير قطعتان . فالسرير الداخل هو نجد اليمن وهى جبال تقع فيها صنعاء وصعدة وجرش ونجران وبلد قحطان . وعدن فى الصدر فى آخر الجبل لأن ثالث الحيطـان هو بحر الصين . وهذه السروات عامرة بها الأعناب والمزارع . والفضـاء الذى عن يساره يسمى نجد اليمن تقع فيه الأحقاف ومهرة إلى تخوم اليمامة . ومنهم من يدخلها وعمان فى هذه الخطة . وهذا السرير مع الفضـائين هى اليمن . والسرير المؤخر إلى باب الصفة يسمى الحرة ، من تخوم اليمن إلى قرح جبال كلها يابسة لاينبت إلا مواقع الواشى والغضون والثمام . يقع فيه الحرم والعمق ومعدن النقرة وتلك الجادب . والفضاء الأيمن يسمى الحجاب . وطية الحجاز قليلة يقع فيها ينبع والمروة والعميص . والسواحل عمارات ونخيل . والفضاء الأيسر يسمى نجد الحجاز يقع فيه اليمامة وفيـد وما على الجادة من المنازل . ويسمى هذا السرير مع فضائيه الحجاز ويدخل هجر فيـه . ويقابل باب الصفة البادية وهذا شىء رأيته وقسمته والله أعلم [٣] » .

---

(١) البكرى : معجم ما استعجم ص ٦

(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم (ليدن ١٩٠٦ م) ص ٦٨

(٣) المقدسى : أحسن التقاسيم ٩٤ — ٩٥

ولكن إذا كان هؤلاء يخرجون العراق والشام وشبه جزيرة سيناء من حدود شبه الجزيرة ، فإن آخرين يصورونها محاطة بالماء من جميع جهاتها فيدخلون العراق والشام فيها بل يذهبون أبعد من ذلك إلى أن يجعلوا النيل من حدها الغربى . يقول الهمدانى :

« وإنما سميت بلاد العرب الجزيرة لإحاطة البحار والأنهار بها من أقطارها وأطرارها وصاروا منها فى مثل الجزيرة من جزائر البحر ، وذلك أن الفرات القافل من بلاد الروم يظهر بناحية قنسرين ثم انحط على عبادان وأخذ البحر من ذلك الموضع مغربا مطيفا ببلاد العرب منعطفا عليها فأتى منها على سفوان وكاظمة ونفذ إلى القطيف وهجر وأسياف البحرين وقطر وعمان والشحر ومال منه عنق إلى حضرموت وناحية أبين وعدن ودهلك واستطال ذلك العنق فطعن فى تهائم اليمن بلاد فرسان وحكم والأشعريين وعك ومضى إلى جدة ساحل مكة ، والجار ساحل المدينة وساحل الطور وخليج أيلة وساحل راية حتى بلغ قلزم مصر وخالط بلادها ، وأقبل النيل من غربى هذا العنق من أعلى بلاد السودان مستطيلا معارضا للبحر معه حتى دفع فى بحر مصر والشام ثم أقبل ذلك البحر من مصر حتى بلغ بلاد فلسطين فمر بعسقلان وسواحلها وأتى على صور ساحل الأردن وعلى بيروت وذواتها من سواحل دمشق ثم نفذ إلى سواحل حمص وسواحل قنسرين حتى خالط الناحية التى أقبل منها الفرات منحطا على أطراف قنسرين والجزيرة إلى سواد العراق [١] » .

وهذا النص فى ضمه النيل وما تبعه من بلاد النوبة وصحراء مصر الشرقية داخل الحدود الغربية لشبه الجزيرة يوافق ما قرره بلينى كما ذكرناه آنفا . ولعله قد كانت هناك صلات بين شبه الجزيرة وبين هذه الناحية الغربية من البحر الأحمر لكننا لا نعرف إذا ما كانت هذه الصلات صلات تجارة أم كانت صلات هجرة فاستقرار ، فالنصوص

---

(١) الهمدانى : صفة جزيرة العرب (ليدن ١٨٨٤ م) ص ٤٧

التى نعرفها لا تدلنا على شىء من ذلك ، ولعل ذلك راجع كما ذكرنا إلى تأثير المعنى اللغوى للفظ الجزيرة فأرادوا أن يكملوا الصورة من ناحيتها الغربية بإدخال النيل .

ومع هذه الاختلافات فى رسم حدود شبه الجزيرة فإن الصورة التى تكاد تكون قريبة إلينا هى تلك التى يرسمها القلقشندى « اعلم أن مساكن العرب فى ابتداء الأمر كانت بجزيرة العرب الواقعة فى أوساط المعمور وأعدل أماكنه وأفضل بقاعه ... وهذه الجزيرة متسعة الأرجاء ممتدة الأطراف يحيط بها من جهة الغرب بعض بادية الشام حيث البلقاء إلى أيلة ثم بحر القلزم الآخذ من أيلة حيث العقبة الموجودة بطريق حجاج مصر إلى الحجاز إلى أطراف اليمن حيث حلى وزبيد وما داناها ، ومن جهة الجنوب بحر الهند المتصل به بحر القلزم المقدم ذكره من الجنوب إلى عدن إلى أطراف اليمن حيث بلاد مهرة من ظفار وما حولها ، ومن جهة الشرق بحر فارس الخارج من بحر الهند إلى جهة الشمال إلى بلاد البحرين ثم إلى البصرة ثم إلى الكوفة من بلاد العراق ، ومن جهة الشمال الفرات آخذا من الكوفة على حدود العراق إلى عانة إلى بالس من بلاد الجزيرة الفراتية إلى البلقاء من برية الشام حيث وقع الابتداء [١] » .

هذا عن حدودها ، أما أقسامها الداخلية فنحن نحاول أن نتبينها حتى نعرف أى العرب كان يسكن الحضر وأيهم كان يسكن البادية مما له أثره فى حياتهم اللغوية .

فالهمدانى يقسم شبه الجزيرة خمسة أقسام ، تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن [٢] . ويتخذ البكرى من الحجاز أساساً فى هذا التقسيم ، فهو الذى يفصل بين تهامة والعروض وبين اليمن ونجد ، « وجبل السراة هو الحد بين تهامة ونجد

---

(١) القلقشندى : قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان ، نسخة مصورة بدار الكتب رقم ١١٥٥٠ — ح ص ١٠ — ١١ وانظر له أيضا نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب (ط بغداد) ص ١٤

(٢) الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ٤٧ — ٤٨

وذلك أنه أقبل من قعرة اليمن ـ وهو أعظم جبال العرب ـ حتى بلغ أطراف بوادى الشام ، فسمته العرب حجازاً . وقطعته الأودية حتى انتهى إلى ناحية نخلة ، فمنه خيطى ويسوم ـ وهما جبلان بنخلة ـ ثم طلعت الجبال منه فكان منه الأبيض ـ جبل العرج ـ وقدس وآرة ـ والأشعر والأجرد وهما جبلان لجهينة . . . وطول السراة ما بين ذات عرق إلى حد نجران اليمن ـ وبيت المقدس غرب طولها ـ وعرضها ما بين البحر إلى الشرف . فصار ما خلف هذا الجبل فى غربية إلى أسياف البحر من بلاد الأشعريين وعك وكنانة ـ إلى ذات عرق والجحفة وما والاها وصاقبها وغار من أرضها ، الغور غور تهامة ، وتهامة تجمع ذلك كله . وغور الشام لا يدخل فى ذلك وصار ما دون ذلك فى شرقيه من الصحارى إلى أطراف العراق والسماوة وما يليها نجداً ، ونجد تجمع ذلك كله . وأعراض نجد هى بيشة ، وترج وتبالة والمراغة ورنية . وصار الجبل نفسه سراته ـ وهو الحجاز ـ وما احتجز فى شرقيه من الجبال وانحاز إلى ناحية فيدوالجبلين إلى المدينة . ومن بلاد مذحج تثليث ـ وما دونها إلى ناحية فيد ـ فذلك كله حجاز . وصارت بلاداليمامة والبحرين وما والاها العروض ـ وفيها نجد وغور ، لقربها من البحر وانخفاض مواضع منها ومسايل أودية فيها ـ والعروض يجمع ذلك كله . وصار ما خلف تثليث وما قاربها إلى صنعاء وما والاها من البلاد إلى حضرموت والشحر وعمان وما بينها اليمن ـ وفيها التهائم والنجود ـ واليمن يجمع ذلك كله (١) .

ولا يهمنا بعد ذلك هذه الاختلافات الكثيرة بين الجغرافيين العرب فى أساس التقسيم مما يرجع إليه فى مراجعه (٢) ، لكن الذى يهمنا ـ كما قلنا ـ هو أن نتبين طبيعة هذه الأقسام من تحضر أو تبد .

---

(١) البكرى : معجم ما استعجم ١ / ٨ ـ ٩ .

(٢) انظر فى هذا مقال الدكتور عبد المحسن الحسينى : الأقسام الجغرافية لجزيرة العرب . مجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، المجلدان السادس والسابع ٥٢ ـ ١٩٥٣ ص ١٠١

١ — أما الحجاز فإنه عندهم كذلك لأنه «يحجز» بين تهامة والعروض وبين اليمن ونجد وبين الغور والشام (١) ، أو لأنه «احتجز بالجبال» (٢) ، أو « لكثرة الحرار فيه واحتجاز أهلها من العدو (٣) » وبعضهم يقسمه ثلاثة أقسام ، الحجاز الأسود وهو سراة ثقيف أو السراة الثالثة (٤) وهى تستمر حتى الطائف حيث يبدأ الحجاز الثانى ، حجاز المدينة الذى ينتهى عند العرج (٥) ، ثم يبدأ القسم الثالث الذى يعرف بالجاس ويتجه شمالا حتى إقليم الجناب وتبوك (٦) ، وفى الحجاز مناطق استقرار كثيرة ، فقصبته مكة ومن مدنه يثرب وينبع وقرح وخيبر والمروة والحوراء وجدة والطائف والسقيا والعونيد والجحفة والعشيرة (٧). وفيه واحات أشهرها خيبر وفدك والسوارقية (٨) وتتخلله أودية عديدة منها وادى إضم ووادى نخال (٩) ووادى بدا (١٠) ووادى القرى (١١) .

فالحجاز إذن يكفل لساكنيه الاستقرار والتحضر حيث توجد مدينة تجارية دينية مثل مكة أو مناطق زراعية مثل يثرب وغيرها من هذه الأودية .

٢ — وأما اليمن فيوضح الكلبى سبب تسميتها بقوله : « سميت اليمن لأن يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح أقبل بعد خروج ثلاثة عشر

---

(١) البكرى : معجم ما استعجم ١ / ١ — ١٢ .
(٢) المصدر نفسه : ١ / ١١
(٣) الهمدانى صفة جزيرة العرب ٢٠٥ .
(٤) ابن الفقيه : مختصر البلدان (ليدن ١٨٨٥م) ٣١ .
(٥) المصدر نفسه : ٢٧
(٦) ياقوت : معجم البلدان (السعادة ١٩٠٦م) ٢١٨/٣
(٧) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٦٩ .
(٨) البكرى : معجم ١٥/١
(٩) ياقوت : معجم البلدان ٨/ ٢٧٢ .
(١٠) المصدر نفسه ٢٨١/١
(١١) المصدر نفسه : ٧٣/٧

ذكراً من ولد أبيه فنزل موضع اليمن فقالت العرب تيمن بنو يقطن فسميت اليمن ، ويقال بل سميت اليمن لأنها عن يمين الكعبة [١] » .

وكانت اليمن عند الجغرافيين العرب تحتل منطقة واسعة حتى تكون نحو الثلثين من ديار العرب « فما كان من حد السرين حتى ينتهى إلى ناحية يلملم ثم على ظهر الطائف ممتداً على نجد اليمن إلى بحر فارس مشرقا فمن اليمن ويكون ذلك نحو الثلثين من ديار العرب [٢] » . ويرسم البكرى حدها بأنه « مما يلى المشرق رمل بنى سعد الذى يقال له يبرين وهو منقاد من اليمامة حتى يشرع فى البحر بحضرموت ، ومما يلى المغرب بحر جدة إلى عدن أبين ، وحدها الثالث طلحة الملك إلى شرون وشرون من عمل مكة ، وحدها الرابع الجوف ومأرب وهما مدينتان [٣] » .

ويظهر من هذه النصوص أن اليمن كانت تنتظم المنطقة الجنوبية كلها فما بين تهامة حتى العروض . ويبدو أن هذا الرأى قد تكون عندهم من الوضع السياسى الذى كانت عليه العربية الجنوبية عند ظهور النبوة حيث كان الفرس يسيطرون على الأرض الجنوبية من شبه الجزيرة [٤] .

واليمن من أخصب بقاع شبه الجزيرة لجودة أرضها وكثرة مياهها ، وهى من هنا ليست منطقة بداوة بل مقر تحضر واستقرار ، فقد « سميت اليمن الخضراء لكثرة أشجارها وثمارها وزروعها [٥] . » ويدلنا على ذلك كثرة مدنها التى يعددها الهمدانى من نحو صنعاء وصعدة وخيوان وريدة وذمار وخبأ وعدن ولحج

(١) ابن الفقيه : مختصر البلدان ٣٣
(٢) الاصطخرى : مسالك الممالك ١٢
(٣) البكرى : معجم ١٢/١
(٤) الدكتور جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام (بغداد ١٩٥٠ م) ١٣٥/١
(٥) الهمدانى : صفة ٥١

والحصيب وأم جحدم [١] .

٣ — وأما تهامة فتطلق على الساحل المحصور بين البحر وجبال السراة أو الحجاز ، ولانخفاض أرضها قيل لها « الغور » و « السافلة » [٢] ويبدو أن حدودها كانت تمتد من بحر القلزم على طول المنطقة الساحلية الموازية لامتداد البحر الأحمر حتى جنوب اليمن « وذلك أن جبل السراة وهو أعظم جبال العرب وأذكرها أقبل من قعرة اليمن حتى بلغ أطراف بوادى الشام فسمته العرب حجازاً لأنه حجز بين الغور وهو هابط، وبين نجد وهو ظاهر فصار ما خلف ذلك الجبل فى غربيه إلى أسياف البحر من بلاد الأشعريين وعك وحكم وكنانة وغيرها ودونها إلى ذات عرق والجحفة وما صاقبها وغار من أرضها الغور غور تهامة ، وتهامة تجمع ذلك كله [٣] » . غير أن الأغلب أن يطلق لفظ تهامة على الجزء الواقع فى حدود اليمن ، فيقال له تهامة اليمن ، ويغلب إطلاق لفظ الغور على الجزء الشمالى الواقع شمال الجحفة ويطلق لفظ الغور أو تهامة على الجزء الأوسط الواقع فى حيز الحرم حتى الجحفة .

وطبيعة أرضها وموقعها وخاصة فى الجنوب تتيح لساكنها الاستقرار حيث الخصوبة والماء ، كما أن وقوعها على ساحل البحر جعل أهلها يتجهون إلى الملاحة والنقل البحرى على النحو الذى نعرفه عن الأزد النازلين هناك .

يقول فيهم الشاعر :

إذا أزدية ولدت غلاماً   فبشرها بملاح مجيد

وهذه المهارة فى الملاحة أو النزوع إليها ظل يذكر عنهم بعد الإسلام حتى يقول لهم قتيبة بن مسلم الباهلى القائد من خطبة غاضبة : يامعشر الأزد تبدلتم بقلوس السفن — أى حبالها الضخمة — أعنة الخيل ! إن هذه بدعة فى الإسلام .

---

(١) المصدر نفسه : ٥٣ — ٦٧

(٢) البلدان : ٦/١١ ٣ — ٢/٤٣٧

(٣) الهمدانى : صفة ٤٨

٤ — وأما العروض فهى أرض العالية التى تقع إلى الجنوب من نجد وإلى الشرق من الحجاز، وهى تمتد شرقا حتى اليمامة والبحرين وجنوبا حتى اليمن . وابن الكلبى يرسم حدودها فى نصه « وأرض العالية والبحرين إلى عمان من العروض [١] » . ويقول الهمدانى « وصارت بلاد اليمامة والبحرين وما والاها العروض ، وفيها نجد وغور أقربها من البحار وانخفاض مواضع منها ومسايل أودية فيها والعروض يجمع ذلك كله » [٢] . ويذهب إلى ذلك أيضا أبو إسحق الحربى فيقول : « وأخرج عمر بن الخطاب اليهود والنصارى من جزيرة العرب إلا أنه لم يخرجهم من نجران ولا اليمامة والبحرين فسميت العروض [٣] . »

فمنطقة العروض إذن منطقة واحدة متميزة تقع بين الحجاز ونجد واليمن والخليج الفارسى ، ومعظم الأرضين فيها صحراء خاصة كلما ابتعدنا عن الساحل ، لذلك كان أهلها بداة يرتحلون سعيا وراء الماء والرزق .

٥ — وأما نجد فإنهم يقسمونها إلى عليا وسفلى « ويقال فى نجد العليا النجد وفى السفلى أرض نجد [٤] » ، ويحددها الإصطخرى بقوله «وما كان من حد اليمامة إلى قرب المدينة راجعا على بادية البصرة حتى تمتد على البحرين إلى البحر فمن نجد [٥] ». والنجد أو نجد العليا هى أقرب النجدين إلى الحجاز والسراة تمتد من الشمال إلى الجنوب فى شرق سلسلة الحرات الوسطى «وقال أبو منصور: حرة ليلى وحرة شوران وحرة بنى سليم فى عالية نجد [٦] . » وفى نجد مناطق تتوافر فيها المياه وبخاصة فى

---

(١) البكرى : معجم ١/١٠

(٢) الهمدانى : صفة ٤٨

(٣) البكرى : معجم ١/١٢

(٤) الهمدانى : صفة ٢٧٧

(٥) الاصطخرى : مسالك الممالك ١٤

(٦) ياقوت : معجم البلدان (الحرار)

الشمال فى منطقة وادى الرمة ومنطقة الحرار . لكن معظم المنطقة صحراء وأهلها بدو رحل .

ومن هذا العرض للبيئة الجغرافية لشبه الجزيرة من النصوص القديمة نستطيع أن نتصور مناطق التحضر والاستقرار على أنها توجد فى اليمن وفى بعض تهامة والحجاز وأن مناطق التبدى توجد فى نجد والعروض . والآن علينا أن نعرف منازل القبائل العربية من شبه الجزيرة لنعرف أيها كان يعيش حياة استقرار وأيها كان يعيش حياة تبد وترحال .

الفصل الثاني

القبائل العربية

ليس غريبا أن يهتم العرب – وهم مجتمع قبلي – هذا الاهتمام بالأنساب ، وليس غريبا أيضاً أن تكثر هذه الأنساب وتختلط في كتبهم اختلاطاً كبيراً ، ولكن الغريب حقا أن نقبل هذا الذي قالوه في أصلهم وتفرعهم على أنه حقيقة واقعة .

فإذا كانوا يتفقون أو يكادون على أن العرب بائدة وعاربة ومستعربة فإننا لا نعرف عن هذه البائدة شيئاً إلا ما يقصه علينا القرآن الكريم ، ثم إنهم يرون أن العرب الباقية تتكون تارة من قحطان ومعد [1] ، وتارة أخرى من قحطان وعدنان [2] ، وتارة ثالثة من قضاعة وقحطان وعدنان [3] .

وإذا كان قحطان أبا اليمن كلها [4] فإنه عندهم مرة قحطان بن عابر بن شالخ ابن أرفخشذ بن سام بن نوح [5] ، وهو في مرة أخرى قحطان بن الهميسع بن تيمن ابن نبت بن إسماعيل بن إبراهيم [6] ، وقضاعة تنتسب حينا إلى معد بن عدنان [7] وتنتسب حيناً آخر إلى القحطانيين [8] .

---

(1) المسعودي : مروج الذهب (القاهرة ١٢٨٣ هـ) ١/٢٣٢
(2) المبرد : نسب عدنان وقحطان (القاهرة ١٩٣٦م)
(3) ابن خلدون : كتاب العبر ١/٢٥–٢٧
(4) ابن هشام : السيرة النبوية (القاهرة ١٩٣٦م) ١/٥
(5) المسعودي مروج الذهب ١/٢٧٦–٢٧٧
(6) المسعودي التنبيه والإشراف (ليدن ١٨٩٣ م) ٨٠
(7) ابن هشام : السيرة ١/٧
(8) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب (المعارف ١٩٤٨ م) ٨

ونحن لا نستطيع أيضاً أن نأخذ بهذا التقسيم على أنه فصل بين القحطانيين والعدنانيين ، لأن هؤلاء القحطانيين ـ فيما يقولون ـ لم يستقروا فى اليمن حيث كانت منازلهم الأولى ، بل هاجر كثير منهم بعد سيل العرم إلى أنحاء مختلفة من شبه الجزيرة ولم يسكن العدنانيون مستقرين فى الحجاز بل هاجر منهم من هاجر إلى اليمن « وصار بعض عرب اليمن إلى الحجاز فأقاموا به ، وربما صار بعض عرب الحجاز إلى اليمن فأقاموا به وبقى من بقى منهم بالحجاز واليمن على ذلك [١] » . وكانت النتيجة أن بعض الذين هاجروا من هنا أخذوا ينتسبون إلى من كان هناك فهم مثلا يذكرون أن عدنان قد ولد رجلين ، معد بن عدنان وعك بن عدنان « فصارت عك فى اليمن وذلك أن عكا تزوج فى الأشعريين فصارت اللغة واحدة والدار واحد [٢] » .

وينقل الهمدانى شعرا لبعض آل أسعد يذكر فيه منازل من خرج من اليمن فى سائر جزيرة العرب يقول فيه [٣] :

وقد فارقت منا ملوك بـــلادها	فصاروا بأرض ذات مبدى ومحضر
وقد نزلت منا خزاعة مـــنزلا	كريما لدى البيت العتيـــق المستر
وفى يثرب منا قبائـــل إن دعـــوا	أتوا سربا من دارعـــين وحسر
وغسان حى عزهم فى ســـيوفهم	كرام المساعى قـد حووا أرض قيصر
وكلب لهـــا ما بين رملة عالج	إلى الحرة الرجلاء من أرض تدمر
ولخم فكانت بالعراق ملوكهـــا	وقد طحرت عدنان فى كل مطحر
وحلت جذام حيث حلت وشاركت	هنـالك لخما فى العـــلا والتجبر

(١) القلقشندى : قلائد الجمان ١٢
(٢) ابن هشام : السيرة ٨/١
(٣) الهمدانى : ص ٢٠٦

فإذا كانت هذه القبائل قد هاجرت - بعد أن خرج عمرو بن عامر من اليمن حيث أدرك قرب انفجار سد مأرب [1] - إلى حيث هاجرت فيما لا نعرف من الوقت والظروف على وجه الحقيقة، فهل نستطيع أن نقبل تقسيم العرب إلى قحطانيين وعدنانيين على أنه تمييز قاطع بينهما؟

نحن لا نستطيع أن نقبله، بل لعلنا نتوقف فى هذه الأنساب على ما رأيت عندهم من اختلاط فيها. لكن المنهج العلمى - مع ذلك - يتطلب التقسيم والتصنيف، وعلينا إذن أن نقبل تقسيمهم أو نخلق لنا تقسيما جديدا، لكنا لا نستطيع أن نقترح الآن هذا التقسيم الجديد لأن التاريخ القديم لهذه المنطقة غامض مختلط ونحسب أن الدراسات الحديثة لم تصل حتى الآن إلى رأى قاطع بشأن القبائل العربية وبشأن أنسابها، ولعل المستقبل يكشف عن شىء يوضح هذا التاريخ إذا وجدت شبه الجزيرة اهتماما من البحث والتنقيب.

نحن إذن مضطرون إلى الأخذ بتقسيمهم العرب إلى قحطانيين وعدنانيين، ولكن ليس على أن هؤلاء عدنانيون وأولئك قحطانيون، بل على أنها أسماء قبائل مهما تكن هذه الأسماء، وكل الذى يهمنا الآن من هذه الأسماء أن نعرف منازلها من شبه الجزيرة حتى نستطيع أن نحدد المناطق التى كانت تنتشر فيها هذه اللهجة أو تلك.

ولسوف نستعمل هنا مصطلحاتهم فى تصنيف الأنساب على النحو التالى [2].

١ - الشعب / وهو النسب الأبعد كعدنان.

٢ - القبيلة / وهى ما انقسم فيها الشعب كربيعة ومضر.

---

(١) - ابن هشام / السيرة ١/١٤

(٢) القلقشندى / نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب (ط بغداد) ص ١٢

٣ ـ العمارة / وهى ما انقسم فيها أقسام القبيلة كقريش وكنانة .
٤ ـ البطن / وهو ما انقسم فيه أنساب العمارة كبنى عبد مناف وبنى مخزوم .
٥ ـ الفخذ / وهو ما انقسم فيه أنساب البطن كبنى هاشم وبنى أمية .
٦ ـ الفصيلة / وهى ما انقسم فيها أنساب الفخذ كبنى العباس .

اولا – القحطانيون

تذكر كتب الأنساب أن القحطانيين قد اشتهر منهم أربع قبائل بقيت أعقابهم ومن نسلهم جميع قبائل اليمن وهم حمير وكهلان وأشعر وعاملة ، وبحسبهم صارت أصول قبائل اليمن ، ومنهم تفرعت العمائر والبطون والأفخاذ والفصائل [١] .

القبيلة الأولى / حمير .

ومنازلهم الأولى « بأرض سبأ من اليمن [٢] . » وقد تفرعت منها بطون :

أ ـ شيبان : [٣] ويحدد الهمدانى مساكنهم بقوله « وإن تيامنت من الموصل تريد بغداد لقيتك الحديثة وجبل بارما يسمى اليوم حمرين ويقال إنه جبل لايخلو يوما من قتيل ، ثم السن والبوازيج بلاد الشراة من ربيعة ثم يقع فى جبل الطور البرى وهو أول حدود ديار بكر وهو لبنى شيبان وذويها ولايخالطهم إلى ناحية خراسان إلا الأكراد . [٤] »

ب ـ قضاعة [٥] : ويحدد الهمدانى منازلهم بقوله « وديار تغلب الجزيرة بين

---

(١) القلقشندى / قلائد الجمان ٢١
(٢) ابن حوقل / صورة الأرض ٣٩/١
(٣) القلقشندى / قلائد ٢٤
(٤) الهمدانى / صفة ١٣٣
(٥) المبرد / نسب عدنان قحطان ٢٣

بلد بكر وبلد قضاعة [١] . » ومن عمائرها :

١ — جهينة [٢] : يقول الهمدانى فى مساكن العرب فيما جاوز المدينة « العيص فيها جهينة ومزنة ، وينفرد دار جهينة من حدود رضوى والأشعر إلى واد ما بين نجد والبحر [٣] » . ويقول ابن حوقل « وإذا جزته — أى معدن النقرة — عن يمين المدينة فأنت فى جهينة [٤] » . ويوضح القلقشندى هذه المنازل بقوله « وكانت منازلهم بأطراف الحجاز من جهة الشمال حيث بحرجدة [٥] » .

٢ — بلى : [٦] وديارهم « أمج وغران وهما واديان يأخذان من حرة بنى سليم وينتهيان فى البحر وهجشان والجزل والسقيا والرحبة [٧] . » وهذه الأماكن هى « من منقطع دار جهينة إلى حد دار جذام على شاطىء البحر [٨] » .

٣ — كلب :[٩] ويحدد الهمدانى مساكنهم بقوله « وأما كلب فمساكنها السماوة ولا يخالط بطونها فى السماوة أحد[١٠] » . ومن قراهـا ، تدمر وسلمية والعاصمية وحمص [١١]، ويقول القلقشندى « وكانوا ينزلون فى الجاهلية دومة الجندل وتبوك

---

(١) الهمدانى : صفة ١٧٠
(٢) المبرد : نسب عدنان وقحطان ٢٤
(٣) الهمدانى : صفة ١٣٠
(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ١/١٤
(٥) القلقشندى : قلائد الجمان ٢٤
(٦) المبرد : نسب عدنان وقحطان ٢٤
(٧) الهمدانى : صفة ١٧٠
(٨) الهمدانى : صفة ١٣٠
(٩) ابن هشام : السيرة ١/٨١
(١٠) الهمدانى : صفة ١٢٩
(١١) الهمدانى : صفة ١٣٢

من أطراف الشام (١) » .

٤ — بهراء : (٢) وكانت منازلهم شمال منازل بلى من الينبع إلى عقبة أيلة (٣)

٥ — تنوخ (٤) ويحدد الهمدانى أماكنهم بقوله «ثم من أيسرهم – أى بهراء – مما يصلى البحر تنوخ وهى ديار الفضيض سادة تنوخ ومكودهم منها اللاذقية على شاطئ البحر ثم تقع فى نصارى وغير ذلك إلى حد الفرات إلى بالس (٥) . »

٦ — مهرة : (٦) وكانوا ينزلون على ساحل بحر الهند شرقى حضرموت . ويقول الإصطخرى « وأما بلاد مهرة فإن قصبتها تسمى الشحر وهى بلاد قفرة (٧) » . ويذكر القلقشندى أن بقاياهم موجودون بمشاريق اليمن (٨) .

٧ — جرم : (٩) ويبدو أنها لم تكن مستقرة فى مكان واحد إذ يذكر الهمدانى أن ديارها « متفرقة منها باليمامة ومنها بالبصرة ومنها بالعقيق ومنها بحضرموت وكان لها دار بصعدة فى يشور ولها دار ما بين صنعاء ومأرب (١٠) . »

---

(١) القلقشندى : قلائد الجمان ٢٥

(٢) المبرد نسب عدنان وقحطان ٢٤

(٣) القلقشندى : قلائد ٢٧

(٤) المبرد : ٢٤

(٥) الهمدانى : ١٣٢

(٦) المبرد : ٢٤

(٧) الاصطخرى : مسالك الممالك ٢٥

(٨) القلقشندى : قلائد ٢٨

(٩) المبرد : ٢٤

(١٠) الهمدانى : صفة ١٦٣

القبيلة الثانية كهلان (١) .

وقد تفرعت منها عمائر أهمها :

١ — جذام: (٢) وهى من القبائل اليمانية التى هاجرت إلى الشمال ، إذ يذكرها الهمدانى فيمن تشاءم من العرب (٣) ، « وأما جذام فهى بين مدين إلى تبوك (٤) » .

٢ — لخم: (٥) وكان للخميين ملك بالحيرة من العراق فى المناذرة ملوك الحيرة عن الأكاسرة وهم بنو عمرو بن عدى بن نصر اللخمى كانت دولتهم من أعظم دول العرب وأول من ملك منهم عمرو بن عدى وآخرهم المنذر بن النعمان بن المنذر فبقى حتى انتزعها منه خالد ابن الوليد فى الإسلام (٦) .

٣ — كندة: (٧) يذكر الإصطخرى أن ديارها «مفترشة فى أعراض اليمن (٨)» ويحددها الهمدانى بقوله « وفى حضرموت سكنت كندة بعد أن أجلت عن البحرين والمشقر وغمر ذى كندة فى الجاهلية بعد قتل ابن الجون وكان الذى نقل منهم عن هذه البلاد إلى حضرموت نيفا وثلاثين ألفا (٩) » وبلدها « مرتفع كأنه سراة وتصب أوديته فى حضرموت (١٠) » .

---

(١) القلقشندى : قلائد ٣٦

(٢) المبرد : ٢٠

(٣) الهمدانى : ١٢٩

(٤) الهمدانى : ١٢٩

(٥) المبرد : ٢٠

(٦) القلقشندى : قلائد ٣٧

(٧) القلقشندى : قلائد ٣٨

(٨) الاصطخرى : مسالك الممالك ٢٦

(٩) الهمدانى : ٨٨

(١٠) الهمدانى : ٨٦

٤ — طيء : ومنازلهم فى شمال الحجاز حيث يوجد جبلاها المشهوران أجأ وسلمى (١) . ويحددها اليعقوبى بقوله « والثعلبية وهى مدينة عليها سور وزرود والأجفر منازل طيء ، ثم مدينة فيد وهى المدينة التى ينزلها عمال طريق مكة وأهلها طيء وهى فى سفح جبلهم المعروف بسلمى وتوز وهى منازل طيء أيضا (٢) . » ويذكر ابن حوقل أنهم بدو رعاة لقلة مياههم وزروعهم « وجبلا طيء منها – أى الجحفة – على مسيرة يومين وبها نخيل وزروع قليلة لطيء وبها ماء تافه ويسكنها بادية من طيء ينتقلون عنها فى بعض السنة ينتجعون المراعى (٣) » .

٥ — مذحج : وهى من القبائل اليمنية التى ظلت مستقرة فى اليمن وهى تسكن سروا عرف بسرو مذحج (٤) ، ونستطيع أن نصل إلى تصور لموقع ديارها من قول الهمدانى « الجوف بين همدان ومذحج ، ومأرب بين سبأ ومذحج (٥) . » فهم كانوا يسكنون إذن فى المنطقة الواقعة شمال مأرب .

٦ — الأزد : وهى من القبائل التى لم تستقر فى اليمن بل تفرقت فى أنحاء مختلفة من شبه الجزيرة وهى ثلاثة أقسام ، أزد شنوءة ، وأزد السراة ، وأزد عمان (٦) . وقد ذكرهم الهمدانى فى وصفه لأرض السراة « بطون الأزد مما تلو عنز إلى مكة منحدراً الحجر » (٧) . وذكرهم فى عمان « فأما مساكن عمان من الأزد فيحمد وحدان ومالك والحارث وعتيك وجديد (٨) » .

---

(١) الهمدانى : ١٢٦

(٢) اليعقوبى : البلدان (مع كتاب الأعلاق النفسية لابن رستة ليدن ١٨٩١م) صفحة ٣١٢

(٣) ابن حوقل : ١ : ٢٣

(٤) الهمدانى : صفة ٩٢

(٥) الهمدانى : صفة ١٢٥

٦) القلقشندى : قلائد ٤٩

(٧) الهمدانى : ١٢١

(٨) الهمدانى : صفة ٢١١

وعن أزد شنوءة يقول البكرى « ومنازل أزد شنوءة السراة وهى أودية مستقبلة مطلع الشمس بتثليث وتربة وبيشة [١] » .

ومن الأزد بطون مشهورة نذكر منها :

أ — الأوس والخزرج [٢] : وكانو يسكنون المدينة على ما نعلم .

ب — غسان [٣] : قالوا « وإنما سموا غسانا لماء اسمه غسان بين زبيد وربع نزلوا عليه عند خروجهم من اليمن وشربوا منه فعرفوا به ، وكان لهم ملك بالشام قبل الإسلام بما يزيد عن أربعمائة سنة [٤] » . ويحدد الهمدانى مواضعهم بالشام بأنها « صيداء وحارب وجلق وإيلياء [٥] .

ج — خزاعة [٦] : وكانت تنزل مكة ونواحيها [٧] ومر الظهران (على مرحلة من مكة) [٨] . وكانوا حلفاء لقريش ، ولعل ذلك هو الذى جعل بعضهم ينسبهم إلى العدنانيين [٩] .

٧ — همدان : وهى من القبائل التى لم تهاجر من اليمن ، فديارها « مفترشة فى أعراض اليمن [١٠] » . ويحددها الهمدانى بقوله « أما بلد همدان فإنه آخذ لما بين

---

(١) البكرى : معجم ما استعجم ١ : ١١

(٢) المبرد : ٢١

(٣) المبرد : ٢١

(٤) القلقشندى : قلائد ٥١

(٥) الهمدانى : ١٧٩

(٦) المبرد : ٢٢

(٧) الهمدانى : ٢١١

(٨) ابن هشام : السيرة ١ : ١٤ ، ١ : ٩٤

(٩) القلقشندى : قلائد ٥٤

(١٠) الاصطخرى : مسالك الممالك ٢٦

الغائط وتهامة من نجد والسراة فى شمالى صنعاء (١) » .

٨ ــ خولان : وهى أيضا مثل همدان لم تهاجر من اليمن وكانت منازلها ــ على ما يقول الهمدانى ــ فى صعدة (٢) .

٩ ــ أنمار : وقد ذكر كثيرون أنهم ليسوا يمانيين بل عدنانيون إذ « أنه لما تكاثر بنو إسماعيل عليه السلام فصارت رياسة الحرم لمضر مضى أنمار بن نزار بن معد بن عدنان إلى اليمن فأقام بالسروات وتناسل بنوه فعدوا فى اليمانية (٣) . »

ومنها بطون أشهرها :

أ ــ بجيلة (٤) : وهم بنو بجيلة بنت أنمار وبجيلة أمهم عرفوا بها ، وكانت بلادهم سروات اليمن والحجاز إلى تبالة (٥) . ويحدد البكرى منازلهم بأنهم نزلوا الطائف مع ثقيف (٦) .

ب ــ خثعم (٧): وكانوا يسكنون السراة على ما يذكر البكرى إلى جوار مذحج (٨) . ويحدد الهمدانى مواضعهم بقوله « بلد خثعم أعراض نجد بيشة وترج وتبالة (٩) » .

القبيلة الثالثة : أشعر

والأشعريون من القبائل التى لم تهاجر من اليمن ، وكانت مساكنهم فى غور

---

(١) الهمدانى : ١٠٩
(٢) الهمدانى : ٦٧
(٣) المسعودى : مروج ١ : ٢٣٤ والقلقشندى : قلائد ٥٥
(٤) المبرد : ٢٣
(٥) القلقشندى : قلائد ٥٦
(٦) البكرى : معجم ما استعجم ١١:١
(٧) المبرد : ٢٣
(٨) البكرى : ١ : ١١
(٩) الهمدانى : ١١٩

تهامة (١) ويحدد الهمدانى ديارهم — فى معرض حديثه عن تهامة اليمن — بقوله « بلد بنى مجيد وبلد الفرسان وهى على محجة عدن إلى زبيد ، ثم ديار الأشعريين من حدود بنى مجيد بأرض الشقاق فإلى حيس فزبيد نسبت إلى الوادى وهى الحصيب (٢) » .

القبيلة الرابعة : عاملة :

وهى من القبائل اليمانية التى خرجت من اليمن ونزلت بالقرب من دمشق جبال هناك تعرف بجبال عاملة (٣) . ويحدد الهمدانى موقع هذه الجبال « وجبال عاملة مشرف على عكا من قبل البحر يليها ويطل على الأردن والثاجة (٤) » .

ثانيا — العدنانيون

والنسابون يذكرون أن عدنان هو شعب نسب العرب المستعربة الذى تفرعت منه قبائلها وعمائرها وبطونها وأفخاذها وفصائلها ، ويذكرون أن « مواطن بنى عدنان مختصة بنجد وكلها بادية رحالة إلا قريشا بمكة ونجد ، قال السهيلى : ولا يشارك بنى عدنان من العرب فى أرض نجد أحد من قحطان إلا طىء من كهلان فيما بين الجبلين سلمى وأجأ ، قال ثم افترق بنو عدنان فى تهامة الحجاز ثم فى العراق والجزيرة يعنى الجزيرة الفراتية (٥) » . والمشهور من قبائلهم خمس :

القبيلة الأولى : نزار : ومن بطونها :

مضر : ومنهم تفرعت أكثر القبائل العدنانية (٦) ، ويحدد البكرى مساكنهم بقوله

(١) الهمدانى : ٤٨
(٢) الهمدانى : ١١٩
(٣) القلقشندى : قلائد ٥٧
(٤) الهمدانى : ١٣٢
(٥) القلشندى : ٥٩
(٦) القلقشندى : قلائد ٦٠

« ومنازلهم مكة وأرض العرب يومئذ خاوية ليس بنجدها وتهامتها وحجازها وعروضها كبير أحد لإخراب بختنصر إياهـا وإجلاء أهلها إلا من اعتصم برءوس الجبال [1]» .

وأشهر أفخاذها قيس عيلان .

قيس عيلان : والكثرة البطون التفرعة عنه جعل فى مقابل اليمانية بأسرها إدراجا لسائر العدنانية فيقال قيس ويمن [2] ، والمشهور من قيس فصائل أهمها :

١ — غطفان : [3] وكانت منـازلهم مما يلى وادى القرى وجـلى طيء أجأ وسلمى [4] . ومن غطفان عبس وذبيان (بين تيماء وحوران) [5] ومن ذبيان فزارة (عند حسمى فى الشمال [6]) .

٢ — هوازن : ويحدد الهمدانى ديارها بأنها من تبـالة إلى نخلة [7] ، وفى موضع آخر يقول « سراة الطائف غورها مكة ونجدها ديار هوازن من عكاظ [8] » .

وإلى هوازن ينتسب بنو كلاب (فى جهات المدينة وفدك والعوالى [9] . وإلى هوازن تنتسب أيضا عقيل وكانت تنزل الطائف [11] وهى على مرحلتين من مكة [12].

---

(١) البكرى : معجم ١٠ استعجم ١/٥
(٢) القلقشندى : قلائد ٦٠
(٣) المبرد : ١١
(٤) القلقشندى ٦١
(٥) الهمدانى ١٢٩
(٦) السابق : ١٢٩
(٧) السابق : ٢٦٢
(٨) السابق : ٧١
(٩) القلقشندى : نهاية الأرب ٣٢٩
(١٠) السابق : ٢٩٨
(١١) البكرى معجم ١ : ١١
(١٢) القلقشندى : نهاية ١٦٨

٣ — سليم : يحدد ابن حوقل أماكنهم بقوله « ثم إذا جزت المدن عن يسار المدينة فأنت فى بنى سليم [١] » . ويوضحها القلقشندى بقوله « وهم أكثر قبائل قيس عدداً ، وكانت مساكنهم فى عالية نجد بالقرب من خيبر ، ومن منازلهم حرة سليم وحرة النار بين وادى القرى وتيماء » [٢] .

٤ — عدوان . « وأرضهم من السراة يصاع والسوار وبطن قوت والنجار وبقران . [٣] » ويقول القلقشندى « وكانت منازلهم الطائف من نجد نزلوها بعد إياد والعمالقة ثم غلبهم عليها ثقيف فخرجوا إلى تهامة [٤] » .

القبيلة الثانية : ربيعة

وديارهم بين اليمامة والبحرين [٥] ، ويذكر ابن هشام وابن الأثير قصة خروج ربيعة إلى الحيرة [٦] . ومن ربيعة :

أ — أسد : ويحدد الهمدانى مساكنهم بقوله « فإذا خرجت من تيماء قصد الكوفة ثانيا فأنت فى ديار بحتر من طىء إلى أن تقع فى ديار بنى أسد قبل الكوفة بخمس [٧] . » ويحدد البكرى هذه المساكن بأنها الجلس والقنان وأبان الأبيض وأبان الأسود إلى الرقة [٨] . ومن أسد عنزة (وكانت ديارهم عين التمر من برية العراق على ثلاث مراحل من الأنبار [٩] .

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ١ : ١٤
(٢) القلقشندى: قلائد الجمان ٦٧
(٣) الهمدانى : ١٢٣
(٤) القلقشندى : ٦٩
(٥) السابق : ٦٩
(٦) ابن هشام : السيرة ١ : ٩ وابن الأثير . الكامل : القاهرة ١٣٠٢١ هـ : ١ : ١٨٥
(٧) الهمدانى : ١٣١
(٨) البكرى : معجم ما استعجم ١ : ١٠
(٩) القلقشندى : قلائد ٧٠

ب — وائـل : وهى بطنان مشهوران .

١ — بكر بن وائل : قال الجرمى « وديار بكر بن وائل من اليمامة إلى البحرين إلى سيف كاظمة فأطراف سواد العراق فالأبلة فهيت [١] . »

٢ — تغلب : وديارها الجزيرة بين بلد بكر وبلد قضاعة [٢] .

القبيلة الثانية : خنـدف . ومنها :

١ — هذيل : ويذكرها البكرى بين القبائل التى كانت تسكن الحجاز [٣] ويحدد ابن حوقل مساكنها بقوله « وبغزوان ديار بنى سعد وسائر قبائل هذيل [٤] . » ويقول القلقشندى « وديارهم بالسروات وسراتهم متصلة بجبل غزوان المتصل بالطائف ولهم مياه وأماكن فى جهات نجد وتهامة بين مكة والمدينة [٥] . »

٢ — تمـيم : ويقول عنهم ابن حزم إنهم « قاعدة من أكبر قواعد العرب [٦] . » ويذكر الهمدانى أن منازلهم كانت فى هذه المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة فى اليمامة حتى جنوب العراق « ثم ترجع إلى البحرين فالأحساء منازل ودور لبنى تمـيم ثم لسعد من بنى تمـيم [٧] . » . . « وأدنى اليمامة لقصدها من العراق قرية يقال لها ثيبان بها ناس من بنى سعد بن زيد مناه من

(١) الهمدانى : ١٦٩
(٢) السابق : ١٧٠
(٣) البكرى : معجم ١:١١
(٤) ابن حوقل : ١:٣٢
(٥) القلقشندى : قلائد ٧٢
(٦) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ١٩٦
(٧) الهمدانى : ١٣٧

تمـيم[1] » ويذكر القلقشندى أن منازلهم كانت « بأرض نجد من هنالك على البصرة واليمامة وامتدت إلى الغرى من أرض الـكوفة[2] . »

٣ — كنانة : وكانوا ينزلون تهامة بالقرب من مكة ، [3] ويحدد الهمدانى مساكنهم بأنها وادى أتمـة وضنكان والحرة حرة كنانة وحلى وهو مخلاف وقصبتها الصحارية والسرين ساحل كنانة[4] .

٤ — قريش : وكانت تنزل مكة وما حولها ، ومن مناطقها المراغة وتبالة[5] . وهى قرية فيها التجار وكان فيها نخيل وغيل . وقريش على قسمين ، قريش البطاح وقريش الظواهر ؛ فقريش البطاح ولد قصى بن كلاب وبنو كعب بن لؤى ، وقريش الظواهر من سواهم[6] .

* * *

وبعد فتلك محاولة لمعرفة القبائل العربية ومنازلها على وجه التقريب ، ولقد رأيت أن القحطانية والعدنانية لاتنفعنا فى تفسير الظواهـر اللهجية ، لـكن معرفتنا للبيئة الجغرافية لـكل قبيلة يمكن أن تعيننا على فهم هذه الظواهر . ونظننا — بعد هذا التمهيد — نستطيع أن ننتقل إلى دراسة اللجهات التى كانت تتكلمها هذه القبائل .

(١) الهمدانى : ١٦٢
(٢) القلقشندى : نهاية الأرب ١٦١
(٣) القلقشندى : قلائد ٧٢
(٤) الهمدانى : ١٢٠
(٥) السابق : ١١٩
(٦) القلقشندى : نهاية ٢٢٢

الباب الثاني

اللغة العربية ولهجاتها



الفصل الأول

الواقع اللغوى قبل الاسلام

إذ كنا نحاول فى هذا البحث أن نقدم دراسة عن اللهجات العربية قبل الإسلام ، فمن الطبيعى أن تواجهنا مجموعة من الأسئلة لاسبيل إلى إهمالها ، لماذا تنشأ اللهجات؟ وما هى العوامل التى ساعدت على وجود اللهجات العربية ؟ وما هى العربية المشتركة؟ أمن كل اللهجات العربية نشأت أم من لهجة واحدة ؟

إن العلاقة التى بين اللغة واللهجة هى العلاقة التى بين العام والخاص ، فاللهجة مجموعة من الصفات اللغوية تنتمى إلى بيئة خاصة ، ويشترك فى هذه الصفات أفراد هذه البيئة . وبيئة اللهجة جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات ، لكل منها خصائصها ، لكنها تشترك جميعا فى مجموعة من الظواهر اللغوية التى تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض ، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث ، فهما يتوقف على قدر الرابطة التى تربط بين هذه اللهجات (1) .

وتنشأ اللهجات عادة لعدة أسباب :

١ - أسباب جغرافية :

فإذا كان أصحاب اللغة الواحدة يعيشون فى بيئة جغرافية واسعة ، تختلف الطبيعة فيها من مكان لمكان كأن توجد جبال أو وديان تفصل بقعة عن أخرى بحيث ينشأ عن ذلك انعزال مجموعة من الناس عن مجموعة ، فإن ذلك يؤدى مع الزمن إلى وجود لهجة تختلف عن لهجة ثانية تنتمى إلى نفس اللغة . والذين يعيشون فى بيئة زراعية مستقرة يتكلمون لهجة غير التى يتكلمها الذين يعيشون فى بيئة صحراوية بادية .

---

(1) الدكتور أنيس اللهجات العربية (ط الرسالة) ص ١١

٢ ـ أسباب اجتماعية :

إن المجتمع الإنسانى بطبقاته المختلفة يؤثر فى وجود اللهجات ، فالطبقة الأرستقراطية مثلا تتخذ لهجة غير لهجة الطبقة الوسطى أو الطبقة الدنيا من المجتمع ، ويلتحق بذلك أيضا ما نلاحظه من اختلافات لهجية بين الطبقات المهنية ، إذ تنشأ لهجات تجارية وأخرى صناعية وثالثة زراعية وهكذا . وعن هذه الأسباب ينشأ ما يسميه فندريس بالعاميات الخاصة Les argots ، وهو يقرر أنه « يوجد من العاميات الخاصة بقدر ما يوجد من جماعات متخصصة . والعامية الخاصة تتميز بتنوعها الذى لا يحد ، وأنها فى تغير دائم تبعا للظروف والأمكنة فكل جماعة خاصة وكل هيئة من أرباب المهن لها عاميتها الخاصة (١) » .

٣ ـ احتكاك اللغات واختلاطها نتيجة غزو أو هجرات أو تجاور :

وهذا الاحتكاك أو الصراع اللغوى يعد من أهم الأسباب التى تؤدى إلى نشأة اللجهات (٢) ، بل إن فندريس يقرر أن « تطور اللغة المستمر فى معزل عن كل تأثير خارجى يعد أمرا مثاليا لا يكاد يتحقق فى أية لغة . بل على العكس من ذلك فإن الأثر الذى يقع على لغة ما من لغات مجاورة لها ، كثيرا ما يلعب دورا هاما فى التطور اللغوى (٣) » . وفى التاريخ شواهد كثيرة على أثر الصراع اللغوى ، فاللهجات العربية التى انتشرت فى البلاد الإسلامية بعد الفتح دليل عليه ، ولهجاتنا العامية الحالية فيها مظاهر كثيرة من آثار الاحتكاك اللغوى .

٤ ـ أسباب فردية :

من الحقائق المقررة أن اللغة إذا « كانت واحدة فهى متعددة بتعدد الأفراد الذين

---

(١) فندريس : اللغة (ترجمة الدواخلى والقصاص) القاهرة ١٩٥٠ م ص ٣١٥

(٢) الدكتور أنيس : اللجهات العربية ٢٠

(٣) فندريس : اللغة ٣٤٨

يتكلمونها ، ومن المسلم به أنه لا يتكلم شخصان بصورة واحدة لاتفترق [١] » .
واختلاف الأفراد فى النطق يؤدى مع مرور الزمن إلى تطوير اللهجة أو إلى نشأة لهجات أخرى ، بل إن سابير يذهب إلى أن اللهجات تنشأ من « الميل العام إلى الاختلاف الفردى فى الكلام [٢] » . ويمكن أن يلتحق بهذا أيضا ما يسمى « بخطأ الأطفال » و « القياس الخاطىء » ، فنحن نلحظ مثلا أن بعض الأطفال يقول « أحمرة وأخضرة » فى مؤنث « أحمر وأخضر » ، فإذا عاش هؤلاء الأطفال فى معزل عمن يقوم لهم ألسنتهم كأن يكون آباؤهم مشغولين فى الغزو أو فى طلب الرزق ، أصبحت هذه الأخطاء بعد فترة من الزمن عادات لهجية ، ولعل ما يمكن أن نضعه فى هذا المجال ما روى من أن لهجة تميم فى بناء اسم المفعول من الأجوف على مفعول فيقولون « مبيوع ومديون » قياسا على الفعل الصحيح .

واللهجات العربية التى كانت منتشرة فى شبه الجزيرة قبل الإسلام لا تختلف أسباب وجودها عن هذه الأسباب العامة فى نشأة اللهجات ، فالبيئة الجغرافية ممتدة واسعة على النحو الذى بيناه فى التمهيد ، تختلف الطبيعة فيها فيتصل بعض بقاعها وينفصل بعضها الآخر ، ففيها التهائم والنجود والسايل والوديان ، وفيها المناطق الصحراوية التى يعيش فيها البدو ، وفيها مناطق الاستقرار والتحضر حيث يوجد شىء من زراعة أو نصيب من تجارة . وفى هذه الجزيرة حدثت هجرات بشرية حدثتنا عنها كتب التاريخ والأنساب ، هاجر من هاجر من أهل اليمن إلى وسط شبه الجزيرة وشرقيها وشماليها ، وهاجر من هاجر من أهل الحجاز إلى اليمن . وتجاورت لهجات مع لهجات ومع لغات أخرى ، فلهجات القبائل العربية التى كانت تنزل بادية الشام أو العراق مثلا كانت تجاور لغات كالآرامية والعبرية ، والاحتكاك معها أدى إلى ظواهر لهجية سوف نتناولها بالدرس فيما بعد .

---

(١) فندريس : اللغة ٢٩٥
(٢) The Ency. of The Social sciences. (Dialect)

ولكن ما هى هذه العربية ، وما هى هذه اللهجات التى كانت تعيش معها قبل الإسلام ؟ . . . ليقل نساب اليمانية إن أول من تكلم بها يعرب بن قحطان ، ولتذهب النزارية إلى أن أسماعيل هو أول من نطق بها[1] ، فإن ذلك لايعنينا فى شيء . ذلك أننا لا نملك عن تاريخ هذه اللغة نصوصا توقفنا على طفولتها وتطور حياتها الأولى ، بل لعلنا نظن أن هذا الماضى القديم للغتنا العربية قد أصبح فى ذمة التاريخ ولا سبيل لنا الآن إلى أن نسترد منه شيئا ذا بال .

أما الذى يعنينا فهو تلك اللغة التى تتمثل لنا واضحة المعالم فى هذه النصوص الكثيرة التى تنتظم فيما تنتظم شعرا تعارفوا على تسميته بالشعر الجاهلى ، وأرخوا له بقرن ونصف قبل البعثة المحمدية ، وتنتظم أيضا نثرا يتمثل فى خطب وأمثال . . وهى تلك اللغة التى تصورها القراءات القرآنية أصدق تصوير . نحن إذن لن نوغل فى التاريخ أبعد من هذه الفترة التى تحددها النصوص الجاهلية .

وهذه اللغة فيما نعلم وفيما تؤكده طبيعة الأشياء لم تكن لغة متوحدة توحدا كاملا ، بل كانت لها لهجات كثيرة تختلف فيما بينها اختلافا يكبر أو يصغر حسبما يكون بينها من تقارب أو تباعد . لكن هذه اللهجات المختلفة لم تكن تمنع من وجود لغة مشتركة عامة يصطنعها أصحابها فيما يعن لهم من فن أو من جد القول .

فإذا كان الأمر كذلك ، فكيف تكونت هذه اللغة العامة ؟ . . أمن كل هذه اللهجات المختلفة أم من لهجة واحدة تهيأ لها من أسباب القوة والسلطان ما حقق لها السيادة على ما عداها من لهجات ؟

يكاد القدماء يتفقون على أن لهجة قريش هى أعلا اللهجات العربية وأفصحها وهى التى سادت شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام . يقول ابن فارس :

---

(١) المسعودى : التنبية والإشراف (ليدن ١٨٩٣) صفة ٨٠

« أجمع علماؤنا بكلام العرب ، والرواة لأشعارهم ، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم أن قريشا أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغـــة ، وذلك أن الله جـل ثناؤه اختارهم من جميع العرب واصطفاهم واختار منهم نبي الرحمة محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم . فجعل قريشا قطان حرمه ، وجيران بيته الحرام وولاته ... وكانت قريش — مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها — إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم . فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم التى طبعوا عليها . فصاروا بذلك أفصح العرب (١) » .

وينقل السيوطى فى الاقتراح عن الفارابى قوله « كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعا ، وأبينها إبانة عما فى النفس (٢) » . وينقل فى المزهر عن ثعلب قوله « ارتفعت قريش فى الفصاحـة عن عنعنة تميم وتلتـلة بهراء وكسكسة ربيعة وكشكشة هوزان وتضجع قيس وعجرفية ضبة (٣) » . كما ينقل قول الفراء « كانت العرب تحضر الموسم فى كل عام وتحج البيت فى الجاهلية وقريش يسمعون لغات العرب فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به فصاروا أفصح العرب ، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ (٤) » .

وهذه النصوص التى لا تكاد تختلف فى كتب العربية — على كثرتهـا — توضح لنا الأسباب التى بنى عليها القدماء حكمهم ، فقريش منهم النبى صـلى الله عليه وسلم ، وهم

---

(١) ابن فارس : الصاحبي (القاهرة ١٩١٠) ص ٢٣

(٢) السيوطى : الاقتراح فى علم أصول النحو (حيدر آباد ١٣١٠ هـ) ص ٢٢

(٣) السيوطى : المزهر فى علوم اللغة وأنواعها (القاهرة ١٣٢٥ هـ) ص ١٢٨

(٤) السابق : ١٣٢

قطان حرمه وجيران بيته الحرام ، وهم مطبوعون على الفصاحة بالفطرة ، ولهجتهم خالية من هذه العيوب التى يسمونها أحيانا كشكشة وأحيانا كسكسة وأحيانا أخرى بغير ذينك من الأسماء .

والذى لا شك فيه عندنا أن سببا واحداً حسب هو الذى جعلهم يضعون لهجة قريش هذا الموضع ، ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم قرشى ، أما أن قريشا لهم « غرائزهم وسلائقهم التى طبعوا عليها » فتلك مسألة يرفضها الدرس اللغوى الصحيح، إذ أنه — كما يقول سابير — « لا معنى لأن نقول إن هناك لغة — مهما تكن — أكثر فصاحة أو أكثر ارتباطاً من لغة أخرى. قد تكون أكثر تعقيداً أو أكثر صعوبة[١] » . ويذهب الأستاذ الخولى إلى أن تفضيل لغة على لغة « إنما هو همهمة لاهوتية تخلب بعبارتها الفنية ، فتنشر الظلال وتنثر البخور المخدر إلى غير حد معروف[٢] . »

وأما هذه العيوب التى خلت منها لهجة قريش والتى تنسب إلى كثير من القبائل العربية فمعرفتنا بها معرفة مبنية على نصوص قليلة مبتورة ، ومع أنها قد لا تخلو من بعض الحقيقة فإننا نظن أن بها نصيبا غير قليل من المبالغة ، بل لعلها دليل على طبيعة المجتمع العربى الذى كان يدفع كل قبيلة إلى أن تفتخر بلغتها وبشعرائها ، وهى — فى افتخارها هذا — تعزو إلى غيرها من القبائل عيوبا لسانية قد لا يكون لها نصيب كبير من الواقع ، وذلك أمر تؤيده حوادث التاريخ إذ يذكر رابين[٣] أن كثيراً من الشعوب الألمانية قد دأبت على أن تنسب إلى بعضها مثل هذه العيوب اللغوية .

ومهما يكن من أمر ، فقد اندفع القدماء يمجدون لهجة قريش على هذا النحو الذى

---

(١) Sapir (Edward) : Culture, Language and Personality Califorina 1960 p. 6

(٢) أمين الخولى : مشكلات حياتنا اللغوية (الجامعة العربية ١٩٥٨) ٦٣ — ٦٤

(٣) Rabin (chaim): Ancient West Arabia, Lonodon 1951, p.11

رأيناه ، فإذا ما لقيهم نص يناقض دعواهم راحوا يتعسفون تأويله بما يساير ما ذهبوا إليه ، إذ تذكر كتبهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أنى من قريش [١] » فذهبوا إلى أن (بيد) هنا بمعنى (من أجل) ونقلوا عن أبى عبيدة قول الشاعر [٢] .

عمداً فعلت ذاك بيد أنى   أخاف إن هلكت أن ترنى

والحديث فى رأينا واضح لا يحتاج إلى شىء من هذا التأويل ، إنما أحوجهم إليه تمجيدهم لهجة قريش ، ولعل مايؤيد رأينا من وضوح الحديث فى أن معنى (بيد أن) هو (غير أن) ما روى عن عمر أنه قال « يارسول الله مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا [٣] » .

وتردد الكتب كثيراً أيضا أن القرآن أنزل بلغة قريش [٤] ، ومع أن القرآن الكريم بقراءاته المتواترة والشاذة يناقض هذا الزعم على ما سيظهر خلال هذا البحث فإن النصوص الكثيرة التى يروونها عن (اللغات) التى نزل عليها القرآن كافية لنقض ذلك أيضا . إذ روى عن ابن عباس أنه قال « أنزل القرآن على سبع لغات منها خمس بلغة العجز من هوازن وهم الذين يقال لهم عليا هوازن وهم خمس قبائل أو أربع ، منها سعد بن بكر وجشم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف [٥] »

أليس عجيباً حقا أن يجمع هذا النص تلك القبائل دون أن يذكر قريشاً من بين من نزل القرآن على لغتهم ؟ أليس الأمر كما ذكرنا من أن لهجة قريش

---

(١) السيوطى : المزهر ١٢٦

(٢) السيوطى : همع الهوامع شرح جمع الجوامع (القاهرة ١٣٢٧ هـ) ١ : ٢٣٢

(٣) السيوطى : المزهر ١٢٦

(٤) الدانى المقنع : (ط دمشق) ص ٤

(٥) ابن فارس : الصاحبى ص ٢٨ والسيوطى : المزهر ١٢٧ ومع أننا لا نوافق على هذه النصوص أيضا فإننا أوردناها لمقابلتها من النص السابق .

اكتسبت هذا التمجيد عند القدماء لسبب واحد فقط وهو أن النبي قرشي؟ ... نحسب أن الأمر كذلك .

ذلك رأى القدماء فأى رأى يرى المحدثون ؟

فى الطريق ذاتها التى سلكها القدماء سار الدارسون المحدثون ، يجعلون من لهجة قريش المستوى الأعلى الذى انتهى إليه السيادة ، وهم فى ترديدهم لرأى القدماء لم ينهجوا النهج العلمى الصحيح فى الحكم على اللغات على النحو الذى سنبينه بعد .

فالأستاذ الرافعى يذهب إلى أن العربية مرت بأدوار ثلاثة كان آخرها « عمل قريش وحدها وهى القبيلة الأخيرة فى تاريخ الفصاحة بعد أن كان الثانى عمل القبائل جميعا ، وكان الأول عمل القبيلة الأولى ، فتكون اللغة قد أحكمت على أدوار التاريخ الاجتماعى كل الإحكام . وذلك أن قريشاً كانوا ينزلون من مكة بواد غير ذى زرع لا يستقل أهله بتكاليف الحياة ولا يرزقون إذا لم تهو إليهم أفئدة من الناس ، وكانت الكعبة ، شرفها الله ، وجهة العرب وبيت حجهم قاطبة فى الجاهلية ... وكانت تلك القبائل بطبائعها متباينة اللهجات مختلفة الأقيسة المنطقية فى غرائزها فكان قريش يسمعون لغتهم ويأخذون ما استحسنوه منها فيديرون به ألسنتهم ويجرون على قياسه » ... وينتهى به هذا الكلام الى أن يقول « ولا يسع المتأمل فى الأدوار التى تعاقبت على قريش فى تهذيبها اللغة إلا أن يستسلم للدهشة ويحار من أمر هذا التعاقب فإنه كالسلم المدرجة تنتهى الدرجة منها إلى درجة على نمط متساوق من الرقى إن لم يكن عجيباً فى تاريخ أمة متحضرة فهو عجيب على الخصوص فى تاريخ العرب ولا سيما إذا اعتبرنا مبدأ تلك النهضة وأنها لا تتجاوز مائة سنة قبل الهجرة إلى مائة وخمسين على الأكثر ، فلا بد من التسليم بأنها حادثة كونية من خوارق النظام الطبيعى ظهرت نتيجتها بعد ذلك فى نزول القرآن الكريم بلغة قريش وهو أفصح الأساليب

العربية بلا مراء والله يحكم بما يشاء ويقدر[1]! » .

أرأيت إلى هذا الترديد لأقوال القدماء ؟ وأرأيت إلى لغة ينبغي علينا أن نسلم بأنها « حادثة كونية من خوارق النظام الطبيعي » أرأيت إلى هذا كله ونحن نعلم أن اللغة تدرس الآن دراسة (علمية) بحسبانها ظاهرة اجتماعية وكائنا حياً له نواميسه التي لاتكاد تختلف أو تتخلف ؟

وعجيب حقـا أن الدكتور طه حسين الذي تناول الأدب الجاهلي بالشك وأخذ يهدمه هدما لم يختلف رأيه في هذا الموضوع عن رأي القدماء ، فهو يقول « فالمسألة إذن هي أن نعلم أسادت لغة قريش ولهجتها في البلاد العربية وأخضعت العرب لسلطانها في الشعر والنثر قبل الإسلام أم بعده ؟ أما نحن فنتوسط ونقول إنها سادت قبيل الإسلام حين عظم شأن قريش وحين أخذت مكة تستحيل إلى وحدة سياسية مستقلة مقاومة للسياسة الأجنبية التي كانت تتسلط على أطراف البلاد العربية » . . . وأن قريشاً « كان لها سلطان سياسي حقيقي ولكنه قوي في مكة وما حولها . وهذا السلطان السياسي كان يعتز بسلطان اقتصادي عظيم فقد كان مقدار عظيم جداً من التجارة في يد قريش ، وكان هذا السلطان يعتز بسلطان ديني قوي مصدره الكعبة التي كان يحج إليها أهل الحجاز وغير أهل الحجاز من عرب الشمال. فقد اجتمع لقريش إذن سلطان سياسي واقتصادي وديني . وأخلق بمن يجتمع له هذا السلطان أن يفرض لغته على من حوله من أهل البادية » .. ثم ينتهي به الأمر إلى قوله إن « لغة قريش إذن هي هذه اللغة العربية الفصحى فرضت على قبائل الحجاز فرضا لايعتمد على السيف وإنما يعتمد على المنفعة وتبادل الحاجات الدينية والسياسية والاقتصادية . وكانت هذه الأسواق التي يشار إليها في كتب الأدب كما كان الحج وسيلة من وسائل

---

(١) مصطفى صادق الرافعي : تاريخ آداب العرب (القاهرة ١٩١١) ١ : ٨٢ — ٨٤

السيادة للغة قريش [١] ».

ويوسع الدكتور حسن عون الدائرة فيقول « وحتى لو سلمنا جدلا بأن اللهجة القرشية الأولى قد امحت تماما وحل محلها هذا الخليط من اللهجات الأخرى فإننا لا نزال نجد أنفسنا أمام لهجة متماسكة ومتميزة عن غيرها من اللهجات الأخرى . ويستوى فى ذلك أن نسميها لهجة قريش أو لهجة بيئة الحجاز [٢]) ».

وكذلك يرى الدكتور شوقى ضيف أن لهجة قريش هى عين العربية الفصحى وهى التى انتهى إليها السيادة والانتشار [٣] .

وبالرغم من أن الدكتور أنيس يقدم كلاما لايختلف عن ذلك حين يقول « وهكذا نرى أن بيئة مكة قد هيئت لها ظروف وفرص بعضها دينى وبعضها اقتصادى واجتماعى مما ساعد على أن تصبح المركز الذى تطلعت إليه القبائل ، وشدت إليه الرحال قرونا عدة قبل الإسلام . فكان أن نشأت بها لغة مشتركة أسست فى كثير من صفاتها على لهجة مكة » . فإنه يختم حديثه برأى نظنه أقرب إلى النظرة العلمية الصحيحة إذ يقول « فلا يمثل القرآن لغة قريش وحدها كما يتردد أحيانا فى بعض الكتب والروايات ، وإنما يمثل اللغة المشتركة بين العرب جميعاً لغة الأدب من شعر وخطابة وكتابة [٤] » .

وهذه الآراء كلها تبنى حكمها هذا على عدة اعتبارات ، منها ما هو من قبيل الإعجاز على نحو ما رأينا عند الأستاذ الرافعى من أنها « حادثة كونية من خوارق النظام الطبيعى » ، ومنها ما هو دينى لكون مكة منزل قريش وما يتبع ذلك من حج ومن

---

(١) الدكتور طه حسين : فى الأدب الجاهلى (المعارف ١٩٥٢) ١٣٣ — ١٣٦

(٢) الدكتور حسن عون : اللغة والنحو (الاسكندرية ١٩٥٢) ٤٣ — ٤٤

(٣) الدكتور شوقى ضيف : تاريخ الأدب العربى — العصر الجاهلى (القاهرة ١٩٦١) ص ١٣٣ — ١٣٤

(٤) الدكتور ابراهيم أنيس : مستقبل اللغة العربية المشتركة (الجامعة العربية ١٩٦٠) ص ٨ — ٩

لقاء ، ومنها ما هو اقتصادى لاشتغال قريش بالتجارة ولما كان لسوق عكاظ من مكانة لدى شعراء العرب .

وهذه الأسباب كلها — فى رأينا — لا تقوى دليلا على تمكين لهجة قريش من السيطرة والسيادة . ألم يكن فى شبه الجزيرة أسواق غير عكاظ يلتقى الناس فيها للتجارة ، وأين ذهبت دومة الجندل والمشقر وهجر وعمان وصحار والشحر وغيرها من أسواقهم فى الجاهلية (١) ؟ وهل نستطيع أن نتصور أن العرب لم يكونوا يلتقون إلا فى مكة أيام الحج وأيام عكاظ ؟ .. وأين كانت حروبهم التى كانت تستمر سنوات ذوات عدد ؟ وأين هجراتهم المستمرة بحثاً عن الرزق ؟ وأين أحلافهم التى كانت تجمع بينهم ؟ ... ونحن لا نستطيع أن نتصور أن القبائل العربية كانت تعيش منعزلة تقبع كل قبيلة منها فى منازلها ولا تبرحها إلا للحج أو لعكاظ (إذ من العسير حقا على عدد قليل من الناس الحياة فى تلك البيئات الشديدة القيظ القليلة المياه المجدبة القفراء . ولكنهم حين يتعاونون ويكثر عددهم قد يستفيدون من خبرة بعضهم فى شق الآبار وخبرة الآخرين فى تقفى الآثار أو الاهتداء بالنجوم والكواكب ليلا ، كما قد يستعينون بتجارب المجربين منهم لمعرفة مواضع الرعى والكلأ فى المواسم المتعددة ، أو حتى فى شن الغارات للنهب والسلب طلبا للقوت وما يكفل لهم الحياة ويصد عنهم الهلاك . وقد دلت ملاحظات اللغويين من المحدثين على أنه حيث تقسو الطبيعة بالحر أو بالبرد يميل الناس إلى الاتصال بعضهم ببعض فى صورة جماعات كثيرة العدد ولا يكاد ينفرد أو ينعزل فى مثل تلك البيئة عدد قليل من الأفراد . ويترتب على ذلك الاتصال أن تقل الفروق بين اللهجات (٢) .

---

(١) انظر سعيد الأفغانى . أسواق العرب فى الجاهلية والاسلام (دمشق ١٩٣٧) ص ١٩٣ — ٣٢٣

(٢) الدكتور أنيس . مستقبل اللغة العربية المشتركة ص ٢١

ومع كل ذلك فإن آراء الدارسين المحدثين لا تقوم — كما قلنا — على أساس لغوى علمى صحيح ، لأننا لا نستطيع أن نحكم على لغة من اللغات خلال أقوال الرواة عنها، خاصة وأن هذه الأقوال ذاتها ينبغى أن نأخذها بشىء كبير من الحيطة والحذر لأنها — كما نحسب — لم تصدر إلا عن تمجيد لقبيلة الرسول صلى الله عليه وسلم . ولقد كنا نستطيع أن نحكم هذا الحكم لو توافرت لدينا نصوص لغوية من لهجات القبائل تتميز بها أمامنا لهجة قريش وغيرها بحيث يُظهر لنا تطور هذه النصوص أن لهجة قريش استطاعت أن تسود غيرها من اللهجات ،وأن تفرض نفسها لغة نموذجية مشتركة يصطنعها الشعراء فى شعرهم والخطباء فى خطبهم . أما وأننا لا نملك هذه النصوص ولا نعرف شيئاً عن هذا التطور ، لأنا وجدنا أنفسنا فجأة أمام لغة نموذجية مشتركة قال لنا عنها القدماء وتبعهم المحدثون إنها لغة قريش — فإننا نظن أن ذلك كله أمام المنهج اللغوى العلمى ليس إلا ضربا من الحدس والتخمين .

ثم إن أمامنا هؤلاء الشعراء المشهورين الذين يعرفون بأصحاب المعلقات والذين اعتبر العرب قصائدهم نماذج عليا للغة العربية، فأيهم كان قرشياً ؟ أليس لافتاً أن تكون قريش « أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعا ، وأبينها إبانة عما فى النفس » ولا يكون منها شاعر واحد يكون رمزاً لهذه الإبانة وتلك الفصاحة ؟

والرأى عندنا بعد هو ما نحسبه موافقا لطبيعة التطور اللغوى ، وهو أن شبه الجزيرة العربية كانت بها لهجات كثيرة مختلفة تنتسب كل لهجة منها إلى أصحابها ، وإلى جانب هذه اللهجات كانت هناك لغة عربية مشتركة تكونت على مر الزمن بطريقة لا سبيل لنا الآن إلى تبينها ، وهذه اللغة المشتركة لا تنتسب إلى قبيلة بذاتها لكنها تنتسب إلى العرب جميعا ما دامت النصوص الشعرية والنثرية لا تكاد تختلف فيما بينها ، وهذه النصوص — كما نعلم — ليست قرشية أو تميمية أو هذلية فقط ، بل

هي من قبائل مختلفة مما يدل على أن هذه اللغة المشتركة هي التي كان الأدباء يصطنعونها في فنهم القولي ، ونحن لا نستطيع أن نتصور أنهم كانوا يتحدثون في بيعهم وشرائهم وهزلهم باللغة ذاتها التي ينظمون بها شعرهم أو يضعون فيها خطبهم .

ومع وجود هذه اللغة المشتركة احتفظت اللهجات المختلفة ببعض خصائصها ، فقريش لها خصائصها اللهجية كما أن لتميم أو لطيء أو لغيرها خصائصها اللهجية ، ولقد دخل كثير من هذه الخصائص اللغة الفصحى كما تمثلها لنا القراءات القرآنية .

ومع دخول بعض هذه الخصائص إلى اللغة الفصحى نقول إن خصائص لهجة قريش ليست هي الغالبة على غيرها . وليس أدل على ذلك من ظاهرة الهمز في العربية فالمعروف أن أهل الحجاز — ومنهم قريش — يجنحون إلى تخفيف الهمزة ، وغيرهم من قبائل العرب يحققها فالهمز إذن ليس قرشياً ، وهو الغالب مع ذلك على التسهيل في الشعر الجاهلي وهو السائد أيضا في القراءات القرآنية حتى إن ابن كثير وهو قارئ مكة كان يهمز . وسوف يتولى الباب الرابع من هذا البحث بيان ذلك بما سيعرضه من درس للهجات القبائل في القراءات القرآنية .

* * *

وبعد ، فإذا كان الأمر كما بينا من أنه قد كانت هناك لهجات عربية كثيرة إلى جانب اللغة النموذجية المشتركة فكيف تناول العرب القدماء درس هذه اللهجات ؟ . . ذلكم ما سنبينه في الفصل التالي .

الفصل الثاني

لهجات القبائل في كتب العربية

نحن نعلم أن ما بين اللهجة واللغة هـــو ما بين الخاص والعام أو مابين الفرع والأصل ، لـكن العرب القدماء حين كانوا يشيرون إلى تلك الفروق بين لهجات القبائل لم يستعملوا مصطلح (اللهجـــة) على النحو الذى نعرفه فى الدرس اللغوى الحديث ، بل إنهم لم يستعملوه قط فى كتبهم ، وغاية ما وجدناه عنـــدهم ما تردده معاجمهم من أن (اللهجة) هى اللسان أو طرفه أو جرس الكلام ، ولهجة فلان لغته التى جبل عليها فاعتادها ونشأ عليها [1]. وإنما كانوا يطلقون على اللهجة (لغة) أو (لغية) ، ولعل ذلك راجع إلى أنهم لم يتوفروا على دراسة لهجة كاملة من لهجات القبائل التى كان يتكلمها الناس فى حياتهم العادية ، بل كل ملاحظاتهم إنما تنصب على هذه الفروق اللهجية التى دخلت الفصحى .

نعم نحن لا نعرف كتابا واحدا تخصص فى دراســـة اللهجات العربية القديمة ، لـكن كتبهم تذكر أنهم عرفوا نوعا من الـكتب أطلقوا عليهـــا كتب اللغات نذكر منها :

١ ـــ كتاب اللغات ليونس بن حبيب ت ١٨٣ هـ [2]

٢ ـــ كتات اللغات للفراء ت ٢٠٧ هـ [3]

---

(١) الجمدرة : الصحاح : اللسان (لهج)

(٢) ابن النديم : الفهرست (ط الاستقامة) ص ٦٩

(٣) » » » ص ١٠٤

كتاب اللغات لأبى عبيدة ت ٢١٠ هـ [1]

كتاب اللغات للأصمعى ت ٢١٣ هـ [2]

٥ ـ كتاب اللغات لأبى زيد ت ٢١٥ هـ [3]

٦ ـ كتاب اللغات لابن دريد ت ٣٢١ هـ [4]

٧ ـ كتاب السبب فى حصر لغات العرب لحسين بن مهذب المصرى ت ٦٥٠ هـ [5]

ونحن لانعرف شيئا عن هذه الكتب إذ لم يصلنا منها كتاب واحد لسوء الحظ ، لكننا نستطيع أن نتبين بعض طرائقها مما نقله بعض اللغويين ، إذ ينقل ابن دريد من كتاب اللغات لأبى زيد « إنه ليأخذ فى كل فنّ وسنّ وعنّ أى فى كل وجه » .

« ويقال النّكر والنُّكر والفَكر والفِكر والفِكرة ويقال سَرَق سَرقا وسرَقا وسرِقا » .

« ويقال انتُقع لونه وامتُقع واهتُقع والتُمع والتُهم وانتُسف » . [6]

«ويقولون مِتُّ ومُتُّ ودِمتُ ودُمتُ ، فمن قال مِتُّ قال يَمات، ومن قال دِمتُ قال يَدام يدام ، وأكثر ما يتكلم به طيء [7] » .

وواضح من هذه النصوص أن هذه الكتب كانت نوعا من المعاجم ، وأن مؤلفيها

---

(١) ابن النديم : الفهرست ص ٨٥

(٢) ابن النديم : ص ٨٨

(٣) ابن النديم ٨٧

(٤) السابق : ٩٧

(٥) السيوطى: بغية الوعاة (القاهرة ١٣٢٦ هـ) ص ٢٣٦

(٦) ابن دريد : الجمهرة ٣ / ٤٧٢

(٧) السابق : ٣ / ٤٨٤

لم يكونوا يهتمون ـ إلا فى القيل ـ بعزو اللهجات إلى أصحابها .

وتذكر كتب التراجم أيضا أنهم ألفوا فى نوع أخص من ذلك وهو « كتب اللغات فى القرآن » . نذكر منها :

١ ـ لغات القرآن للفراء [١]

٢ ـ لغات القرآن للأصمعى [٢]

٣ ـ لغات القرآن لأبى زيد [٣]

ولقد وصلنا من كتب لغات القرآن كتابان ، أولهما رسالة لأبى عبيد القاسم بن سلام (ت ٢١٤ هـ) [٤] بعنوان «ماورد فى القرآن الكريم من لغات القبائل » [٥] ، وثانيهما « كتاب اللغات فى القرآن » [٦] أخبر به إسماعيل بن عمرو المقرىء (ت٤٢٩هـ) [٧]. ويذهب الدكتور أحمد علم الدين الجندى إلى أنهما كتاب واحد لإسماعيل بن عمرو وأن أبا عبيد ليس له فيه نصيب [٨] . لكننا نرى أنهما كتابان للأسباب الآتية : —

١ ـ أن أبا عبيد من أوائل الذين كتبوا فى القراءات والصلة بين القراءات

---

(١) الفهرست : ٥٩

(٣) « ٥٩

(٢) « ٥٩

(٤) « ١١٢

(٥) وهى مطبوعة على هامش تفسير الجلالين (الحلبى ١٣٤٢ هـ) ١ / ١٢٤

(٦) حققه ونشره صلاح الدين المنجد (ط الرسالة ١٩٤٦)

(٧) ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء (السعادة ١٩٣٢) ١ / ١٦٧

(٨) الدكتور احمد علم الدين الجندى : اللهجات العربية كما تصورها كتب النحو واللغة. رسالة دكتوراة من جامعة القاهرة ١٩٦٥

واللهجات ليست فى حاجه إلى بيان .

٢ ـ أن أبا عبيد له مجهوده فى راوية اللغة وما فيها من اتصـــال باللهجات على النحو الذى يظهر من كتابه الغريب المصنف [١] .

٣ ـ أن السيوطى ينقل عنه فى الإتقان [٢] بعض اللهجات الواردة فى هذه الرسالة قائلا « أخرج أبو عبيد من طريق عكرمةعن ابن عباس .» وفى آخر نقله يقول « انتهى ما ذكره أبو القاسم ملخصا » .

٤ ـ أن المادة اللهجية فى الكتابين ليست واحدة ، فمن ناحية توجد فى رسالة أبى عبيد سبع وثلاثون لهجة [٣] غير موجودة فى كتاب إسماعيل بن عمرو ، وفى هذا الأخير إحدى وعشرون لهجة [٤] ليست فى رسالة أبى عبيد . وهناك من ناحيـــة أخرى ثلاث عشرة لهجة يعزوها أحدهما إلى قبيلة غــــير التى يعزوها إليها صاحبه [٥] .

وعلى كل فإن منهج الكتابين واحد ، وهما يتناولان اللهجات — فى الأغلب

---

(١) أبو عبيد : الغريب المصنف . مخطوطة بدار الكتب رقم ١٢١ لغة . انظر مثلا صفحات ١٤ ـ ٢٤٩ ـ ٢٥٠ ـ ٣٥٣ ـ ٣٦١ ـ ٢٦٧ ـ ٢٧٢ ـ ٧٨ .

(٢) السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن : حجازى ١٣٦٨ هـ : ١ / ١٣٤

(٣) انظر صـــفحات جـ ١ / ١٢٦ ـ ١٢٩ ـ ١٣٠ ـ ١٤٦ ـ ١٤٨ ـ ١٥٣ ـ ١٧٩ ـ ١٨٤ ـ ١٨٨ ـ ١٩٧ ـ ١٩٩ ـ ٢٠٥ ـ ٢١٦ ـ ٢٢٩ ـ ٢٣٣ ـ ٢٣٦ ـ جـ ٢ / ٨ ـ ٢٩ ـ ٣٠ ـ ٥٦ ـ ٦٤ ـ ٦٦ ـ ٧٦ ـ ١٠٢ ـ ١٢٦ ـ ١٨٧ ـ ٢٠٣ ـ ٢١٣ ـ ٢٢٦ ـ ٢٣٥ ـ ٢٥٨ ـ ٢٦٢ .

(٤) انظر صفحـــات : ٢١ ـ ٢٢ ـ ٢٧ ـ ٢٨ ـ ٣١ ـ ٣٣ ـ ٣٤ ـ ٣٥ ـ ٤١ ـ ٤٢ ـ ٤٤ ـ ٥٠

(٥) انظر رسالة أبى عبيد جـ ١ : ١٦٠ ـ ٢٣٢ ـ ٢٣٤ ـ جـ ٢ / ٨ ـ ١٢٢ ـ ١٢٥ ـ ١٤٤ ـ ١٦٣ ـ ٢٠٥ ـ ٢٣٢ وما يقابلها فى كتاب إسماعيل ابن عمرو

الأعم — على المستوى الدلالى وليس فيهما إلا قليل جدا على المستوى الصوتى من نحو (قرح) بالفتح لغة الحجاز وبالضم لغة تميم [١] .

وتعتبر المعاجم — بطبيعة مادتها — مصادر هامة للهجات ، ولكن كثيرا منها لم يهتم بعزوها إلى قبائلها ، فصاحب اللسان مثلا لا يكاد يذكر إلا قليلا جدا من لهجات القبائل بل إنه يكتفى بقوله « لغة فيه » أو «عند بعض العرب » ، والمعجمان اللذان نعتبرهما مصدرين هامين للهجات وبخاصة لهجات اليمن هما : —

١ - الجمهرة لابن دريد ، إذ تنتشر فيه ثلاث وعشرون لهجة أكثرها من اليمن [٢] . والغريب أنه لم يذكر من لهجات قبيلته الأزد إلا سبع عشرة مادة .

٢ - شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنشوان بن سعيد الحميرى ، وهو فى رأينا أهم مصدر لدراسة اللهجات اليمنية [٣] . إذ لا تكاد تخلو صفحة فيه من لهجة يمنية [٤] .

وهناك أيضا هذه المعاجم الخاصه التى كانت تجمع مادة لغوية فى موضوع واحد ، إذ كان أصحابها يهتمون باللهجات مثل ما نجد فى كتاب « النخل والكرم [٥] »

---

(١) رسالة أبى عبيد ١ / ١٢٨

(٢) الجمهرة — الفهارس ٨٢٣

(٣) نشوان بن سعيد : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم . مخطوطة بمكتبة المسجد الأحمدى بطنطا رقم خ ١٩ ، ع ١٩٧٨

(٤) نشوان بن سعيد : منتخبات فى أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم (نشر عظيم الدين أحمد. ليدن ١٩١٦) انظر مثلا صفحات ٦ ٧ ٩ - ١٤ - ١٧ - ٢٣ ٢٦ - ٢٧ - ٢٩

(٥) البلغة فى شذور اللغة نشر أوغست هفنر ولويس شيخو (بيروت ١٩٠٨) ص ٦٥ - ٦٨

للأصمعى ، وفى كتاب المطر لأبى زيد [١] ، وفى « كتاب الرحل والمنزل » لأبى عبيد [٢] .

ومما نعتده من المعاجم الخاصة أيضا ماجاء فى « المشترك » و « المترادف » و « الأضداد » فالمشترك كما يرون إنما يجىء « على لغتين متباينتين [٣] . » ومن أمثلة اللهجات فيه قول أبى زيد « الألفت فى كلام قيس الأحمق والألفت فى كلام تميم الأعسر [٤] . » وهم يرون أيضا أن الترادف إنما يكون « من واضعين وهو الأكثر بأن تضع إحدى القبيلتين أحد الاسمين والأخرى الاسم الآخر للمسمى الواحد من غير أن تشعر إحداهما بالأخرى ثم يشتهر الوضعان ويخفى الواضعان [٥] . » ولم نجد عند الرمانى عزوا واحدا لأيه لهجة فى كتابه .

وهم يعللون الأضداد باختلاف اللهجات « فإذا وقع الحرف على معنيين متضادين فمحال أن يكون العربى أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما ولكن أحد المعنيين لحى من العرب والمعنى الآخر لحى غيره ثم سمع بعضهم لغة بعض فأخذ هؤلاء عن هؤلاء وهؤلاء عن هؤلاء ، قالوا فالجون الأبيض فى لغة حى من العرب والجون الأسود فى لغة حى آخر ثم أخذ أحد الفريقين من الآخر [٦] » .

وفى كتاب ابن الأنبارى ذكر للقبائل الآتية [٧] :

الحجاز — قريش — كنانة — خزاعة — نصر — هزيل — طىء — حمير — تميم .

---

(١) السابق : ١١٢

(٢) السابق : ١٢٨

(٣) السيوطى : المزهر ١/٢٢٧

(٤) السابق : ١/٢٢٥

(٥) الرمانى : الألفاظ المترادفة (القاهرة الطبعة الثانية) ٣ — ٤

(٦) ابن الأنبارى : الأضداد فى اللغة (القاهرة ١٣٢٥ هـ) ص ١٠

(٧) السابق : صفحات ١٥ — ٣٥ — ٧٧ — ٢٩٩ — ٣٦٩

وفى كتاب الأضداد للأصمعى (١) :

الحجاز — هذيل — عقيل — طىء — بنو هلال .

وفى كتاب السجستانى (٢)

الحجاز — هذيل — كنانة — نصر — خزاعة — عقيل — اليمن .

ومن أمثلة اللهجات فى الأضداد « السدفة فى لغة تميم الظلمة والسدفة فى لغة قيس الضوء » و « لمقت الشىء ألمقه لمقا إذا كتبته فى لغـــة بنى عقيل وسائر قيس يقولون لمقته محوته (٣) » .

وتأتى بعد ذلك كتب النوادر وهى مصدر طيب لدراسة اللهجات ، وبين أيدينا كتاب النوادر لأبى زيد نجد فيه مادة خصبة لهذه الدراسة فهو كثيرا مايعزو اللهجات إلى أصحابها ، فإذا فقدنا هذا العزو وجدناه فى تحديده لقبيلة الشاعر حيث يقول مثلا « قال فلان من تميم أو فلان الهذلى أو راجز من حمـــير . . . الخ . » ومن أمثلة اللهجات فيه قوله : (٤)

أنشدتنى أعرابية من بنى كلاب :

فتعلمن وإن هـــويتك عنى قطاع أرمام الحبـــال صروم

فقلت لها ما هذا ؟ فقالت هذه عَنْعَنَتُنا وبعضهم يقول عنعنة فلان » .

أما الأمثال فإن دراستها تفيد الدرس اللهجى أيما إفادة ، لأن الأمثال لغة الشعب التى يطلقها فور الحدث دون تصنع ، وهى من هنا تعتبر مرآة صادقة للهجة ، ويعتمد عليها دارس اللهجات العامية اعتماداً كبيراً . وفى كتاب الميدانى ذكر أمثال منسوبة إلى لهجاتها من نحو « أتى عليهم ذو أتى . هـــذا مثل من كلام طىء . وذو فى لغتهم

---

(١) ثلاث كتب فى الأضداد: تحقيق أوجست هفنر (بيروت ١٩١٢) صفحات ٥ — ٣٩ ٤٠ — ٤٣ — ٤٤ — ٥٢

(٢) السابق : ٧٥—٨١—١٠١—١٢٦—١٤٤

(٣) السيوطى : المزهر ١ : ٣٣٠

(٤) أبو زيد : كتاب النوادر فى اللغة : تحقيق سعيد الشرتونى (بيروت ١٨٩٤) ص ٢٩

تـكون بمعنى الذى ، يقولون نحن ذو فعلنا كذا أى نحن الذين فعلنا كذا ، وهو ذو فعل كذا وهى ذو فعلت كذا قال شاعرهم :

فإن الماء ماء أبى وجدى وبئرى ذو حفرت وذو طويت

ومعنى المثـل أتى عليهم الذى أتى على الخلق يعنى حوادث الدهر [1] » ومثـل «ليت القسىَّ كلَّها أرجلا . كذا ورد المثل نصبا وهى لغة تميم يعملون ليت إعمـال ظن فيقولون : ليت زيداً شاخصاً كما يقولون ظننت زيداً شاخصاً » [2] .

والضرورة الشعرية كذلك فى حاجة إلى دراسة جديدة ، تستقرئهـا وتردها إلى أصولها ، لأن هذه التى يسمونها ضرائر تلجىء إليها طبيعة الشعر ليست ـ فى رأينا ـ إلا لهجات عربية ، وهى ليست خاصة بالشعر على ما سيظهر من دراستنا للقراءات القرآنية ، وهى ليست كذلك ضرورة إلا إذا كنا نقصد منها انتقال الشاعر من لهجة إلى أخرى خضوعا للوزن الشعرى ، لـكنا نحسب أنهم لم يـكونوا يعنون ذلك .

وأنت ترى فى تناولهم لبعض هذه الضرائر ترددهم بينها وبين اللهجة . من ذلك قولهم فى البيت :

فما سودتنى عامر عن وراثة أبى الله أن أسمو بأم ولا أب

« الشاهد فيه إسكان الواو فى أسمو وهو منصوب بأن ، فمنهم من يجعل ذلك لغة ومنهم من يجعله ضرورة [3] » .

أو قولهم فى البيت :

أو راعيان لبعران شردن لنا كى لا يحسان من بعراننا أثرا

---

(١) الميدانى : مجمع الأمثال (القاهرة ١٣١٠) ١ : ٤٥

(٢) السابق : ٢ : ٩٠

(٣) ابن يعيش : شرح المفصل (ط المنيرية) ١٠ : ١٠١

« قال الأندلسى إما أن يقال هى (كى) لغـة فى كيف أو يقال حذف فاء كيف ضرورة » . [١] . .

بل إن بعضهم يصرح أن بعض هـذه الضرائر لهجات مثلما نجد عند أبى سعيد القرشى فى أرجوزته فى الضرائر [٢] .

وربما تصادف الضرورة بعض لغات العرب المشهورة

وهم يعدون من الضرائر صرف الممنوع ، وقصر الممدود ، والوقف على المنون المنصوب بحذف الألف ، وحذف النون من اللذين واللتين والذين . . . الخ [٣] . ولسوف يظهر لك أن هذه الظواهر كلها لهجات وردت بها قراءات قرآنية .

أما كتب النحو فلسنا نتوقع أن تقدم لنا من اللهجات أكثر مما قدمت ، ذلك أن أصحابها يتناولون اللغة بالتقنين والتنظيم ، وشرط اللغـة الاطراد ، ولكن لو أنهم أعطوا اللهجات حقها من الدرس لأراحونا من كثير من تأويلاتهم النحوية التى تبعدهم عن الفهم الصحيح للظاهرة اللغوية على النحو الذى نعرفه فى تخريجهم (إن هذان لساحران) مثلا .

ومع ذلك فأمامنا كتاب سيبويه لم يخل تماما من ذكره لبعض اللهجات ، وهو وإن كان يكتفى فى كثير من الأحيان بذكر اللهجـة دون تعيين أصحابها قائلا : « وقوم من العرب يقولون [٤] » أو « وناس من العرب [٥] » أو « بعض العرب

(١) الاستراباذى : شرح الكافية (استانبول ١٣٠٥ هـ) ٢ : ١١٧

(٢) الألوسى : الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر (القاهرة ١٣٤١هـ) ص ٣٤

(٣) الألوسى : الضرائر صفحات ٣٢ — ٣٤ — ٥٧ — ٦٣ — ٦٨ على التوالى

(٤) سيبويه : الكتاب ١ : ١٦٤

(٥) السابق ١ : ٢٥٤

الوثوق بهم[1] » . فإن فيه ذكراً للقبائل الآتية[2] :

الحجاز — تميم — أسد — فزاره — طىء — بكر بن وائل — ربيعة قيس — هذيل — بنو العنبر .

لكن معظم لهجاته تكاد تكون محصورة فى هاتين الوحدتين الكبيرتين ؛ الحجاز وتميم . وهو يطلق على اللهجات أحكاما لا نعرف تماما الأساس الذى تبنى عليه ، فهو يصف اللهجة مثلا بأنها « لغة رديئة » أو « رديئة جداً »[3] أو «ضعيفة»[4] أو « قليلة خبيثة »[5] لكننا نعرف أنه حين يصف اللهجة بالجودة إنما يفعل ذلك لأنها لهجة أهل الحجاز بل كثيراً ما يقرن الحجازية بالجودة كأن يقول: « والبيان فى كل هذا عربى جيد حجازى[6] » ولهجة تميم أيضا تحظى باحترامه ، ففى معرض الحديث عن (ما) يقول « وأما بنو تميم فيجرونها مجرى أما وهل، وهو القياس لأنه ليس بفعل كليس ، ولا يكون فيه إضمار »[7] . ويقول عن الحكاية عند أهل الحجاز وتميم « وبنو تميم يرفعون على كل حال وهو أقيس القولين »[8] .

أما النحاة الذين اهتموا باللهجات اهتماما كبيرا فهم أولئك النحاة المتأخرون مثل ابن مالك وشراح ألفيته ، والرضى الإستراباذى ، والسيوطى .

ونظرة واحدة على الإحصاء التالى من همع الهوامع تدلك على حجم المادة اللهجية فيه ، إذ ورد فى الكتاب ذكر للهجات القبائل الآتية :

---

(١) السابق ١ : ٣٢٤
(٢) أنظر صفحات ١ : ٣٦٠ ، ٢ : ٢٥٦ — ٢٨٢ — ٢٧٨ — ٢٨٧ — ٢٩٤ — ٣٢١ — ٤٠٨ — ٤٢٨
(٣) سيبويه : الكتاب ٢ : ٢٩٤
(٤) « « ٢ : ٣٥٨
(٥) « « ١ : ١٦٤
(٦) سيبويه : الكتاب ٢ : ٤٠٧
(٧) « « ١ : ٢١
(٨) « « ١ : ٣٥٦

الحجاز — تميم — هذيل — طيء — كنانة — بنو الحارث بن كعب — بنو العنبر — بنو الهجيم — ربيعة — بكر بن وائل — زبيد — خثعم — همدان — عذرة — حمير — عقيل — أهل العالية — بنو سليم — أزد شنوءة — فقعس — عكل — أسد — قضاعة — أهل اليمامة فزارة — قيس — أهل نجد — اليمن .

لكن المادة اللهجية فى كتب النحاة ينبغى أن نأخذها بشىء غير قليل من الحذر إذ يبدو أن شواهدهم لم تسلم من الوضع ، يدلك على ذلك ما روى عن المازنى من أن اللاحق قال: سألنى سيبويه عن شاهد فى تعدى فَعِلٍ نعملت له هذا البيت[1]:

حَذِرٌ أموراً لا تضير وآمن

ونحن نعتبر ابن جنى أقرب اللغويين العرب إلى الفهم الصحيح للدرس اللغوى ، فهو يعقد فى خصائصه بابا بعنوان «باب اختلاف اللغات وكلها حجة »[2] . يرى فيه أنه لا فرق فى الاستعمال بين لهجة وأخرى، يشعرك بذلك قوله «ألا ترى أن لغة التميميين فى ترك إعمال (ما) يقبلها القياس ، ولغة الحجازيين فى إعمالها كذلك ، لأن لكل واحد من القومين ضربا من القياس يؤخذ به ويخلد إلى مثله ، وليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبتها ، لأنها ليست أحق بذلك من رسيلتها ، ولكن غاية مالك فى ذلك أن تتخير إحداها فتقويها على أختها وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها ، وأشد أنساً بها ، فأما رد إحداها بالأخرى فلا[3]». ويقول « فإذا كان الأمر فى اللغة المعول عليها هكذا وعلى هذا (أى قليلة) فيجب أن يقل استعمالها ، وأن يتخير ما هو أقوى وأشيع منها ، إلا أن إنسانا لو استعملها لم يكن مخطئاً لكلام العرب ،ولكنه يكون مخطئاً لأجود اللغتين ... وكيف تصرفت الحال فالناطق على قياس لغة من

(١) ابن يعيش : شرح المفصل ٦ : ٧٢

(٢) ابن جنى : الخصائص ٢ : ١٠

(٣) السابق : ٢ : ١٠

لغات العرب مصيب غير مخطىء وإن كان غير ما جاء به خيرا منه [1] .

ويدرك أبو الفتح ما للمصدر البشرى من قيمة كبيرة فى استقاء اللغة ، هذا المصدر الذى يعتمد عليه دارسو اللهجة فى المقام الأول والذى يسمونه The informer ، ففرق كبير جداً بين أن تسمع الظاهرة اللغوية من أصحابها الناطقين بها وبين أن تروى لك هذه الظاهرة رواية من طريق غيره ، إذ لا بد من معرفة الملابسات التى تحيط بالمتكلم عند الكلام وما قد يصحب ذلك من إشارات تضيف إلى طريقة النطق معانى أخرى لا تفيدها الرواية ، وانظر إلى هذا النص عنده « فليت شعرى إذا شاهد أبو عمرو وابن أبى اسحق ويونس وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه وأبو الحسن وأبو زيد وخلف الأحمر والأصمعى ومن فى الطبقة والوقت من علماء البلدين،وجوه العرب فيما تتعاطاه من كلامها وتقصد له من أغراضها ، ألا تستفيد بتلك المشاهدة وذلك الحضور ما لا تؤديه الحكايات ولا تضبطه الروايات فتضطر إلى قصود العرب وغوامض ما فى أنفسها حتى لو حلف منهم حالف على غرض دلته عليه إشارة لا عبارة ، لكان عند نفسه وعند جميع من يحضر حاله صادقا فيه ، غير متهم الرأى والنحيزة والعقل [2] . »

وهو حين يأخذ اللغة من مصدرها البشرى تجده يضع الأسئلة بطريقة علمية توصله إلى الظاهرة التى يريد أن يعرفها ، فهو يسأل أبا عبد الله الشجرى « كيف تجمع (دكانا) ؟ فقال دكاكين ، قلت فسرحانا ؟ قال سراحين ، قلت فقرطانا ؟ قال قراطين ، قلت فعثمان ؟ قال عثمانون . فقلت له : هلا قلت أيضا عثامين ! أرأيت إنسانا يتكلم بما ليس من لغته ، والله لا أقولها أبداً » [3] .

وعلى ذكر هذا المصدر البشرى نذكر أن اللغويين العرب أخذوا مادتهم اللغوية

---

(١) ابن جنى : الخصائص ٢ : ١٢

(٢) السابق ١ : ٢٤٨

(٣) ابن جنى . الخصائص ١ : ٢٤٢

عن طريقين ؛ أولهما الخروج إلى البادية والحياة بين البدو كما نعرف عن الكسائي من أنه « لما عرض على حمزة خرج إلى البدو فشاهد العرب وأقام عندهم حتى صار كواحد منهم [١] » . بل لقد كان الواحد منهم يفرح بالعثور على ظاهرة لغوية فرحه بزوال مصيبة كبيرة تهدد حياته ، فنحن نعلم أن أبا عمرو بن العلاء كان قد هرب إلى الصحراء مع أبيه خوفا من الحجاج [٢] ، وبينما هو في الصحراء يوما رأى أعرابيا يقول لآخر ألا أبشرك ؟ قال بلى ، قال مات الحجاج ، فأنشده :

ربما تكره النفوس من الأمر له فَرجة كحل العقال

بفتح الفاء ، ونحن نقول فُرجه بضمها وهو خطأ ، وتطلبت ذلك زمانا في استعمالاتهم فلم أجده [٣] » .

وثانيها الأعراب الذين عدوهم فصحاء ، وهؤلاء الأعراب — إلا أقلهم — كانوا يقيمون بمدن العراق ، يختلف إليهم اللغويون في البصرة والحيرة وبغداد [٤]. بل إننا نحس أحيانا أنه قد كان هناك أعراب يقفون على باب الخلفاء والأمراء ينتظرون أن يسألوا في شيء من اللغة لقاء أجر ، يدلك على ذلك هذه الحكاية المشهورة عن المسألة الزنبورية حين عزم يحيي بن خالد البرمكي على الجمع بين سيبويه والكسائي « فحضر الكسائي فقال له تسألني أو أسألك ؟ فقال له سيبويه : سل أنت ، فسأله عن هذا المثال ، فقال له سيبويه : فإذا هو هي ، ولا يجوز النصب ، وسأله عن أمثال ذلك نحو خرجت فإذا عبد الله القائم ، فقال له : كل ذلك بالرفع. فقال الكسائي : العرب ترفع كل ذلك وتنصب ، فقال يحيي : قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما فمن يحكم بينكما ؟

---

(١) ابن جزري : غاية النهاية ١ : ٥٣٨

(٢) السابق : ١ : ٢٨٨

(٣) الشنقيطي : الدرر اللوامع على همع الهوامع (الخانجي ١٩١٠) ١ : ٤

(٤) انظر الفصل الذي كتبه صاحب الفهرس بعنوان « أسماء فصحاء العرب المشهورين » ص ٧١ .

فقال له الكسائى : هذه العرب ببابك قد سمع منهم أهل البلدين فيحضرون ويسألون فقال يحيى وجعفر أنصفت ، فأحضروا فوافقوا الكسائى . فاستكان سيبويه فأمر له يحيى بعشرة آلاف درهم فخرج إلى فارس فأقام بها حتى مات ولم يعد إلى البصرة فيقال إن العرب قد أرشوا على ذلك [(١)] » .

وهم يرددون لنا كثيراً أن العربى لا يستطيع أن يتزحزح عن لهجته ، وهم يبالغون فى ذلك مبالغة شديدة لا تتفق والواقع اللغوى بل ولا الوظيفة العضوية لجهاز النطق ، إذ ينقل ابن جنى عن أبى حاتم السجستانى قوله : قرأ على أعرابى بالحرم « طيبى لهم وحسن مآب » . فقلت: طوبى فقال: طيبى ، فأعدت فقلت: طوبى . فقال طيبى ، فلما طال على الوقت قلت : طوطو ، قال: طى طى» . ويعلق ابن جنى أفلا ترى إلى هذا الأعرابى ، وأنت تعتبره جافياً كزاً ، لا دمثاً ولا طيعاً ، كيف نبا طبعه عن ثقل الواو إلى الياء فلم يؤثر فيه التلقين ، ولا ثنى طبعه عن التماس الخفة هز ولا تمرين [(٢)] .

ولقد نستطيع أن نتصور ذلك لو أن لهجة هذا العربى تخلو تماما من حرف الواو بحيث يصعب عليه نطقها مع التلقين والتمرين ، ثم إن ابن جنى نفسه يذكر نصوصاً أخرى تناقض هذا الذى كانوا يذهبون إليه من استحالة انتقال العربى من لهجته إلى لهجة غيره ، إذ يعقد فى الخصائص بابا بعنوان « فى الفصيح يجتمع فى كلامه لغتان فصاعدا [(٣)] » يؤيده بقول الشاعر :

فظلت لدى البيت العتيق أخيلهو   ومطواى مشتاقان لَهْ أرقان

ثم يعلق بقوله فهاتان لغتان أعنى إثبات الواو فى (أخيلهو) وتسكين الهاء فى

(١) ابن هشام : مغنى اللبيب (القاهرة ١٣٥٦ هـ) ١ : ٨٠ — ٨١
(٢) ابن جنى : الخصائص ١ : ٧٦
(٣) « « ١ : ٣٧٠

قوله (لـهْ) لأن أبا الحسن زعم أنها لغة لأزد السراة ، وإذا كان كذلك فهاتان لغتان وليس إسكان الهاء فى (لـهْ) عن حذف لحق بالصنعة الكلمة لكن ذلك لغـــة »[1] .

ثم يؤكد ذلك فى موضع آخر بقوله (ووجه الحكمة فى الجمـــع بين اللغتين القوية والضعيفة فى كلام واحد هو أن يروك أن جميع كلامهم وإن تفاوتت أحواله فيما ذكرنا وغيره — على ذكر منهم ، وثابت فى نفوسهم[2]) .

ويبرر ذلك بقوله (وذلك لأن العرب وإن كانوا كثيرا منتشرين وخلقا عظيما فى أرض الله غير متحجرين ولا متضاغطين ، فإنهم بتجاورهم وتلاقيهم وتزاورهم يجرون مجرى الجماعـــة فى دار واحدة فبعضهم يلاحظ صاحبه ويراعى أمر لغته ، كما يراعى ذلك من مهم أمره[3]) .

ومعنى ذلك هو ما قررناه فى الفصل السابق من أن العرب لم يكونوا منعزلين انعزالا كاملا ، بل كان بينهم هذا الالتقاء ثم هـذا التفاعل وما ينتج عنه من معرفة بعضهم لهجات بعض .

* * *

وبعد ، فتلك كانت مناهجهم فى تناول اللهجات العربيـة ، وأظننا الآن نستطيع أن ننتقل إلى الحديث عن :

---

(١) ابن جنى : الخصائص ١ : ٣٣٠

(٢) » » ٣ : ٣١٧

(٣) » » ٢ : ١٥ — ١٦

الباب الثالث

القراءات واللهجات

الفصل الأول

القراءات : نشأتها وتطورها

فى بحث مثل هذا البحث يتخذ من القراءات القرآنية مصدرا لدراسة اللهجات العربية ، نرى أن نعرض لحياة هـــذا المصدر ، متى نشأت القراءة ، ولماذا اختلفت القراءات وكيف استقرت علما ثابت الأصول ، وما هى هـــذه الشواذ ولماذا كانت كذلك ؟ . .

ودون أن نخوض كثيرا فى مسائل فرعية ، نقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان — باعتباره متلقى الوحى — أول قارىء للقرآن ، بل إنه كان يعجل بقراءته حين تلقيه حتى نزلت (لا تحرك به لسانك لتعجل به) . ومنذ البداية اتخذ النص القرآنى — بقراءة الرسول — سمته نحو الوثائق ، فهو صلوات الله عليه كان يعود إلى جبريل يدارسه القرآن ويعرضه عليه كل عام مرة حتى وفاته فعرضه عليه مرتين « قال ابن عباس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة [1]. » وفى خبر فاطمة « أسر إلىّ النبى صلى الله عليه وسلم أن جبريل كان يعارضنى بالقرآن كل سنة ، وأنه عارضنى العام مرتين ولا أراه إلا حضور أجلى [2] » .

وعلى هذا المنهج من توثيق النص — خلال التلقى والعرض — سار رسول الله

---

(١) فتح البارى ١ : ٢٦

(٢) فتح البارى ٩ : ٣٥ والبرهان ١ : ٢٣٢

مع صحابته يقرأ عليهم ، ويقرأون عليه « قال أنس ، قال النبي صلى الله عليه وسلم لأُبَيّ : إن الله تبارك وتعالى أمرني أن أقرأ عليك ، قال : الله سماني لك ؟ قال الله سماك لي ، قال : فجعل أُبَيّ يبكي (١) . »

« وقال ابن مسعود ، قال لي النبي صلى الله عليه وسلم اقرأ عليّ ، قلت يارسول الله ، أقـــرأ عليك ، وعليك أنزل ؟ قال نعم . فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية « فكيف إذا جئنا من كل أمـة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا » . قال: حسبك الآن ، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان (٢) . »

لـكن مع هذا المنهج الدقيق في توثيق النص اختلف الصحابة في قراءة القرآن والرسول بين ظهرانيهم ، والأخبار في ذلك كثيرة ، وأقر الرسول اختلافهم ، وكان الحديث الذي يبلغ مرتبة التواتر « إن هـذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منها (٣) . »

ومهما يختلف شراح هـذا الحديث ، ومهما يـكثر من حوله الجدل وتتعدد أوجه القول على ما نعرفه في مصادره ، فإن الجانب الذي يهمنا هنا هو أننا نرجح أن الحديث لم يقل إلا بعد الهجرة ، يؤكد ذلك أن بعض الطرق التي روى بها الحديث تذكر أن الرسول كان « عند أحجار المراء بالمدينة (٤) . » أو « عند أضاة بني غفار (٥) »

---

(١) ابن سعد : الطبقات الـكبرى : ج ٣ القسم الثاني ص ٦٠

(٢) فتح الباري : ٩ : ٧٧

(٣) فتح الباري : ٩ : ٢١ ونقل ابن الجزري أن أبا عبيد القاسم بن سلام نص على تواتره . النشر ١ : ٢١

(٤) تفسير الطبري ١ : ٣٥ . وهو موضع بالمدينة . النهاية لابن الاثير ١ : ٢٠٣

(٥) تفسير الطبري ١ : ٣٩ — ٤٦ . معجم ما استعجم ١٦٤

وهما موضعان بالمدينة ، وأن اختلاف الصحابة فى القراءة كان يحدث فى المسجد [١] ، ومعنى ذلك أن المشكلة لم توجد حيث كان الرسول فى مكة ، وحيث كان عدد المسلمين قليلا ، وحين كان معظمهم من قريش يتحدثون بلهجة واحدة ، أما وقد انتقل الرسول إلى المدينة ، ودخل ناس كثيرون فى الإسلام ، من قبائل مختلفة ، بلهجات متباينة ، ومنهم الطفل الذى لم يستقم لسانه ، والخادم الذى يجهل ، والشيخ والمرأة العجوز ، هنا وجدت المشكلة ، فاختلف الناس فى القراءة ، وتسمح الإسلام معهم فأقرهم الرسول على اختلافهم ، يوضح ذلك حديثه « إنى بعثت إلى أمة أميين منهم الغلام والخادم والشيخ العاسى والعجوز [٢] . » وقد تنبه ابن قتيبة لاختلاف لهجات العرب سببا فى اختلاف قراءاتهم فقال « ولو أن كل فريق من هؤلاء أُمر أن يزول عن لغته ، وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشئا وكهلا ، لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة ، وتذليل للسان ، وقطع للعادة [٣] . » وأكد ذلك ابن الجزرى بقوله «وكانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، لغاتهم مختلفة ، وألسنتهم شتى ، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها أو من حرف إلى آخر بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولا بالتعليم والعلاج لاسيما الشيخ والمرأة ومن لم يقرأ كتابا كما أشار إليه صلى الله عليه وسلم . فلو كُلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يستطاع [٤] . »

ثم إن هناك جانباً آخر ينبغى الالتفات له هنا ، وهو أن النص القرآنى لم يحفظ حسب عن طريق المشافهة ... نعم لقد كان الرسول يقرأ عليهم ويقرأونه بين بعضهم . وهو

---

(١) تفسير الطبرى : ١ : ٢٤ — ٣٢ — ٣٦

(٢) تفسير الطبرى ١ : ٣٥ والبرهان ١ : ٢٢٧

(٣) ابن قتيبة : (تأويل مشكل القرآن (الحلبى) ١٩٥٤ ص ٣٠

(٤) النشر ١ : ٢٢

من هذه الناحية محفوظ فى « صدور الرجال » ، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم فى الوقت نفسه كان يأمر بكتابة الوحى ، والراجح عندنا أن كتابة القرآن فى عهد الرسول كانت فى زمن مبكر من الدعوة ، أى قبل الهجرة ، ويؤكد ذلك ما نعرفه من خبر إسلام عمر [1] ، فالكتابة إذن كانت تسير مع القراءة عن طريق المشافهة فى حفظ النص ، واستمر الرسول يأمر كتبة الوحى — كلما نزل عليه — أن يرتبوه على ما يرى فيقول : « ضعوا هؤلاء الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا [2] » . ويقول زيد بن ثابت « كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع [3] » .

فإذا كانت هناك على ذلك نسخ مكتوبة من القرآن فى عهد الرسول ، فإن الذى نرجحه أن هذه الكتابة قد حفظت النص على حرف واحد ، لأننا لا نستطيع أن يكون الرسم الواحد محتملا للأحرف السبعة جميعاً .

ومهما يكن من أمر فقد جمع أبو بكر القرآن فى صحف أودعت عنده حتى توفى ثم عند عمر حتى توفى ثم كانت عند حفصه بنت عمر وزوج الرسول [4] . ثم جمع عثمان القرآن فى إمام معتمداً على نسخة حفصة ، ونسخ منه المصاحف التى بعث بها إلى الأمصار . فالنص القرآنى إذن بلغ — بالمشافهة والكتابة أيام الرسول وبجمع أبى بكر ثم عثمان — مستوى من الدقه والوثاقة لا يبلغه نص آخر .

صحيح أن هناك بعض الاختلاف فى مصاحف الأمصار التى نسخت من المصحف

---

(١) تذكر الروايات أنه حين قرع على أخته الباب « كان القوم جلوسا يقرأون القرآن فى صحيفة » . أسد الغابة (القاهرة ١٢٨٦ هـ) ٥٤/٤

(٢) السيوطى : الاتقان ٦٢/١

(٣) السابق : ٥٩/١

(٤) السجستانى : المصاحف (الرحمانية ١٩٣٦) ٣٩ — ٤٩

الإمام [١] ، لكنه إختلاف تواترت به الأخبار ، وصحيح أيضا أن الخط الذى كتبت به المصاحف لم يكن منقوطا ولا مشكولا ، ولكن ذلك لم يكن سببا فى وجـــود القراءات القرآنية على ما ذهب إليه جولد تسيهر من أن الخط العربى (من خصائصه أن الرسم الواحد للكلمة الواحدة قد يقرأ بأشكال مختلفة تبعا للنقط فوق الحروف أو تحتها ، كما أن عدم وجود الحركات النحوية ، وفقدان الشكل فى الخط العربى يمكن أن يجعل للكلمة حالات مختلفة من ناحية موقعها من الإعراب فهذه التكميلات للرسم الكتابى ثم هذه الاختلافات فى الحركة والشكل ، كل ذلك كان السبب الأول لظهور حركة القراءات فيما أهمل نقطه أو شكله من القرآن [٢]) . نقول إن الرسم لم يكن سببا فى اختلاف القراءات ، ولكنه كان سبباً فى حفظ الاختلاف الموجود أصالة ، لأن القراءة سنة متبعة ، ولأن القراء أجمعوا على الأخذ بالأثبت فى الأثر والأصح فى النقل ، وليس الأفشى فى اللغة والأقيس فى العربية [٣] .

لكن السبب الرئيسى عندنا فى اختلاف القراءات ، هو ما نفهمه من طبيعة القراءات ذاتها ومن طبيعة المجتمع الإسلامى الأول ، فالقرآن أخذ بالمشافهة أولا ، بين الرسول وجبريل من ناحية ، ثم بين الرسول وصحابته ، ومع كتابته له فى الرقاع والعسب واللخاف والأكتاف وجد الاختلاف على ما رأينا من قبل ، وعاش الصحابة مع الرسول يقرأون فيختلفون ، واشتهر من بينهم نفر كثير ذكر منهم أبو عبيد القاسم ابن سلام فى كتاب القراءات الخلفاء الأربعة ، وطلحة وسعدا وابن مسعود وحذيفة وسالما وأبا هريرة وعبد الله بن السائب وابن عمر وابن عباس وعائشة وحفصة وأم سلمة وهؤلاء كلهم من المهاجرين ، وذكر من الأنصار بن كعب وعبادة

---

(١) المصاحف : ٣٩ ـ ٤٩

(٢) جولد تسيهر : المذاهب الاسلامية فى تفسير القرآن (القاهرة ١٩٤٤) ص ٤

(٣) النشر : ١ ـ ١١

ابن الصامت ومعاذ بن جبل وأبا الدرداء وزيد بن ثابت ومجمع بن جارية وأنس بن مالك ومسلمة بن مخلد [١] . ثم جاءت الفتوح الإسلامية وخرج الصحابة معها إلى الأمصار الإسلامية الجديدة يستقرون هناك . ونشط الخلفاء فى إيفاد القراء من الصحابة إلى الأمصار ليعلموا الناس القرآن ، يدلك على ذلك ما يذكره ابن سعد فى الطبقات « جمع القرآن فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم خمسة من الأنصار ، معاذ ابن جبل وعبادة بن صامت وأبى بن كعب وأبو أيوب وأبو الدرداء ، فلما كان زمن عمر بن الخطاب كتب إليه يزيد بن أبى سفيان ، أن أهل الشام قد كثروا وملأوا المدائن واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم فأعنى يا أمير المؤمنين برجال يعلمونهم . فدعا عمر أولئك الخمسة فقال لهم : إن إخوانكم من أهل الشام قد استعانونى بمن يعلمهم القرآن ، ويفقههم فى الدين فأعينونى رحمكم الله بثلاثة منكم إن أحببتم فاستهموا ، وإن أنتدب ثلاثة منكم فليخرجوا ، فقالوا ما كنا لنتساهم ، هذا شيخ كبير لأبى أيوب،وأما هذا فسقيم لأبى بن كعب،فخرج معاذ وعبادة وأبو الدرداء فقال عمر ابدأوا بحمص فإنكم ستجدون الناس على وجوه مختلفة ،منهم من يلقن ،فإذا رأيتم ذلك فوجهوا إليه طائفة من الناس فإذا رضيتم منهم فليقم بها واحد وليخرج واحد إلى دمشق والآخر إلى فلسطين ، وقدموا حمص فكانوا بها حتى إذا رضوا من الناس أقام بها عبادة فصار بعد إلى فلسطين فمات بها ، وأما أبو الدرداء فلم يزل بدمشق حتى مات [٢] » .

ويدلك على ذلك أيضا ما جاء فى خبر حذيفة حين قال لسعيد بن العاص « رأيت أناساً من أهل حمص يقولون إن قراءتهم خير من قراءة غيرهم ، وإنهم أخذوا القرآن عن المقداد ورأيت أهل دمشق يقولون إن قراءتهم خير من قراءة غيرهم

---

(١) الإتقان : ١ : ٧٤ والنشر ١ : ٦

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ القسم الثانى ١١٤ .

ورأيت أهل الكوفة يقولون مثل ذلك وأنهم قرأوا على ابن مسعود وأهل البصرة يقولون مثل ذلك وأنهم قرأوا على أبى موسى [١] » .

وعلى هذا الأساس سارت الحال مع القراءات ، اختلف الصحابة أول الأمر فى القراءة أيام الرسول صلى الله عليه وسلم على ما عرفنا من أسباب ، وخرجوا مع الفتوح يقرئون الناس فتختلف قراءاتهم ، وكانت المصاحف العثمانية المجموعة على حرف وبعد إحراق ما عداها من مصاحف محتملة لكثير من هذا الاختلاف ، فكثر القراء الأئمة ، وتعددت القراءات المأخوذة عنهم ، ويبدو أن (القراءات السبع) لم تكن قد اشتهرت فى الوقت الذى بدأ العلماء فيه يؤلفون فى القراءات كأبى عبيد القاسم بن سلام وأبى حاتم السجستانى وأبى جعفر الطبرى وإسماعيل بن إسحق القاضى ، فقد ذكروا فى كتبهم أضعاف تلك القراءات [٢] ، ثم جاء وقت بدأ الناس فيه يقبلون على قراءات بعض الأئمة دون بعض ، وبدأت تظهر عبارة (القراءات السبع) على رأس المائتين، لسبعة من القراء اشتهروا بالثقة والأمانة والضبط وملازمة القراءة وهم :

١ — فى مكة عبد الله بن كثير (ت ١٢٠ هـ [٣]) ، لقى من الصحابة أنس بن مالك وعبد الله بن الزبير وأبا أيوب الأنصارى .

٢ — فى المدينة نافع بن عبد الرحمن (١٦٩ هـ [٤]) ، تلقى القراءة عن سبعين من التابعين أخذوا عن أبى بن كعب وعبد الله بن عباس وأبى هريرة .

٣ — فى الشام عبد الله اليحصبى المشهور بابن عامر (١١٨ هـ [٥]) أخذ

---

(١) ابن الأثير : الكامل (الأزهرية ١٣٠٢ هـ) ٥٣/٣ حوادث سنة ٣٠

(٢) فتح البارى : ٩ : ٢٦

(٣) غاية النهاية (السعادة ١٩٣٢) ١ : ٤٤٣

(٥) غاية النهاية (السعادة ١٩٣٢) ٢ : ٢٣٠

(٦) السابق : ١ : ٤٢٣

القراءة عن المغيرة بن أبي شهاب المخزومي عن عثمان بن عفان ولقي من الصحابة النعمان بن بشير وواثلة بن الأسقع ، ويقول بعضهم إنه لقي عثمان نفسه وأخذ عنه .

٤ — في البصرة أبو عمرو بن العلا (١٥٤ هـ [١]) ، روى عن مجاهد بن جبر وسعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس عن أبي بن كعب .

٥ — في البصرة أيضا يعقوب بن إسحق الحضرى (٢٠٥ هـ [٢]) قرأ على سلام بن سليمان الطويل عن عاصم وأبي عمرو .

٦ — في الكوفة حمزة بن حبيب الزيات (١٥٦ هـ [٣]) قرأ على سليمان ابن مهران الأعمش على يحي بن وثاب على زر بن حبيش على عثمان وعلى وابن مسعود .

٧ — في الكوفة أيضا عاصم بن أبي النجود (١٢٧ هـ [٤]) قرأ على زر ابن حبيش على عبد الله ابن مسعود .

وتستمر شهرة هؤلاء الأئمة حتى يأتي أبو بكر بن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ [٥]) على رأس الثلاثمائة للهجرة فيسبع السبع ويشذذ ما عداها ، ولكنه يحذف اسم يعقوب قارىء البصرة ويثبت مكانه على بن حمزه الكسائي (١٨٩ هـ [٦]) إمام أهل الكوفة فيكون بذلك للكوفة ثلاثة قراء ولكل من مكة والمدينة والبصرة والشام قارىء واحد .

---

(١) السابق : ١ : ٢٨٨
(٢) السابق : ٢ : ٣٨٦
(٣) السابق : ١ : ٢٦١
(٤) السابق : ١ : ٣٤٦
(٥) غاية النهاية : ١ : ١٣٩
(٦) السابق : ١ : ٥٣٥

واشتهرت إلى هذه السبع قراءات أخرى تمت بها عشراً وهى قراءة يعقوب الذى سبقت الإشارة إليه وقراءة خلف بن هشام (ت ٢٣٩ هـ [١]) الذى قرأ على سليم بن عيسى عن حمزة بن حبيب الزيات ، وقراءة يزيد بن القعقاع المشهور بأبى جعفر (١٣٠ هـ [٢]) .

ووضع العلماء — لمعرفة القراءات الصحيحة — ضابطا من ثلاثة أشراط لا يتخلف منها واحد :

١ — أن تكون القراءة موافقة للعربية ولو بوجه .

٢ — أن تكون القراءة موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا .

٣ — أن يصح سندها عن الرسول صلى الله عليه وسلم [٣] .

وبتطبيق هذا الضابط عرفت القراءة الصحيحة ، فكل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها بل هى من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها ، سواء أكانت عن الأئمة السبعة أم العشرة أم غيرهم من الأئمة المقبولين [٤] . والذى يهمنا هنا فى هذا الضابط أنه يصل بالنص القرآنى إلى مرتبة الوثاقة التى ننشدها فيه حين نتخذه مصدراً لدراسة اللهجات العربية .

* * *

وبوجود هذا الضابط أيضاً عرفت القراءات الشاذة ، والحق أن هذه الشواذ قد أثارت نقاشاً واسعا بين علماء القراءات ، ولعل أهم حادثة تذكرها الروايات بشأنها

---

(١) السابق : ١ : ٢٧٢

(٢) السابق : ٢ : ٣٨٢

(٣) النشر : ١ : ٩ والاتقان ١ : ٧٧

(٤) النشر : ١ : ٩

تلك التى وقعت بين ابن مجاهد مسبع السبع وابن شنبوذ (ت ٣٢٨ هـ) وابن مقسم (ت ٣٥٤ هـ) اللذين كانا يخالفان ابن مجاهد فيما ذهب إليه . فعقد لكل منهما ابن مجاهد مجلساً بحضرة الوزير ابن مقلة ضرب فيه أحدهما — ابن شنبوذ — (سبع درر ، وهو يدعو على الوزير بأن يقطع الله يده ، ويشتت شمله ، ثم أوقفه على الحروف فأهدر منها ما كان شنيعا ، وتوبه عن التلاوة بها غصبا [١] .) « وأحضر الثانى واستتابه بحضرة الفقهاء والقراء فأذعن بالتوبة وكتب محضر توبته [٢] » :

ولعل معرفتنا لموقف الرجلين أن تعيننا على تبين الضابط الذى تعرف به القراءات الشاذة .

أما بن شنبوذ فيصفه ابن الجزرى بأنه « شيخ الإقراء بالعراق ، أستاذ كبير ، أحد من جال فى البلاد فى طلب القراءات ، مع الثقة والخير والصلاح والعلم [٣] » .

وأما ابن مقسم فيصفه على قول الدانى بأنه « مشهور بالضبط والإتقان عالم بالعربية حافظ للغة ، حسن التصنيف فى علوم القرآن [٤] » .

ولقد يلمح بعض أن هناك عوامل شخصية أدت إلى موقف ابن مجاهد من الرجلين ومن ابن شنبوذ خاصة ، وذلك فى مثل قول ابن الجزرى بأنه « قد وقع بينه وبين أبى بكر بن مجاهد على عادة الأقران » أو فى وصفه له بأنه « لم تغبر قدماه فى هذا العلم [٥] » . وحين عقد له المجلس « أغلظ للوزير فى الخطاب ، وللقاضى ولابن

---

(١) غاية النهاية : ٢ : ٥٢
(٢) « ٢ : ١٢٤
(٣) غاية النهاية : ٢ : ٥٢
(٤) « : ٢ : ١٢٤
(٥) « : ٢ : ٥٤

مجاهد ونسبهم إلى قلة المعرفة وأنهم ما سافروا فى طلب العلم كما سافر [١] » . لكننا نؤكد أن موقف الرجل ما كان يمكن أن يكون أقل من ذلك فى أمر يتصل بأقدس ما تقوم عليه حياة الأمة .

ولنحاول الآن أن نعرف القراءات التى حدث ما حدث بسببها لابن شنبوذ ، قال ابن الجزرى « والذى أنكر على ابن شنبوذ حين عقد له المجلس بحضرة الوزير أبى على بن مقلة وبحضور ابن مجاهد وجماعة من العلماء والقضاة ، وكتب عليه به المحضر ، واستتيب عنه بعد اعترافه به هو « فامضوا إلى ذكر الله ٦٢ / ٩ » و « تجعلون شكركم أنكم تكذبون ٥٦/٨٢ » و « وكل سفينة صالحة غصبا ١٨/٧٩» و « كالصوف المنفوش ١٠١ / ٥ » و « فاليوم ننحيك ببدنك ١٠ / ٩٢ » و « تبت يدا أبى لهب وتب ١١١/١ » و « فلما خرّ تبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا فى العذاب المهين ٣٤/١٤ » و « الذكر والأنثى ٩٢/٣ » و « فقد كذب الكافرون فسوف يكون لزاما ٢٥/٧٧ » و « ينهون عن المنكر ويستعينون الله على ما أصابهم وأولئك هم المفلحون ٣ / ١٠٤ » و « فساد عريض ٨ / ٧٣ » [٢] .

ومع مقابلة هذه القراءات بقراءات الصحابة وجدنا أنها جميعاً لابن مسعود [٣] فيما عدا « وتجعلون شكركم أنكم تكذبون » فهى لعلى وابن عباس [٤] ، و « وفساد عريض » فهى لأبى بن كعب [٥] ، و « فقد كذب الكافرون فسوف

---

(١) غاية النهاية : ٢ : ٥٤
(٢) « : ٢ : ٥٤
(٣) انظر جفرى ٢٠ ـ ١١٣
(٤) السابق ١٩١ ـ ٢٠٦
(٥) السابق : ١٣٣

يكون لزاما » فهى لابن عباس [1] .

فهذه القراءات إذن صحيحة السند ، وهى موافقة للعربية ، لكنها مخالفة لرسم المصاحف العثمانية . ولذلك يقرر ابن الجزري أن ابن شنبوذ كان يرى جواز القراءة بما خالف الرسم [2] .

أما ابن مقسم فقد كان يرى أن كل قراءة وافقت المصحف ووجها فى العربية فالقراءه بها جائزة وإن لم يكن لها سند [3] . وليس من شك فى أن ما ذهب إليه ابن مقسم — إن كان صحيحا — لايدخل فى الشواذ ، بل هو من المردود، إذ القراءة سنة متبعة ، والقرآن لا يثبت إلا بنقل ، وقد ذهب إلى ذلك ابن الجزرى فى تعريفه بالمردود بأنه « ما وافق العربية والرسم ، ولم ينقل البتة فهذا رده أحق ومنعه أشد ومرتكبه مرتكب لعظيم من الكبائر ، وقد ذكر جواز ذلك عن أبى بكر محمد ابن الحسن بن مقسم البغدادى المقرى النحوى وكان بعد الثلاثمئة ، قال الإمام أبو طاهر ابن أبى هاشم فى كتابه البيان ، وقد نبغ نابغ فى عصرنا فزعم أن كل من صح عنده وجه فى العربية بحرف من القرآن يوافق المصحف فقراءته جائزة فى الصلاة وغيرها فابتدع بدعة ضل بها عن قصد السبيل [4] .

فالرجلان إذن كانا يتفقان على موافقة القراءة العربية ويختلفان فى الشرطين الآخرين ، أما ابن مقسم فلم يشترط النقل ، وقد رأينا أنهم يجعلون ذلك من المردود ويبقى إذن مقياس ابن شنبوذ وهو صحة النقل وموافقة العربية ومخالفة الرسم .

ولنستعرض الآن آراء العلماء فى الشواذ لنصل إلى المقياس الصحيح لها . قال مكى بن أبى طالب فى الإبانة « فإن سأل سائل فقال ، ما الذى يقبل من القراءات

---

(١) ابن خالويه : القراءات الشاذة (الرحمانية ١٩٣٤) ص ١٠٥

(٢) غاية النهاية : ٢ : ٥٤

(٣) السابق: ٢ : ١٢٤

(٤) النشر ١ : ١٧ وغاية النهاية ٢ : ١٢٤

فيقرأ به ، وما الذى لا يقبل ولا يقرأ به ، وما الذى يقبل ولا يقرأ به ؟ فالجواب أن جميع ما روى من القراءات على ثلاثة أقسام .

١ — قسم يقرأ به اليوم وذلك ما أجمع فيه ثلاث خلال وهى أن ينتقل عن الثقات إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، ويكون وجهه فى العربية التى نزل بها القرآن سائغاً ، ويكون موافقا لخط المصحف ويكفر من جحده .

٢ — ما صح نقله فى الآحاد وصح وجهه فى العربية وخالف لفظه لفظ المصحف فهذا يقبل ولا يقرأ به لعلتين، إحداهما أنه لم يوجد بإجماع ، إنما أخذ بأخبار الآحاد ، والعلة الثانية أنه مخالف لما قد أجمع عليه ولا يكفر من جحده .

٣ — ما نقله غير ثقة ولا وجه له فى العربية فهذا لا يقبل وإن وافق خط المصحف [1] . »

فمقياس الشاذ عند مكى — وهو القسم الثانى — هو أن يكون منقولا نقل آحاد موافقاً للعربية ، لكنه مخالف للرسم .

ونقل ابن الجزرى فى النشر عن ابن دقيق العيد أن « الشواذ نقلت نقل آحاد [2] » . وينقل السيوطى فى إتقانه خمسة أقوال :

١ — فنقل عن القاضى البلقينى أن القراءة « تنقسم إلى متواتر وآحاد وشاذ ، فالمتواتر القراءات السبع المشهورة ، والآحاد قراءات الثلاثة التى هى تمام العشر ويلحق بها قراءات الصحابة ، والشاذ قراءة التابعين كالأعمش ويحيى بن وثاب وابن جبير ونحوهم [3] . »

---

(١) مكى بن أبى طالب : الإبانة عن معانى القراءات : مخطوطة دار الكتب رقم ١٩٦٦٤ ب ورقة ٥

(٢) النشر : ١ : ١٥

(٣) الاتقان : ١ : ٧٧

وواضح أن هذا الرأى لا يستقيم مقياساً للشواذ، لأن هؤلاء التابعين ناقلون للقراءة من الصحابة الذين نقلوها عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعن هؤلاء التابعين أخذ أئمة القراء على نحو ما نعرف عن نافع أنه قرأ على سبعين من التابعين (١) .

ونقل عن ابن الجزرى مخالفة الرسم « فإن لم يكن فى شىء من المصاحف العثمانية فشاذ لمخالفتها الرسم المجمع عليه (٢) » .

٣ — ونقل عن الكواشى أن كل ما صح سنده واستقام وجهه فى العربية ووافق خط المصحف الإمام فهو من السبعة المنصوصة ، ومتى فقد شرط من الثلاثة فهو من الشاذ (٣) .

وهذا النص فى الواقع لا ينطبق على القراءات الشاذة إذ لو فقد ركن النقل مثلا لما كانت القراءة شاذة بل مردودة .

٤ — ونقل عن السبكى قوله « تجوز القراءة فى الصلاة وغيرها بالقراءات السبع ولا تجوز بالشاذ » ثم علق على النص بقوله « وظاهر هذا يوهم أن غير السبع المشهورة من الشواذ ، وقد نقل البغوى الاتفاق على القراءة بقراءة يعقوب وأبى جعفر مع السبع المشهورة وهذا هو القول الصواب »(٤).

٥ — والقول الخامس هو ما وصل إليه السيوطى نفسه حين يرى أن « الشاذ هو ما لم يصح سنده (٥) » وقد رأينا فساد هذا الرأى .

والذى نراه فى ضابط الشاذ هو ما ذهب إليه ابن الجزرى فى النشر والمنجد ،

---

(١) النشر : ١ : ١١٢
(٢) الاتقان : ١ : ٧٧
(٣) « : ١ : ٨٣
(٤) « : ١ : ٨٣
(٥) « : ١ : ٧٩

وقد قال عنه السيوطى « أتقن الإمام ابن الجزرى هذا الفصل جداً [١] » . — فقد ذهب أولا فى تحليله لضابط القراءة الصحيحة إلى أنه « متى اختل ركن من هـــذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أو عمن هو أكبر منهم [٢] » . وهذا النص لا يوقفنا على المقياس الصحيح الشاذ ، لكنه يقول فى موضع آخر « فلو لم يكن ذلك كذلك فى شىء من المصاحف العثمانية لكانت القراءة بذلك شاذة لمخالفتها الرسم المجمع عليه [٣] » . وزاد ذلك إيضاحا فى المنجد حين أخذ يحلل ضابط القراءة الصحيحة ، وذكر أنها حين تجتمع تكون القراءة متواترة أو صحيحة للسبعة أو لغيرهم ، وحين يجتمع الأول (موافقة العربية ولو بوجه) والثالث (صحة السند) ، دون موافقة الرسم ، تصبح القراءة شاذة ، وضرب على ذلك مثلا ما جاء عن أبى الدرداء وعمر وابن مسعود وغيرهم وقال « فهذه القراءة تسمى اليوم شاذة لكونها شذت عن رسم المصحف المجتمع عليه ، وإن كان إسنادها صحيحا فلا تجوز القراءة بها ، لا فى الصلاة ولا فى غيرها [٤] » .

فالقراءات الشاذة إذن هى التى تفتقد موافقة المصاحف العثمانية . والذى يهمنا هنا — فى هذا البحث — هو أن هذه القراءات يتصل سندها بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو ما يجعلها مصدراً لدراسة اللهجات العربية . يقول ابن جنى « إلا أنه — أى الشاذ — مع خروجه عنها — أى الصحيحة — نازع بالثقة إلى قرائه محفوف بالروايات من أمامه وورائه ، ولعله أو كثيراً منه مساوٍ فى الفصاحة للمجتمع

---

(١) الاتقان : ١ : ٧٩

(٢) النشر : ١ : ٩

(٣) السابق ١ : ١١

(٤) ابن الجزرى : منجد المقرئين (القدس ١٣٥٠ هـ) ١٥ ـ ١٧

عليه[1] » . . . و « أنه ضارب فى صحة الروايه بجرانه آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه[2] » . و « الرواية تميه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله تعالى يقول (وما آتاكم الرسول فخذوه) وهذا حكم عام فى المعانى والألفاظ ، وآخذه هو الآخذ به ، فكيف يسوغ مع ذلك أن نرفضه ونجتنبه[3] ؟ .

* * *

وبعد فنحسب أننا بعد هذا العرض نستطيع أن ننتقل إلى الحديث عن :

---

(١) ابن جنى : المحتسب : نسخة مصورة بمكتبة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية رقم ٤٤م عن مخطوطة دار الكتب رقم ٧٨ قراءات ص ٢

(٢) المحتسب ص ٣

(٣) المحتسب ص ٣

الفصل الثاني

القراءات مصدر أصيل لدراسة اللهجات

فى شبة الجزيرة العربية ، ومع هذا الواقع اللغوى الذى بيناه فى الفصل الأول ، نزل القرآن الكريم نصا معجزا يتحدى العرب بلغتهم التى كانت فنهم الأول ، وكان طبيعيا أن يخاطبهم بما اعتادت عليه ألسنتهم حتى يكون أقرب إلى قلوبهم .

وقد رأيت مارأيت عن حديث الأحرف السبعة ، وعن أنه صلى الله عليه وسلم بعث «إلى أمه أميين ومنهم الغلام والخادم والشيخ العاسى والعجوز . » ورأيت ماعلل به ابن قتيبة وابن الجزرى اختلاف القراءات لاختلاف اللهجات. ثم رأيت أيضا هذا الضابط الذى وضعوه للقراءة الصحيحة ، والذى أحد أشراطه أن تكون القراءة موافقة للعربية ولو بوجه .

وموافقة العربية ولو بوجه هو ما نعتقده هنا من صحة القراءة بلهجات العرب على اختلافها ، يؤكد ذلك ما يقرره ابن خالويه فى أول حجته بقوله « فإنى تدبرت قراءة الأئمة السبعة من أهل الأمصار الخمسة المعروفين بصحة النقل وإتقان الحفظ ، المأمونين على تأدية الرواية واللفظ ، فرأيت كلا منهم قد ذهب فى إعراب ما انفرد به من حرف مذهبا من العربية لايدفع ، وقصد من القياس وجها لايمنع فوافق باللفظ والحكاية طريق النقل والرواية غير مؤثر للاختيار على واجب الآثار . (١) »

فالقراءات القرآنية إذن هى المرآة الصادقة التى تعكس الواقع اللغوى الذى كان سائدا فى شبه الجزيرة قبل الإسلام ، ونحن نعتبر القراءات أصل المصادر جميعا فى

---

(١) ابن خالويه : الحجة فى قراءات الأئمة السبعة، مخطوطة بدار الكتب برقم ١٩٩٨٢ ب ص ١

معرفة اللهجات العربية ، لأن منهج علم القراءات فى طريقة نقلها يختلف عن كل الطرق التى نقلت بها المصادر الأخرى كالشعر والنثر بل يختلف عن طرق نقل الحديث، وقد رأيت ما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلقيه الوحى ثم عرضه على جبريل ، وما كان من إقرائه الصحابة وقراءتهم عليه .

وعلى هذا المنهج سار أصحاب القراءات «فلم يكتفوا بالسماع من لفظ الشيخ فقط فى التحمل، وإن اكتفوا به فى الحديث، قالوا لأن المقصود هنا كيفية الأداء ، وليس كل من سمع من لفظ الشيخ يقدر على الأداء ، أى فلابد من قراءة الطالب على الشيخ . (١) »

فالقراءة إذن لاتكتفى فى النقل بالسماع ، بل لابد من شرط التلقى والعرض ، وهما أصح الطرق فى النقل اللغوى . وكان من نتيجة ذلك ما رأيت من أن « أئمة القراء لاتعمل فى شىء من حروف القرآن على الأفشى فى اللغة والأقيس فى العربية بل على الأثبت فى الأثر والأصح فى النقل والرواية ، إذا ثبت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير اليهم (٢) . »

أضف إلى ذلك أن أصحاب القراءات كانوا — إلى شهرتهم بالضبط والدقة والإتقان — على معرفة واسعة بالعربية ووجوهها ، فقد كان ابن كثير « أعلم بالعربية من مجاهد . (٣) » وعرف عن عاصم أنه « جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد (٤) . » كما عرف عن حمزة أنه « كان ثقة كبيرا ، حجة رضيا ، قيما بكتاب الله ، مجودا ، عارفا بالفرائض والعربية (٥) . » والحديث عن أبى عمرو

---

(١) البنا / إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر (القسطنطينية ١٢٨٥ هـ) ص ٣ / ٤

(٢) النشر /١/ ١١

(٣) غاية النهاية ١/ ٤٤٣

(٤) السابق /١/ ٣٤٦

(٥) النشر /١/ ١٦٦

ابن العلاء والكسائى إمامى أهل البصرة والكوفة من هذه الناحية — لا يحتاج إلى بيان .

لكن هل كان القراء على درجة من الضبط والدقة فى النقل بحيث لايلتبس عليهم شىء ، وبحيث نقبل عنهم قراءاتهم — على أنها مصدر لدراسة اللهجات — قبولا مطلقا ؟

إن هناك نصوصا ينبغى أن نتوقف عندها قليلا .

ففى اختلافهم فى قراءة « فنعما هى » قرأ أبو جعفر وأبو عمر بكسر النون وإسكان العين [1] . ويعلق أبو على « ولعل أبا عمرو أخفى ذلك (أى حركة العين) كأخذه بالإخفاء فى « بارئكـم » و « يأمركم » فظن السامع الإخفاء إسكانا للطف ذلك فى السمع وخفائه [2] . »

وفى اختلافهم فى قراءة « ماذا قال آنفا » قرأ ابن كثير وحده «ماذا قال أَنِفا» ويعلق أبو على « فأما ما روى عن ابن كثير من قوله « أَنِفا » فيجوز أن يكون توهمه مثل حاذر وحذر وفاكه وفكه ، والوجه الرواية الأخرى « آنفا » بالمد كما قرأه عامتهم [3] . »

ويقـول ابن جنى « ألا ترى إلى قراءة أبى عمـرو (ما لك لا تأمنا على يوسف) مختلسا لا محققا ، وكذلك قوله عز وجل (أليس ذلك بقادر على أن يحى الموتى) مخفى لا مستوفى ، وكذلك قوله عزوجل (فتوبوا إلى بارئكم) مختلسا غير ممكن كسر الهمزة ، حتى دعا ذلك من لطف عليه تحصيل اللفظ إلى أن ادعى أن أبا عمرو كان يسكن الهمزة ، والذى رواه صاحب الكتاب اختلاس هذه الحركة ،

---

(١) السابق ٢:٣٣٥

(٢) أبو على الفارسى : الحجة فى القراءات السبع . مخطوطة بمكتبة بلدية الإسكندرية رقم ٣٥٧٠ ج ٣:٣٧

(٣) الحجة ٧:١٦٧

لا حذفها البتة ، وهو أضبط لهذا الأمر من غيره من القراء الذين رووه ساكنا ، ولم يؤت القرم في ذلك من ضعف أمانة ، لكن أتوا من ضعف دراية [1] . »

فماذا يكون موقفنا من هذه النصوص؟ هل نوافق سيبويه وأبا علي وأبا الفتح على ماذهبوا إليه فنجرح هذه القراءات ؟ أم أننا ينبغى أن نضع فى اعتبارنا حقيقة هامة ، وهى أن هؤلاء الثلاثة نحاة ، وأن الآخرين قراء ، وفرق كبير بين هؤلاء وأولئك ؟

فالنحاه أصحاب تقعيد وتنظيم ، وهذه الروايات التى تخرج على قواعدهم كانت تفجأهم فلا يكون منهم إلا تجريحها وإخراجها على التوهم ، والقراء أصحاب أداء ، وهم أهل تلق وعرض ، فهم — من هذه الناحية أدق من النحاة فى نقلهم للغة) نحسب أن الحق فى جانب القراء حيث إن بحثنا فى اللهجات يثبت أنه قد كانت هناك لهجات مستعملة تؤيد هذه القراءات على النحو الذى سيظهر فى الباب الرابع من هذا البحث ، ولو كان النحاة مهتمين بدارسة اللهجات العربية القديمة لما ردوا هذه القراءات ولما جرحوا أصحابها .

ولقد كان أصحاب القراءات والمهتمون بها يدركون هذا الفرق بين منهجى النحو والقراءات ، ويرون — بحق — أن منهجهم أوثق وأصح من هذه الأصول والقواعد التى خضع لها النحاة وحاولوا أن يخضعوا لها العربية .

فهذا أبوحيان يقرر « أن نقل القراءات السبع متواتر لا يمكن وقوع الغلط فيه . » [2] ثم إليك هذا النص الهام عنده . قال فى قراءة « وجعلنا لكم فيها معائش » بالهمز . « قال المازنى ، أصل هذه القراءة عن نافع ولم يكن يدرى ماالعربية وكلام العرب التصحيح فى نحو هذا . انتهى . ولسنا متعبدين بأقوال البصرة . . .

---

(١) الخصائص : ١ : ٧٣

(٢) أبوحيان : البحر المحيط ٢ : ٣٢٤

فوجب قبول مانقلوه إلينا ولا مبالاة بمخالفة نحاة البصرة فى مثل هذا ، وأما قول المازنى أصل هذه القراءة عن نافع فليس بصحيح لأنها نقلت عن ابن عامر وعن الأعرج وزيد بن على والأعمش ، وأما قوله إن نافعا لم يكن يدرى ما العربية فشهادة على النفى ، ولو فرضنا أنه لا يدرى ما العربية وهى هذه الصناعة التى يتوصل بها إلى التكلم بلسان العرب فهو لا يلزمه ذلك إذ هو فصيح متكلم ناقل للقراءة عن العرب الفصحاء ، وكثيرون من هؤلاء النحاة يسيئون الظن بالقراء ولا يجوز لهم ذلك. »[1]

أرأيت إلى هذه الكلمات الأخيرة التى تعنى تصورا صحيحا للفهم اللغوى ؟ فالقارىء هنا فصيح ناقل للقراءة عن العرب الفصحاء ، ومعنى ذلك أن النحو ليس هو المستوى الوحيد للعربية ، بل إنه لا يرقى أمام القراءات باعتبارها مصدرا لدراستها ، وهو لذلك يقرر « أن لسان العرب ليس محصورا فيما نقله البصريون فقط ، والقراءات لا تجىء على ما علمه البصريون ونقلوه . »[2]

والآن ، إذا كنا مصيبين فى نظرتنا إلى القراءات القرآنية ، وإذا كنا نعتمد عليها — فى المقام الأول — لمعرفة اللهجات العربية قبل الإسلام ، فهل نعتمد على القراءات الصحيحة وحدها دون الشاذة أم نعتمد عليها معا ؟

نحن لا نستطيع أن نعول على القراءات الصحيحة وحدها فى معرفة اللهجات العربية ، إذ أن العبرة فى اختلاف القراءات إنما كانت لاختلاف اللهجات ، وهذه القراءات الصحيحة ليست كل القراءات التى كان يقرأ بها المسلمون الأولون ، لكنها اشتهرت على رأس الثلاثمائة[3] حين سبع ابن مجاهد القراءات السبع وشذذ ماعداها. « فالقراءات المشهورة اليوم عن السبعة والعشرة والثلاثة عشر بالنسبة إلى ما كان

---

(١) السابق : ٤ : ٢٧١ ـ ٢٧٢

(٢) البحر : ٢ : ٣٦٢

(٣) غاية النهاية : ١ : ١٣٩

مشهورا فى الأعصار الأول قل من كثر ونزر من بحر فإن من له اطلاع على ذلك يعرف علمه العلم اليقين[1] . » ولو بقيت هذه القراءات حتى اليوم لكان محتملا أن تقدم لنا مادة لهجية كبيرة تعيننا على تصور اللهجات تصورا أكثر وضوحاً . وعلى أية حال فإن القراءات الشاذة جاءت منقولة مروية ، والرواية تبلغ بها عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو الأمر الذى يهمنا هنا إذ تعتبر بذلك صورة لاختلاف اللهجات، وقد قرأت قول ابن جنى حين قال « إلا أنه (أى الشـاذ) مع خروجه عنها (أى الصحيحة) نازع بالثقة إلى قرائه محفوف بالروايات من أمامه وورائه ، ولعله أو كثيراً منه مساوٍ فى الفصاحة المجتمع عليه[2] . » . . . و « أنه ضارب فى صحة الرواية بجرانه آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه[3] . » و « الرواية تنميه إلى رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، والله تعالى يقول « وما آتاكم الرسول فخذوه » وهذا حكم عام فى المعانى والألفاظ وآخذه هو الآخذ به فكيف يسوغ مع ذلك أن نرفضه ونجتنبه ؟[4] »

وعلى ذلك يقرر السيوطى أن « كل ما ورد أنه قرىء به جاز الاحتجاج به فى العربية سواء كان متواترا أم آحادا أم شاذا وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة فى العربيـة إذا لم تخالف قياساً معروفا بل ولو خالفته يحتج بها فى مثل ذلك الحرف بعينه[5] » .

نحن إذن نستطيع أن نعتمد على القراءات صحيحها وشاذها فى معرفة اللهجات العربية ، لكن كيف ؟ ...

---

(١) النشر : ١ : ٣٣
(٢) ابن جنى : المحتسب ص ٢
(٣) السابق : ص ٣
(٤) السابق : ٣
(٥) السيوطى : الاقتراح ص ١٧

هـــل نعتمد فى معرفة اللهجات على القارىء نفسه ، فنبحث عن تراجم القراء ، فإذا كان منهم قرشى قلنا إن قراءته هى لهجة قريش ، وإن كان منهم تميمى قلنا إن قراءته هى لهجة تميم ؟ ثم نذهب أبعد من ذلك فنبحث عن الصحابى الذى تنتمى إليه القراءات فنعزوها إلى لهجة قبيلته ؟ . أم نعتمد على بيئة القراء ، فنبحث هذه البيئات ومن كان ينزل بها من قبائل ، فنقول — على ذلك — إن قراءة الكسائى تمثل لهجة الأوس والخزرج مثلا ، وإن قراءة ابن كثير تمثل لهجـــة قريش ، وإن قراءة الكسائى تمثل لهجات القبائل التى كانت تنزل الكوفة وهكذا ؟ . .

نحن لا نستطيع أن نتخذ أيا من هذين السبيلين ، للأسباب الآتية :

١ — أن القراء لم تكن تروى عنهم رواية واحدة ، بل جاء عنهم كثير من الروايات فى قراءة واحدة ، فإذا كانت إحدى هذه الروايات يمكن أن تنسب إلى قبيلة والأخرى تنسب إلى غيرها ، فماذا يكون الموقف؟ .

٢ — أننا لو فعلنا ذلك لكنا متناقضين مع المنهج الذى قررناه فى القراءات من أن القارىء ليس غـــير ناقل للقراءة تلقاها ثم عرضها على أشياخه ، ثم إن هؤلاء القراء أخذوا عن كثير من الشيوخ على نحو ما نعرف من أن نافعا قرأ على سبعين من التابعين (١) . فإلى أيهم ننسب قراءته ؟ .

٣ — أن القارىء لا يمثل بيئته تماما ، وخير مثال عندنا ابن كثير قارىء مكة ، ومكة منزل قريش ، وقريش تسهل ولا تهمز ، وابن كثير كان أكثر الهامزين (٢) .

٤ — أن العربى كان يستطيع أن يجمع بين أكثر من لهجة على النحو الذى بيناه من قبل ، ثم إن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم اختلفا فى قراءة سورة الفرقان

---

(١) النشر : ١ : ١١٢

(٢) أبو على : الحجة ٦ : ٦٧

كما ثبت فى الصحيح وكلاهما قرشى من لهجة واحدة وقبيلة واحدة .

نحن إذن لا نستطيع أن نسلك هذه السبيل أو تلك ، لكننا نتبع منهجا آخر ، وهو أن نجمع هذه القراءات من مظانها ، ونخرج منها ما نراه ممثلا للهجية من اللهجات ، ونعزو هذه اللهجات إلى قبائلها ، ونبحث عما يؤيدها فى المصادر الأخرى من اللغة والأدب ، وندرسها الدرس اللغوى العلمى الحديث .

ونحن نعتمد فى جمع هذه القراءات على المصادر الآتية :

١ — كتب القراءات ، صحيحها وشاذها .

٢ — كتب الاحتجاج للقراءات .

٣ — كتب التفسير .

وفى هذه الكتب رصد طيب للهجات القبائل ، ونحن نضع بين يديك هذا الإحصاء لتدرك منه حجم المادة اللهجية الموجودة فيها .

ففى حجة أبى على ذكر للقبائل الآتية (١) :

قريش — الحرمين — الحجاز وتميم — بكر بن وائل — طىء — قيس بنو سليم — هذيل — بنو أسد — بنو ضبة — غطفان — الطائف — فهد .

وفى المحتسب لابن جنى (٢) : —

قيس — بنو سليم — هذيل — عقيل — الحجاز وتميم — الأنصار — أزد السراة — بنو كلاب — بنو أسد — ربيعة — وهبيل .

فى البحر المحيط (٣) : —

---

(١) انظر مثلا جا : ٤٨ — ٤٩ — ٥٦ — ٥٨ — ٧٤ — ١٧٤ — ٣١٦ . ج٣ : ٣٨ — ١٢٨ — ٢٣٩ . ج٤ : ٣٨ — ٢٩٩ . ج ٧ : ٣٣٨ على التوالى .

(٢) انظر صفحات ١٥ ، ٢٦ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٥٤ ، ١١٣ ، ٨١ ، ١٧٧ ، ٢٧٠ ، ١٧٠ .

(٣) انظر ج ١ : ٢٢ ، ٢٥ ، ٦١ ، ٦٢ ، ١٠٩ ، ١١٨ ، ١٥٢ ، ٢١٨ ، ٢٣٩ . ج ٢ : ٢٦٩ ، ٤٩٩ . ج ٣ : ٢٤٦ ، ٣١٢ . ج ٥ : ٤١٩ . ج ٧ : ٢٦٩ . ج ٨ : ١١

الحجاز وتميم وأسد وربيعة وقيس ـ قريش وعذرة وكعب وبنو القين ـ كنانة وهذيل ـ بنو أسد وبنو دبير ـ غنم ـ نجد ـ بنو صباح ـ أزد شنوءة ـ بنو الصعدات ـ طيء ـ الأنصار ـ عقيل وكلاب ـ بكر بن وائل ـ كلب ـ بنو يربوع ـ اليمن ـ أهل اليمامة .

وفى الإتحاف [1] :ـ

قريش ـ الحجاز ـ قيس وبنو سعد ـ بنو أسد ـ عقيل ـ نجد ـ تميم هذيل ـ كنانة ـ بنو يربوع ـ غطفان .

نحن إذن أمام مادة لهجية يمكن أن تعيننا ـ مع المنهج الذى اخترناه ـ على أن نتبين بعضاً من ملامح اللهجات التى كانت منتشرة فى شبه الجزيرة العربية ، وهو ما سوف نتناوله فى الباب التالى .

---

(١) انظر ١٥١، ١٥٢، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٨، ١٦١، ١٦٤، ١٩٦، ٢٦٧، ٣٢٧، ٤٨٩

الباب الرابع

دراسة لغوية فى اللهجات

الفصل الأول

المستوى الصوتي

أولا ـ الصوائت والصوامت

١ ـ الهمز

الهمزة عندالقدماء حرف مجهور من أقصى الحلق [1] . أو هي « حرف مجهور ، سفل في الحلق ، وبعد عن الحروف ، وحصل طـرفا [2] . » أوهي « حرف شديد مستثقل من أقصى الحلق [3]. »

وهي بعد البحث التجريبي صوت صامت حنجري انفجاري ، وهو يحدث بأن تسد الفتحة الموجودة بين الوترين الصـــوتيين وذلك بانطباق الوترين انطباقاً تاماً فـلا يسمح للهواء بالنفاذ من الحنجرة ، يضغط الهواء فيا دون الحنجرة ، ثم ينفرج الوتران فينفذ الهواء من بينهما فجأة محدثاً صوتاً انفجارياً [4] .

فالهمزة إذن صوت شديد لا هو بالمجهور ولا بالمهموس ، لأن فتحة المزمار معها مغلقة إغلاقاً تاماً ، فلا نسمع لهذا ذبذبة الوترين الصوتيين ، ولا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق إلا حين تنفرج فتحة المزمار ، ذلك الانفراج الفجائي الذي ينتج الهمزة [5].

ولقد اهتم علماء القراءات اهتماما كبيراً بالهمزة ، فعقدوا لهـــا فصولا مطولة ، تحدثوا فيها عن أحكامها محققة أو مبدلة أو محذوفة .

---

(١) سيبويه : الكتاب ٢ : ٤٠٥

(٢) ابن جني : سر صناعة الإعراب (الحلبي ١٩٥٤) ١ : ٧٨ — ٨١

(٣) ابن يعيش : شرح المفصل ٩ : ١٠٧

(٤) الدكتور محمود السعران : علم اللغة (المعارف ١٩٦٢) ص ١٧٠

(٥) الدكتور ابراهيم أنيس : الأصوات اللغوية (القاهرة ١٩٥٠) ص ٨٣

والهمزة قسمان : ـ

١ ـــ همـــزة مفردة .   ٢ ـــ همزتان مجتمعتان فى كلة أو كلتين .

والهمزة المفردة ضربان : ـ

١ ـــ همزة ساكنة .   ٢ ـــ همزة متحركـــة .

والساكنة على ثلاثة أضـــرب [١] ـ

١ ـــ مضموم ما قبلهـــا .   ٢ ـــ مكسور ما قبلـــا .

٣ ـــ مفتوح ما قبلهـــا .

والمتحركة على ضـــربين : ـ

١ ـــ متحركـــة قبلها متحرك .   ٢ ـــ متحركـــة قبلها ساكن .

والهمزتان المجتمعتان إما أن تكونا فى كلة أو فى كلتين .

(أ) الهمزتان المجتمعتان فى كلة [٢] .

تأتى الأولى منهما همزة زائدة للاستفهام ولغـــيره ، ولا تكون إلا متحركة ، ولا تكون همزة الاستفهام إلا مفتوحة .

وتأتى الثانيـــة منهما متحركة وساكنة . والمتحركة إما أن تكون مفتوحة أو مكسورة أو مضمومة .

(ب) والهمزتان المجتمعتان فى كلتين [٣] تأتيان على ضربين : ـــ

١ ـــ همزتان متفقتان .   ٢ ـــ همزتان مختلفتان

والمتفقتان إما أن تكونا متفقتين بالكسر أو بالفتح أو بالضم .

---

(١) ابن الجزرى : ١ : ٣٩٠

(٢) النشر : ١ : ٣٦٢

(٣) السابق : ١ : ٦٣٢

والمختلفتان على خمسة أقسام :—

١ — مفتوحة ومضمومة . ٢ — مفتوحة ومكسورة ..

٣ — مضمومة ومفتوحة . ٤ — مكسورة ومفتوحة .

٥ — مضمومة ومكسورة .

وعلينا الآن أن نعرض لمذاهب القراء فى الهمز لنرى بعد ذلك لهجات القبائل فيها.

أولا - الهمزة المفردة

١ - قراءات صحيحة

أ — الهمزة الساكنة :

١ — مضموم ماقبلها نحو (يُؤمن — يُؤتى — مُؤتفكة — ويقولُ ائذن لى)

٢ — مكسور ماقبلها نحو (بِئس — جِئت — شِئت — الذى اؤتمن).

٣ — مفتوح ماقبلها نحو(فَأتوهن — فَأذنوا — وَأمر أهلك — والهدَى ائتنا)

فقرأ أبو جعفر [1] وحده جميع ذلك بإبدال الهمزة فيه حرف مد بحسب حركة ما قبله . وقرأ الباقون بالهمز .

ولم يختلفوا فى (أنبِئْهم) بسكونها وكسر ما قبلها فقرأها كلهم بالهمز [2] .

ب — الهمزة المتحركة وقبلها متحرك .

١ — مفتوحة قبلها مضموم نحو (يُؤَده — يُؤَاخذ — — يُؤَلف) فقرأ أبو جعفر بإبدالها واواً وقرأ الباقون بالهمز [3] .

٢ — مفتوحة قبلهـا مكسور نحو (رِئاء الناس — خاسِئاً — شانِئك)

---

(١) النشر : ١ : ٣٩٠

(٢) أبو على : الحجة ٢ . ٢

(٣) النشر : ١ : ٣٩٥

فقرأ أبو جعفر وحده بإبدالها ياء ، وقرأ الباقون بالهمز [1] . وقرأ نافع (لِئَلا) بغير همز [2] .

٣ — مضمومة بعد كسر وبعدها واو نحو (مستهزئُون — الصابِئُون — متكِئُون — مالِئُون) فقرأ أبو جعفر وحـــده بحذف الهمزة وضم ما قبلها (مستهزون — الصابُون — متكُون — مالُون) ووافقه نافع على (الصابون) وقرأ الباقون بالهمز [3] .

٤ — مضمومة بعد فتح نحو (ولا يطَـأون — ولم تطَـأوها — وإن تطَـأوهم) فقرأ أبو جعفر وحده بحذفها وقرأ الباقون بالهمز [4] .

٥ — مكسورة بعد كسر نحو (متكِئين — الصابِئين — الخاطِئين) فقرأ أبو جعفر وحده بحذف الهمزة وقرأ الباقون بالهمز [5] .

٦ — مفتوحة بعد فتح نحو (أَرَأيتم — أَرَأَيتكم — أَرَأَيت) فقرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وابن عامر وحمزة ذلك كله في القرآن بالهمز . وقرأ نافع (أرايتم وأرايتكم — وأرايت) بألف في كل القرآن من غير همز على مقدار ذوق الهمزة ، وقرأ الكسائي (أريتم وأريتكم وأريت) بغير همز ولا ألف [6] .

جـ — الهمزة المتحركة وقبلها ساكن :

١ — متحركة وقبلها ألف نحو (إسرائيل) فقرأ أبو جعفر بتسهيلها وحققها

---

(١) النشر : ١ : ٣٩٦
(٢) الحجة : ٢ : ٢٦٤
(٣) النشر : ١ : ٣٩٧
(٤) النشر : ١ : ٣٩٧
(٥) المصدر والصفحة
(٦) الحجة : ٤ : ١٠

الباقون [١] .

٢ — متحركة وقبلها ياء نحو (هنيئاً — مريئاً — برىء) فقرأ أبو جعفر بإبدال الهمزة ياء وإدغام الياء التى قبلها فيها وقرأ الباقون بالهمز [٢] .

٣ — متحركة وقبلها سكون نحو (شَطْأَه) فقرأها كلهم بهمزة مفتوحة[٣] .

٤ — متحركة قبلها زاى ساكنة نحو (ثم اجعل على كل جبل منهن جزْءًا) و (جزْءٌ مقسوم) فقرأ أبو جعفر بحذف الهمزة وتشديد الزاى [٤] .

وهذه القراءات تضع أمامنا الحقائق الآتية : —

١ — أن أبا جعفر قارئ المدينة كان أكثر القراء ميلا إلى تسهيل الهمزة أو حذفها ، وهو بذلك يمثل بيئته فى هذه الظاهرة خير تمثيل .

٢ — أن نافعا قارئ المدينة أيضا لم يرو عنه تسهيل الهمزة إلا فى حروف قليلة.

٣ — أن ابن كثير قارئ مكة لم يرو عنه شىء من التسهيل فى هذه القراءات كلها ، ومعنى ذلك أن قراءته — من هذه الناحية لا تصور بيئته بحال .

٤ — أن هذه القراءات توضح لنا ـ بما لا يدع مجالا للشك ـ أن تحقيق الهمزة كان أكثر انتشاراً من تسهيلها .

وبقيت أمامنا قراءات أخرى فى الهمزة المفردة تستوجب النظر :

١ — (على كل شىء قدير) كان حمزة يسكت على اليـاء من (شىء) قبل الهمزة سكتة خفيفة ثم يهمز ، وكذلك يسكت على اللام من (الآخرة — الأرض —

(١) النشر : ١ : ٤٠٠
(٢) السابق : ١ : ٤٠٥
(٣) الحجة : ٧ : ١٧٦
(٤) النشر : ١ : ٤٠٦

الأسماء) وما أشبه ذلك [١] . ومعنى ذلك أن حمزة كان حريصا على إظهار تحقيق الهمزة ، ولذلك يعلق أبو على بأن حمزة « كان يقف هذه الوقيفة قبل الهمزة توصلا إلى تحقيقها لأنه جعل الهمزة بهذه الوقيفة التى وقفها قبلها على صورة لا يجوز معها إلا التحقيق لأن الهمزة قد صارت بالوقيفة مضارعة المبتدأ بها ، والمبتدأ بهـا لا يجوز تخفيفها [٢] ».

٢ — اختلفوا فى قوله تعالى (وكشفت عن ساقيها) فقـرأ ابن كثير وحده بالهمز (سأقيها) ولم يهمز غيره أيضا (سؤقه وبالسؤق) [٣] .

٣ — قرأ ابن كثير وحده (ضِئْزى) بالهمز وقرأ الباقون بغير همز [٤] .

٤ — قرأ ابن كثير (ضئاء) بهمزتين فى كل القرآن ، الهمزة الأولى من قبل الألف والثانية بعدها . وقرأ الباقون بهمزة واحدة بعد الألف فى كل القرآن [٥] .

٥ — « إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض » قرأ عاصم ويعقوب بالهمز قيل ولا وجه له إلا اللغة العربية المحكية عن العجاج أنه كان يهمز العألم والخأتم [٦] .

وهذه القراءات الأربع الأخيرة تدل على أن بعض اللهجات لم تكن تكتفى بتحقيق الهمزة بل تبدل الصوائت الطويلة (الألف والواو والياء) همزة ، والذى يلفت النظر أن ابن كثير قرأ فى أكثر هذه الحروف وحده بالهمز ، وابن كثير مكى ، ومكة منزل قريش ، من أجل ذلك قررنا من قبل أننا لا نستطيع أن نعتمد على بيئة القارىء فى تحديد اللهجة .

---

(١) الحجة : ١ : ٣٦٥
(٢) المصدر والصفحة
(٣) السابق : ٦ : ٦٧
(٤) السابق : ٧ : ٢٠٢
(٥) الحجة : ٥ : ٣٦٤
(٦) البحر : ٦ : ١٦٣

٢ ـ قراءات شاذة

أ — قراءات لا تحقق الهمزة :

١ — قرأ الزهرى وقتادة « بين المرِّ وزوجه » من غير همز وبالتشديد [١] .

٢ — وقرأ الزهرى « دِفٌّ » بالتشديد [٢].

٣ — وقرأ عيسى الثقفى « سيِّغاً للشاربين » بتشديد الياء [٣] .

٤ — وقرأ الحسن ومجاهد « من سوَّتها » بتشديد الواو [٤] .

٥ — وقرأ الأشهب والحسن « إلى باريكم » بغير همز [٥] .

٦ — وقرأ الزهرى « كما بَداكم » بغير همز [٦] .

٧ — وقرأ زيد بن على « وهم بدوكم » بسكون الواو بغير همز [٧] .

وواضح من هذه القراءات كلها أنها جنحت إلى التخلص من الهمزة بإدغامها فيما قبلها أو بتسهيلها أو بحذفها .

ب — قراءات تحقق الهمزة

١ — قرأ أيوب السختيانى « ولا الضأْلين » بالهمز [٨] .

٢ — وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد « ولا جأنّ » بالهمز [٩] .

٣ — وقرأ علي والحسن وابن محيصن وأبو عمـــر وأم الدرداء وابن أبي عبلة

---

(١) المحتسب ٢٩ والكرمانى ٣٠
(٢) الكرمانى : ١٣٠
(٣) المحتسب ٩١ والكرمانى ١٣٣
(٤) البحر ٤ : ٢٧٩
(٥) الكرمانى ٢٥
(٦) الكرمانى ١٨٧ والبحر ٧ : ١٤٦
(٧) الكرمانى ٩٨ والبحر ٥ : ١٦
(٨) المحتسب ١٠
(٩) المحتسب ١٥٦ والبحر ٨ : ١٩٦

« لينبذ أن » بالهمز وتشديد النون المكسورة [١] .

٤ — وروى قطرب عن بعض القراء (مُـؤْسى) و (أمّ مؤسى) [٢] .

٥ — وقرأ طلحة بن مصرف (يؤنس) و (يؤسف) بالهمز [٣] .

٦ — وقرأ أبو عمرو والحسن وابن أبى إسحق والأشهب (لترؤن) بالهمز [٤].

وهذه القراءات — كما ترى — لا تكتفى بتحقيق الهمزة بل تبدل من الصوائت همـــزة .

ثانيا — الهمزتان المجتمعتان

١ - المجتمعتان فى كلمة :

١ — « أأنذرتهم » اختلفوا فى تخفيف الثانيـــة منهما وتحقيقها وإدخال ألف بينهما ، فسهلها بـين الهمزة والألف ابن كثير وأبو عمـــرو وأبو جعفر ، وقرأ الكوفيون بتحقيقهما ، وفصل بين الهمزتين بألف أبو عمرو وأبو جعفر [٥] .

٢ — « أآلهتنا » اختلفوا فى تحقيق الهمزة الثانية وفى تسهيلها بـين بين فقرأ بتحقيقها الكوفيون وسهلها الباقون ولم يدخل أحد بينهما ألفا [٦] .

٣ — « أأعجمى » قرأ نافع وابن كثير وعاصم — فى رواية — وأبو عمرو « آعجمى » بتخفيف الثانية ، وقرأ عاصم — فى رواية — وحمـزة والكسائى « أأعجمى بهمزتين [٧] .

---

(١) الكرمانى : ٢١٠ والبحر : ٨ : ٥١٠

(٢) الكرمانى : ٢٥ والمحتسب : ١٢٢

(٣) ابن خالويه : القراءات الشاذة ٣٠

(٤) ابن خالويه : ١٧٩ والمحتسب ١٦٩

(٥) الحجة : ١ : ٢٢٧ والبحر : ١ : ٤٧ والنشر : ١ : ٣٦٣

(٦) النشر : ١ : ٣٦٥

(٧) الحجة : ٧ : ٨٧

٤ — « آئنكم » و« وأئن لنا لأجرا » و « أإله » ، قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر بتسهيل الثانية بين بين وحققها الكوفيون وابن عامر ، وفصل بين الهمزتين في جميع الباب أبو عمرو وأبو جعفر (١) .

٥ — « قل أؤنبئكم بخير من ذلكم » و « أأنزل عليه الذكر » ، قرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر بتسهيل الثانية ، وحققها الباقون وفصل بينهما بألف أبو جعفر واختلف عن أبي عمرو (٢) .

ومن الشواذ : —

١ — قرأ ابن مسعود « بل أأدرك » بهمزتين (٣) .

٢ — « أيلها مع الله » في بعض المصاحف كأنه قال أتدعوا إلها مع الله (٤)

٣ — وقرأ الأعمش « آينكم » بالمد (٥) .

٤ — وقرأ عبد الله بن إسحق الحضرمي « آانذرتهم » بهمزتين مخففتين بينهما ألف (٦) .

٥ — وقرأ الأعمش « آأن ذكرتم » بمدة قبل الهمزة المفتوحة (٧) .

وهذه القراءات تضع أمامنا الحقائق الآتية :

١ — أن اختلافهم كان حول الهمزة الثانية بين تحقيقها وتخفيفها وتسهيلها بين بين ، وتحقيقها مع الفصل بينها وبين الأولى بألف ، ومعنى ذلك أن تحقيق الهمزة

---

(١) النشر : ١ : ٣٦٩
(٢) السابق : ١ : ٣٧٤
(٣) ابن خالويه : ١١٠
(٤) المصدر والصفحة
(٥) الكرماني : ٨٨
(٦) الكرماني : ١٨
(٧) ابن خالويه : ١٢٥

الأولى متفق عليه ، وأن هناك — مع الاختلاف — من يقرأ بتحقيق الثانية أيضا ، فالتحقيـــق إذن أظهـــر وأغلـــب .

٢ — أن الكوفيين قرأوا بتحقيق الهمزتين معا ، وكذلك قرأ ابن مسعود .

٣ — أن أبا عمرو — بخلاف — وأبا جعفر — بدونه — كانا يقـــرآن بتحقيق الهمزتين مع إدخال ألف بينهما .

٤ — أن الهمزتين لم تخففا إلا فى قراءة واحدة شاذة .

٢ ـ المجتمعتان فى كلمتين

همزتان متفقتان :

١ — كسرا نحو « من النساء إلا » و « ومن وراءِ إسحق » .

٢ — فتحا نحو « السفهاءَ أموالــكم » و « جاء أحـــدكم » .

٣ — ضما نحو « أولياءُ أُولئك » .

فقرأ أبو عمرو بإسقاط الهمزة الأولى منها فى الأقسام الثلاثة . وقرأ أبو جعفر بتحقيق الأولى وتسهيـــل الثانية فى الأقســـام الثلاثة . وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والـكسائى وخلف بتحقيق الهمزتين جميعا فى الأقســـام الثلاثة . (١)

همزتـــان مختلفتـــان :

١ — مفتوحة ومضمومة « جاءَ أُمة رسولها » .

٢ — مفتوحة ومكسورة نحو « شهداءَ إذ » و « جاءَ إخوة » .

٣ — مضمومة ومفتوحة نحو « نشاءُ أصبناهم » و « ويا سماءُ أقلعى » .

٤ — مكسورة ومفتوحة نحو « وهؤلاء أهدى » و « من وعاء أخيه » .

٥ — مضمومة ومكسورة نحو « ولا يأب الشهداءُ إذا » و « ياأيها الملأُ إنى »

فقـــرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل

---

(١) النشر / ١ / ٣٨٢

الهمزة الثانية فيها جميعا . وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى وخلف بتحقيق الهمزتين (١) .

وهذه القراءات أيضا تؤكد أن تحقيق الهمزة أكثر انتشارا فى العربية من تسهيلها.

والآن ، وبعد هذا العرض لمذاهب القراء فى الهمزة تحقيقا أو تسهيلا ، علينا أن نعرف لهجات القبائل فى الهمز .

تجمع كتب العربية على أن تحقيق الهمزة من لهجات تميم وقيس وبنى أسد ومن جاورها ، أى قبائل وسط شبه الجزيرة وشرقيها ، وأن تسهيلها لهجة أهل الحجاز (٢) .

وليست القبائل المحققة للهمزة كلها سواء فى التحقيق ، بل منهم من يذهب فى تحقيقها مذهبا بعيدا فيبدل الألف والواو والياء همزة وهم بنو أسد ، إذ يذكر الفراء أن همز يأجوج ومأجوج (لغة) بنى أسد « ولا وجه له إلا اللغة العربية المحكية عن العجاج أنه كان يهمز العألم والخأتم . (٣) » وقد روى عنه (٤) :

يادار سلمى يا اسلمى ثم اسلمى

فخندف هامة هذا العألم

وحكى اللحيانى عنهم بأز بالهمزة والأصل باز من غير همز . قال الشاعر :

كأنه بأز دجن فوق مرقبة

جلى القطا وسط قاع سملق سلق (٥)

---

(١) النشر : ١ : ٣٨٦

(٢) السيرافى : شرح كتاب سيبويه . مخطوطة بدار الكتب رقم ١٣٦ نحو : ١٣ وشرح المفصل ٨ : ١٠٧ وهمع الهوامع ٢ /٢٣٣

(٣) البحر : ٦ : ١٦٣

(٤) سر الصناعة : ١٠١

(٥) شرح المفصل : ١٠ : ١٢ — ١٣

ويقول أبو زيد ، سمعت رجلا من غنى يقول ، هـــذه قسمة ضئزى بالهمز [١] .
وبنو غنى هؤلاء من قيس [٢] . وقيس من القبائل التى تحقق الهمزة كما ذكرنا .

وهذه القبائل التى كانت تحقق الهمزة قبائل كانت تعيش فى البادية ، أما قبائل التسهيل فهى تلك التى كانت متحضرة فى الحجاز وبخاصة قريش فى مكة ، والأوس والخزرج فى المدينـــة ، وتمثلها قراءة أبى جعفر وبعض قراءات نافع قارئى المدينة أصدق تمثيل ، أما قراءة ابن كثير قارئ مكة فإنها تخالف بيئته كل المخالفة ، ولقد دفعنا ذلك — إلى جانب الأسباب الأخرى ، أن نرفض الاعتماد على بيئة القارىء فى تحديد اللهجة التى تصورها قراءته .

وليس معنى ذلك أن قبائل الحجاز كلها كانت تتخلص من الهمزة ، لكننا نرجح أنها القبائل المتحضرة فى الحجاز ، إذ يقول سيبويه [٣] « وقد بلغنا أن قوما من أهل الحجاز من أهل التحقيق يحققون نبىء وبريئة وذلك قليل ردىء [٤] . » ونقل أبو على الفارس أن أهل الحجاز يحققون الهمزتين المجتمعتين فى كلمـة ويفصلون بينهما بألف نحـو آإنك وآأنت [٥] . ونحن نرجح أن القبائل الحجـازية التى كانت تجنح إلى تحقيق الهمزة هى تلك القبائل التى كانت تسكن أطراف الحجـــاز مجاورة لأهل البادية من وسط شبه الجزيرة وشرقيها .

وينقل ابن جنى عن قطرب أن بعض عكل يهمزون ترقؤة . ثم يقول « ووجه القول عليها — عندى — أن تكون مما همز من غـــير المهموز ، بمنزلة استلأمت الحجر واستنشأت الرائحة [٦] . » وعكل هؤلاء من طابخة [٧] ، وطابخـــة من

---

(١) ابن سيدة / المخصص (بولاق ١٣١٩ هـ) ١٢ / ٢٠٩
(٢) ابن حزم / جمهرة أنساب العرب ٢٣٢
(٣) الكتاب ٢ : ١٧٠
(٤) الحجة : ١ : ٢٦٧
(٥) ابن جنى : الخصائص ٣ : ٢٠٧
(٦) القلقشندى : نهاية الأرب : ٢٩٩

من خندف [١] التى كانت تسكن الحجاز [٢] ، فلعل عكل كانت تسكن أطراف الحجاز مجاورة للقبائل البادية فى وسط شبه الجزيرة وشرقها .

ويسأل الدكتور أنيس « كيف تأتى أن البيئة الحجازية التى عرفت بالتأنى فى الأداء ، ولم يشتهر عنا إدغام أو إمالة ، أن تعمل على التخلص من الهمزة فى نطقها ؟ إذ التخلص من الهمزة نوع من الميل إلى السهولة والبعد عن التزام التحقيق فى النطق بالأصوات [٣] » .

والذى عندنا أن تحقيق الهمزة يناسب البيئة البدوية ، إذ ثبت أنها صوت شديد لأنها صوت حنجرى انفجارى لا هو بالمجهور ولا بالمهموس ، ولقد أدرك القدماء هذه الحقيقة عن الهمزة فعبر غير واحد منهم عن ثقلها وصعوبتها فى النطق . يقول ابن جنى « وإنما لم تجتمع الفاء والعين ، ولا العين واللام همزتين ، لثقل الهمزة الواحدة لأنها حرف سفل فى الحلق وبعد عن الحروف ، وحصل طرفا ، فكان النطق به تكلفاً [٤] » . ويقول ابن يعيش « الهمزة حرف شديد مستثقل من أقصى الحلق إذ كان أدخل الحروف فى الحلق فاستثقل النطق به إذ كان إخراجه كالتهوع فلذلك من الاستثقال ساغ فيها التخفيف وهو لغة قريش وأكثر أهل الحجار وهو نوع استحسان لثقل الهمزة ، والتحقيق لغة تميم وقيس ، قالوا لأن الهمزة حرف فوجب الإتيان به كغيره من الحروف [٥] » .

---

(١) السابق : ٢٦٣

(٢) البكرى : معجم ما استعجم ١ : ١١

(٣) اللهجات العربيه : ٥٨

(٤) سر الصناعة ١ : ٨١

(٥) شرح المفصل : ٩ : ١٠٧

ومع ذلك فإن الهمزة التى نحاول أن نجد تعليلا لتخلص الحجازيين منها هى التى سادت اللغة العربية المشتركة كما يتضح من القراءات القرآنية التى قدمناها ، وهى دليل قاطع على أن هذه العربية المشتركة التى نعرفها فى النصوص الجاهليــــة لم تقم على لهجة قريش وحدها ، أو بعبارة أخرى ليست لهجة قريش هى هذه العربية المشتركة على ماذهب إليه القدماء والمحدثون .

* * *

٢ - الصوامت الحلقية

الصوامت الحلقية عند سيبويه هى الهمزة والياء وهى أقصاها مخرجا ، ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء ، وأدناه مخرجا من الفم الغين والخاء . والهمزة والعين والغين عنده مجهورة والهاء والحاء والخاء مهموسة (١) .

ولا يختلف الدكتور أنيس عن سيبويه إذ يذكر أن الأصوات الحلقية هى الغين والخاء والعين والحاء والهاء والهمزة (٢) إلا أنه يختلف معه فى الهمزة فيذكر أنها صوت لا هو بالمجهور ولا بالمهموس (٣) .

لكن التجارب الحديثة تثبت أن الصوامت الحلقية هى :

١ — الهمزة وهى صوت صامت حنجرى انفجارى (٤) .

٢ — الحاء وهى صوت صامت مهموس حلقى احتكاكى (٥) .

٣ — العين وهى صوت صامت مجهور حلقى احتكاكى (٦) .

٤ — الهاء وهى صوت مهموس حنجرى احتكاكى (٧) .

أما الغين فهى صوت صامت مجهور حنكى — قصى احتكاكى (٨) .

---

(١) سيبويه : الكتاب ٢ : ٤٠٥

(٢) الدكتور أنيس : الأصوات اللغويه ٨٠

(٣) السابق : ٨٢

(٤) الدكتور السعران : علم اللغه ١٧١

(٥) السابق : ١٩٥

(٦) المصدر والصفحه

(٧) الدكتور السعران : علم اللغه ١٩٦

(٨) السابق ١٩٤

والخاء صوت صامت مهموس حنكي قصي احتكاكي (١) .

وقد اختلفت اللهجات العربية فى الصوامت الحلقيـــة ، بين إبقائها صامتة دون صائت قصير (حركة) ، وبين تحريـكها بالفتحة ، بل إن الصامت الحلقي يؤثر على الصامت الذى قبله فيحركه بالفتحة أيضاً .

والآن نعرض لمذاهب القراء فى الصامت الحلقي :

قراءات صحيحـــة :—

١ — اختلفوا فى فتح العين وإسكانها من « من المـعز » فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر « من المـَعز » بفتح العين . وقرأ نافع وعاصم وحمزة والـكسائى « من المعْـز » ساكنة العين (٢) .

٢ — واختلفوا فى قـــراءة « أبى لَهَب » فقرأ ابن كثير وحده « يدا أبى لهْـب » ساكنة الهاء ، وقرأ الباقون « لـَهَب » متحركة (٣) .

٣ — وقرأ الجمهور « وكلا منها رغَـدا » بفتح الغين (٤) .

٤ — واختلفوا فى « ويأوون الناس بالبخل » فقـرأ حمزة والـكسائى بفتح الباء والخاء وقرأ الباقون بضم الباء وسكون الخاء (٥) .

٥ — واختلفوا فى « شطأه » فقرأ ابن كثير وابن عامر « شطـَأَه » مفتوحة الطاء والهمزة ، وقـــرأ الباقون « « شطْأَه » ساكنة الطاء ، وكلهم يقرأ بهمزة مفتوحة (٦) .

---

(١) السابق : ١٩٤

(٢) الحجة : ٤ : ١١٦

(٣) الحجه : ٨ : ٤١٣

(٤) البحر : ١ : ١٥٥

(٥) البحر : ٢ : ٢٤٦

(٦) الحجه : ٧ : ١٧٦

ومن القراءات الشاذة :

١ — قرأ خارجة عن نافع « السَّحَت » بفتحتين [١] .

٢ — وقرأ يحي بن وثاب « إلى النَّحَل » بفتحتين [٢] .

٣ — وقرأ سهيل بن شعيب « جَهَرة » و « زَهَرة » كل شيء في القرآن محركا [٣] .

٤ — وقرأ طلحة « الضَّأن » بفتح الهمزة [٤] .

وقرأ الحسن « إلى يوم البعَث » و « فهذا يوم البعَث » بفتح العين فيهما [٥]

٦ — وقرأ الحلواني « حملته أمة وهَنا على وهَن » بفتح الهاء [٦] .

٨ — وقرأ محمد بن السميقع « قَرَح » بفتح القاف والراء [٧] .

وواضح من هذه القراءات أن كثيرين من القراء كانوا يقرأون الصامت الحلق بفتحة ، وبتحريك الصامت الذى قبله بفتحة كما فى « شَطَأَه » و « قَرَح » . ويبدو أن هذا التحريك كان شائعا حتى إن أبا على يقول « واتفاقهم على الفتح يدل أنه أوجه من الإسكان » [٨] .

وتحريك صوت الحلق بالفتحة واضح كل الوضوح في اللغة العبرية نحو Baeal

---

(١) ابن خالويه : ٣٢

(٢) ابن خالويه ٧٣

(٣) المحتسب : ٣٠

(٤) المحتسب : ١١١

(٥) المحتسب : ٢٤٩

(٦) المحتسب : ٢٥٠

(٧) المحتسب : ٧٥

(٨)

يَعَل Naεal ، يَنعَل Lahaç لحَص . وكذلك الصامت الذى قبـــله ، فالفعلان الماضيانPatah'Shamaε كان ينبغى أن يكون مضارعهما على قياس الثلاثى الصحيح Yishmuε بضم الميم و Yiftuh بضم التاء ، لكن العَين فيهما تفتح لصوت الحلق الواقع لاما بعدها Yishmae , Yiftah .

أما القبائل العربية التى كانت تميل إلى فتح الأصوات الحلقية ، فيذكر ابن جنى أنهم بنو عقيل، يقول أبو الفتح تعليقا على قراءة « جَهَرة » (يذهب أصحابنا فى كل شىء من هذا النحو مما فيه حرف حلقى ساكن بعد حرف مفتوح أنه لا يحرك إلا على أنه لغة فيه كالزهْرة والزهَرة والنهْر والنَهر والشعْر والشعَر ، فهذه لغات عندهم كالنَّشْر والنَّشَر ، والحلْب والحلَب والطَّرْد والطَّرَد . ومذهب الكوفيين فيه أنه يحرك الثانى لكونه حرفا حلقيا فيجيزون فيه الفتح وإن لم يسمعوا كالبحْر والبحَر ، والصخْر والصخَر ، وما أرى القول من بعد إلا معهم والحق فيه إلا فى أيديهم وذلك أنى سمعت عامة عقيل تقول ذاك ولا تقف فيـــه سائغا غير مستكره ، حتى لسمعت الشجرى يقول ، أنا محَموم بفتح الحاء ، وليس أحد يدعى أن فى الكلام مفَعولا . وسمعته مرة أخرى يقول وقد قال له الطبيب مص التفاح وارم بثُفْله — والله لقد كنت أبغى مصه وعليته تغَذو بفتح الغـين ، ولا أحد يدعى أن فى الكلام يفَعُل بفتح الفاء ، وسمعت جماعة منهم وقد قيل لهم ، قد أقيمت لكم أنزالكم من الخبز ، قالوا فاللَّحَم يريدون اللحم بفتح الحاء ، وسمعت بعضهم وهو يقول فى كلامه ، ساروا نَحَوه بفتح الحاء [1] .

ويؤيد ذلك ما أورده فى الخصائص مستشهداً عليه بقول كثير [2] :

---

(١) المحتسب : ٣٠

(٢) الخصائص : ٢ : ٩

له نعَــــل لا تطبي الكلب ريحهـــا
وإن جعلت وســـط المجالس شمت

ويقول أبو النجم :

وجبـــلا طال معـــداً فاشمخر
أشم لا يسطيعه الناس الدهَر

وعن تحريك الصوت الذى يسبق صوت الحلق بالفتحة يذكر ابن جنى أيضا أنه لهجة عقيل ، فهو يقول فى تعليقه على قراءة (قَـرَح) ، « ولقـد رأيت كثيراً من عقيل لا أحصيهم تحرك من ذلك ما لا يتحرك أبداً لولا حرف الحلق (١) .

ويذكر أبو حيان أن تحريك الأصوات الحلقية بالفتحة من لهجة لبعض بـكر ابن وائل ، ويستشهد على ذلك بالبيت :

وإن امرأ لا يرتجى الخـــير عنـده
لذو بَـخَـل كل عـلى من يصاحب (٢)

فهذه اللهجة إذن يمكن أن نعزوها إلى بنى عقيل وإلى بنى بكر بن وائل ، فإذا عرفنا أن بنى عقيــل كانوا يسكنون البحرين (٣) ، وأن بنى بـكر بن وائل كانوا يسكنون اليمامة إلى البحرين (٤) ، أدركنا سر هذا التشابه فى اللهجة بين القبيلتين

والتفسير العلمى لهذه الظاهرة أن تحريك الصوت الحلق أخف من تسكينه ، إذ « أن كل أصوات الحلق بعد صدورها من مخرجها الحلق تحتاج إلى اتساع فى مجراها بالفم ، فليس هناك ما يعوق هذا المجرى فى زوايا الفم ، ولهذا ناسبها من أصوات اللين

(١) المحتسب : ٥٧
(٢) البحر : ٣ : ٢٤٦ ـ ٢٤٧
(٣) القلقشندى : نهاية الأرب ٢٩٨
(٤) الهمدانى : صفة : ١٦٩

أكثرها اتساعا ، وتلك هى الفتحة »(٢) .

* * *

٣ - كسر حرف المضارعة

الكسرة صائت قصير ، وهى أثقل من الفتحة وأخف من الضمة ، والمعروف أن حرف المضارعة يحرك بالفتحة إلا إذا كان الماضى رباعيا فإنه يضم . لكن بعض القبائل كانت تجنح إلى تحريك حرف المضارعة بالكسرة دائما .

وإليك أولا ما وجدناه من قراءات تشير إلى ذلك . والقراءات التى وجدناها كلها من القراءات الشاذة .

١ — قرأ عبيد بن عمير الليثى وزر بن حبيش ويحيى بن وثاب والنخعى والأعمش «نِستعين» بكسر النون (٣) .

٢ — وقرأ يحيى بن وثاب وأبو رزين العقيلى وأبو نهيك «تِبيض» و«وتِسود» بكسر التاء فيهما (٤) .

٣ — وقرأ يحيى بن وثاب « ولا تِركنوا » بكسر التاء (٥) .

٤ — وقرأ ابن وثاب وطلحة والهذيل بن شرحبيل الكوفى « ألم إعهد إليكم (١) »

٥ — وقرأ عبد الرحمن المقرىء « فإنما إضل » بكسر الهمزة (٢) .

٦ — وقرأ يحيى والأعمش وطلحة بخلاف ورواه إسحق الأزرق عن حمزة « فتِمسكم النار » بكسر التاء (٣) .

---

(٢) الدكتور أنيس : اللهجات العربية ١٣٥

(٣) البحر : ١ : ٢٣

(٤) البحر : ٣ : ٢٢

(٥) ابن خالويه : ٦١

(٦) ابن خالوبة : ١٢٥ : والبحر ٧ : ٣٤٣

(٨) ابن خالويه : ١٢٢

٧ — وقرأ عيسى الثقفى « سنِفرغ لكم » بكسر النون [٤] .

٨ — وقرأ يحيى بن وثاب « ثم إضطرهم » بكسر الألف [٥] .

وهذه القراءات تضع أمامنا الحقائق الآتية :

١ — أن يحيى بن وثاب يكاد يشترك فى كل القراءات التى تذهب إلى كسر حرف المضارعة ، وهو تابعى كوفى من موالى بنى أسد [٦] .

٢ — أن القراءات التى وجدناها بكسر حرف المضارعة ليس من بينها الياء .

٣ — أن هذه القراءات موجودة فى الفعل المضارع سواء كان ثلاثيا أم غيره .

والجدير بالملاحظة أن اللغة العبرية تكسر حرف المضارعة فى معظم الأوزان ، فالفعل Shamar « شمر » مضارعه Yishmur « يِشمُر » ، والفعل dibber « دِبّر » مضارعة Yidabbir . كما أن لهجاتنا العامية تميل إلى كسر حرف المضارعة نحو (يِلعب — يِنام — يِصلى — يِستغفر) .

ويذكر القدماء أن كسر حرف المضارعة هو ما يعرف بالتلتلة ، وهم ينسبونها إلى بهراء . يقول ابن جنى « وأما تلتلة بهراء ، فإنها تقول ، تِعلمون و تِفعلون و تِصنعون بكسر أوائل الحروف [١] » . ويذكر أبو الفتح فى تعليقه على قراءة (فتِمسكم النار) أن هذه « لغة تميم أن تكسر أول مضارع ما ثانى ماضيه مكسور نحو تِعلم وأنا إعلم وهى تِعلم ونحن نِركب ، وثقل الكسرة فى الياء نحو يِعلم و يِركب استثقالا

---

(١) المحتسب ١٥٨

(٢) المحتسب : ٣١٠

(٣) ابن خالويه : ٩

(٤) غاية النهاية : ٢ : ٣٨٠

(١) سر الصناعة ١ : ٢٣٥

للكسرة فى الياء [٢] » .

ولكن أبا حيان يزيد على ذلك بأنها «لغة قيس وتميم وأسد وربيعة [٣]» ثم ينقل عن أبى جعفر الطوسى أنها « لغة هذيل » [٤] ويضيف فى موضع آخر أن « بعض كلب يكسرون أيضا فى الياء ، يقولون هل يِعلم ؟ » [٥] .

وينسبها الإستراباذى إلى جميع العرب إلا أهل الحجاز « واعلم أن جميع العرب إلا أهل الحجاز يجوزون كسر حرف المضارعة سوى اليـاء فى الثلاثى المبنى للفاعل ، إذا كان الماضى على فَعِل بكسر العين ، فيقولون أنا إعلم ونحن نِعلم وأنت تِعلم وكذا فى المثال والأجوف والناقص والمضاعف نحو إيجـل وإخال وإشقى وإعض ، والكسرة فى همزة إخال وحده أكثر وأفصح من الفتح [٦] » .

هذه النصوص إذن تنسب هذه اللهجة إلى القبائل الآتية :

بهراء — كلب — تميم — قيس — أسد — ربيعة — هذيل .

أما بهراء وكلب فهارتان من قضاعة ، ونحن نعلم أنهم كانوا ينزلون الشام بالقرب من العراق [١] . وأما ربيعة فكانت تسكن الحيرة [٢] ، وأسد من ربيعة وكانت تنزل قبل الكوفة بخمس مراحل [٣] . بقى لدينا تميم وهذيل،أما تميم فكانت تسكن

---

(٢) المحتسب : ١٥٨
(٣) البحر ١ : ٢٣
(٤) البحر : ١ ٢٤
(٥) البحر : ٧ : ٣٤٣
(٦) الاستراباذى : شرح شافية ابن الحاجب (١٩٣٩) ١ : ١٤١
(١) الهمدانى : صفة ١٧٠
(٢) ابن الأثير : الكامل ١ : ١٥٨

شرق شبه الجزيرة بالقرب من العراق ، وأما هذيل فكانت تسكن الحجاز (٤) .

ومعنى ذلك أن هذه القبائل التى كانت تميل إلى كسر حرف المضارعة كانت تنزل الشام بالقرب من العراق أو فى المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة بالقرب من العراق أيضا فيما عدا بنى هذيل . ولذلك يحاول الدكتور أنيس أن يفسر هذه الظاهرة بأن « بعض القبائل التى تأثرت بحياة الحضر قد آثرت صوت اللين الأمامى الذى نسميه الكسرة (٥) » . ثم يطبق ذلك على بهراء التى تأثرت بما فى الشام من لغات كالآرامية والعبرية اللتين اطرد فيهما كسر حرف المضارعة .

ولقد يكون ذلك صحيحا لو أن الرواة لم ينسبوا هذه الظاهرة إلى تميم وإلى هذيل ، فتميم من القبائل البادية كما نعلم ، وهذيل من القبائل الحجازية ، وعلى أية حال فإن اللغة لا تعرف الاطراد الدائم الذى لا يتخلف .

---

(١) الهمدانى : صفة ١٣١

(٢) البكرى : معجم ١ : ١١

(٣) للهجات العربية ٧٤

٤ — الصوائت القصيرة

الأصوات الصائتة القصيرة فى العربية ثلاثة ، الفتحة والكسرة والضمة ،والفتحة أخفها تليها الكسرة وأثقلها الضمة .

وقد اختلفت اللهجات العربية فى هذه الصوائت ، إذ نلحظ أن بعض اللهجات يستعمل الفتحة مثلا حيث تستعمل الكسرة أو الضمة لهجات أخرى .

ا — بين الفتح والكسر

مذاهب القراء ، قراءات صحيحة :

١ — اختلفوا فى كسر السين وفتحها من قوله عزوجل « يحسبهم » و« تحسبن »، فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائى بكسر السين فى كل القرآن ، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة وأبو جعفر بفتح السين فى كل القرآن [١]

٢ — اختلفوا فى كسر السين وفتحها من « عسيتم » فقرأ نافع بكسر السين وفتحها الباقون [٢] .

٣ — اختلفوا فى فتح القاف وكسرها من قوله سبحانه « وقرن فى بيوتكن » فقرأ عاصم ونافع « وقَرن » بالفتح وقرأ الباقون بالكسر [٣] .

٤ — اختلفوا فى فتح السين وكسرها من قوله « السلم » فقرأ ابن كثير ونافع والكسائى بفتح السين ، وقرأ أبو عمرو وابن عامر بكسر السين واختلف عن الباقين [٤] .

٥ — اختلفوا فى فتح الحاء وكسرها من قوله «حج البيت» فقرأ حمزة والكسائى وعاصم بكسر الحاء ، وقرأ الباقون بالفتح [٥]

---

(١) الحجة : ٣ : ٤٣ والبحر ٢ : ٣٢٨ والإتحاف ١٩٧
(٢) الحجة : ٢ : ٣٨٤
(٣) الحجة : ٦ : ١٥٤
(٤) الحجة : ٢ : ٣١٩
(٥) الحجة : ٣ : ١٧٨
(٦) الحجة : ٤ : ١١٥

٦ — اختلفوا فى فتح الحاء وكسرها من قوله « يوم حصاده » فقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائى بكسر الحاء وقرأ الباقون بالفتح (٦) .

٧ — اختلفوا فى « غلظة » فقرأ عاصم - فى رواية - بفتح الغين ، وقرأ الباقون بكسرها (١) .

٨ — اختلفوا فى قوله « والوتر » فقرأ حمزة والكسائى بكسر الواو ، وقرأ الباقون بفتحها (٢) .

قراءات شاذة :

١ — قرأ أبو حيوة « من الرِّضاعة » بكسر الراء (٣) .

٢ — وقرأ الأعمش وأبان بن ثعلب والفضل « غَلظة » بفتح الغين (٤) .

٣ — فى قوله تعالى « لقد كان لسبأ فى مساكنهم آية » قرأ النخعى وحمزة وحفص مفردا بفتح الكاف ، وقرأ الأعمش وعلقمة مفردا بكسرها (٥).

٤ — قرأ الحسن وابن هرمز « نِعجة » بكسر النون (٦) .

أما عن لهجات القبائل فى هذه الظاهرة ، فتذكر كتبهم أن أهل الحجاز يميلون إلى الفتح ، وأن قبائل قيس وتميم تميل إلى الكسر . (٧) ويذكر أبو حيان أن قبيلة أسد أيضا تجنح إلى الكسر حيث يذهب الحجازيون إلى الفتح (٨). كما ينسب صاحب الإتحاف الكسر إلى أهل نجد (٩). لكنه يعكس فى (يحسِب) فيعزو كسر السين

---

(١) الحجة :٥:٣٤٩
(٢) الحجة :٧:٣٦٥
(٣) البحر : ٣:٢١١
(٤) البحر :٥:١١٥ والإتحاف : ٢٩٢
(٥) البحر :٧:٢٦٩
(٦) البحر :٧:٣٩٢
(٧) الحجة :٧:٣٦٥
(٨) البحر :٥:١١٥
(٩) الإتحاف :٢١٢

إلى أهل الحجاز وفتحها إلى تميم ، فلعله أخطأ فى النقل أولعل إحد القبيلتين تركت لهجتها إلى لهجة القبيلة الأخرى فى هذا الفعل بعينه خصوصا أن ابن جنى يذكر أن بعض التميميين — فى بعض الألفاظ — كانوا يتركون لهجتهم إلى لهجة الحجازيين وأن هؤلاء يفعلون ذلك أيضا (١) .

وعلى أية حال فإننا نستطيع أن نعزو الفتح — وهو أخف من الكسرة — إلى البيئة المتحضرة فى الحجاز ، وأن نعزو الكسر إلى تميم وأسد وأهل نجد وهى قبائل بادية لا تنفر طبائعهم من الخشونة .

ب — بين الفتح والضم

الفتح كما قلنا أخف الصوائت القصيرة فى العربية ، والضم أثقلها ، وتدلنا القراءات على أن هناك لهجات تستعمل الفتح حيث تستعمل الضم لهجات أخرى .

وإليك أولا مذاهب القراء فى ذلك .

أ — قراءات صحيحة :

١ — اختلفوا فى فتح القاف وضمها من قوله تعالى «قرح» فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر « قَـرح » بفتح القاف ، وقرأ عاصم وحمزة والكسائى بضمها (٢).

٢ — اختلفوا فى فتح الكاف وضمها مق قوله « كرها » فقرا ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر بفتح الكاف ، وقرأ حمزة والكسائى بضمها (٣) .

٣ — اختلفوا فى فتح الراء وضمها من قوله « الرهب » فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بالفتح وقرأ عاصم وحمزة والكسائى وابن عامر بالضم (٤) .

---

(١) المحتسب : ٣١

(٢) الحجة : ٣ : ١٨٦

(٣) الحجة : ٣ : ٢٠٥

(٤) الحجة : ٦ : ٩٠

٤ — اختلفوا فى ضم الضاد وفتحها من قوله « الذى خلقكم من ضعف » فقرأ عاصم وحمزة بفتح الضاد وقرأ الباقون بالضم [١]

٥ — اختلفوا فى ضم السين وفتحها من قوله « سدا » فقرأ حمزة والكسائى وعاصم — فى رواية — بفتح السين ، وقرأ الباقون بالضم [٢] .

٦ — اختلفوا فى ضم الغين وفتحها من قوله « غرفة » فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بفتحها وقرأ الباقون بالضم [٣] .

٧ — اختلفوا فى ضم السين وفتحها من قوله « فنظرة إلى ميسرة » فقرأ نافع وحده بضم السين ، وقرأ الباقى بفتحها [٤] .

وواضح أن هذه القراءات تبين أن القراء لم يكن لهم مذهب واحد فى القراءة بالفتح أو بالضم ، لكننا نلحظ أن أكثرهم قراءة بالفتح نافع وابن كثير، وقراءتهما تصور اللهجة التى كانت تسود بينهما ، وأن أكثرهم قراءة بالضم هم الكوفيون .

ب — ومن الشواذ :

١ — قرأ يحيى بن يعمر « ولوُلدى » بضم الواو [٥] .

٢ — وقرأ أبو حيوة والسلمى وابن أبى عبلة والمفضل وأبان « غُلظة » بضم الغين [٦] .

٣ — وقرأ قتادة وطلحة والأشهب ورويت عن أبى عمرو « ولا تركُنوا »

---

(١) الحجة : ٦ : ١٢٦ والنشر ٢ : ٢٤٥

(٢) الحجة : ٦ : ١٩٤

(٣) الحجة : ٢ : ٣٨٥

(٤) الحجة : ٣ : ٥٤ والبحر ٢ : ٣٤٠ والإتحاف ١٩٨

(٥) ابن خالويه : ٦٩ والمحتسب ١٧٧

(٦) البحر : ٥ : ١١٥

بضم الكاف (١) .

٤ — وقرأ الزعفرانى والقورصى وابن المناذرى بضم الباء من « إننى بُراء مما تعبدون » (٢) .

أما لهجات القبائل فى هذه الظاهرة فإنهم ينسبون الفتح إلى أهل الحجاز، وينسبون الضم إلى أهل البادية من العالية ونجد وتميم وأسد(٣) . » ومن كلام بنى أسد مُولْدُكِ من دمى عقبيك ، أى ولدك من ولدته فسال دمك على عقبيك عند ولادته (٤) . »

والفتحة تلائم البيئة الحضرية لما فيها من خفة بينما تناسب الضمة أهل البادية لثقلها . لكنهم ينسبون الضم فى (ميسُرة) إلى أهل نجد (٥) . وقد وردت عليه كلمات أخرى نحو مقبُرة ومشرُبة ومسرُبة ومأدُبة(٦) . فلعل ذلك — شأن الظواهر الأخرى — انتقال لهجة إلى لهجة أخرى .

ج — بين الكسر والضم

قراءات صحيحة : أ — فى الأسماء :

١ — اختلفوا فى كسر الراء وضمها من قوله تعالى « ورضوان » فقرأ عاصم « ورُضوان » بالضم وقرأ الباقون بالكسر . (٧)

٢ — واختلفوا فى « خفية » بكسر الخاء وضمها ، فقرأ عاصم بالكسر وقرأ

---

(١) البحر : ٥ : ٢٦٩

(٢) البحر : ٨ : ١١

(٣) البحر : ٥ : ١١٥ ، ٨ : ١١

(٤) المحتسب : ١٧٧

(٥) البحر : ٢ : ٣٤٠

(٦) إتحاف : ١٩٨

(٧) الحجة : ٣ : ١٢٣

الباقون بالضم . [١]

٣ — اختلفوا فى ضم الجيم وكسرها من قوله تعالى « جذوة » فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائى « جِذوة » بكسر الجيم ، وقرأ حمزة بالضم .[٢]

٤ — اختلفوا فى ضم الهمزة وكسرها من قوله سبحانه « أسوة حسنة » فقرأ عاصم بالضم وقرأ الباقون بالكسر . [٣]

٥ — وقرأ أبو جعفر ويعقوب « والرجز » بضم الراء والباقون بكسرها .[٤]

٦ — اختلفوا فى « البيوت والعيون والشيوخ والغيوب والجيوب » فى ضم الحرف الأول وكسره ، فقرأ أبو عمرو بضم ذلك كله ، وقرأ حمزة بكسر الأول من هذه الحروف واختلف عن الباقين .[٥]

٦ — وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم « من حليهم » بضم الحاء ، وقرأ حمزة والكسائى بكسرها . [٦]

ب — فى الأفعال : —

١ — اختلفوا فى قوله تعالى«لا يعزب عنه» فقرأ الكسائى وحده بكسر الزاى، وقرأ الباقون بضمها . [٧]

٢ — اختلفوا فى قوله تعالى « لم يطمثهن » فقرأ الكسائى وحده بضم الميم ، وقرأ الباقون بكسرها . [٨]

---

(١) الحجة : ٤ : ٢٠ والنشر : ٢ : ٢٥٩
(٢) الحجة : ٦ : ٨٩
(٣) الحجة : ٦ : ١٥١ والإتحاف ٤٣٢
(٤) الإتحاف : ٥٢٦
(٥) الحجة : ٢ : ٢٩٩
(٦) الحجة : ٤ : ٢٠٦
(٧) الحجة : ٦ : ١٦٢
(٨) الحجة : ٧ : ٢٢٤

٣ — اختلفوا فى قوله سبحانه « يعكفون » فقرأ حمزة والكسائى بكسر الكاف وقرأ الباقون بضمها . (١)

٤ — واختلفوا فى ضم الصاد وكسرها من قوله « فصرهن إليك » فقرأ حمزة بكسرَ الصاد ، وقرأ الباقون بضمها . (٢)

٥ — اختلفوا فى « وإذا قيل لهم انشزوا فانشزوا » فقرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين وقرأ الباقون بكسرها . (٣)

٦ — واختلفوا فى كسر التاء وضمها من « خذوه فاعتلوه » فقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر بضم التاء وقرأ الباقون بالكسر (٤) .

ومن الشواذ :—

١ — قرأ أبو عبد الرحمن السلمى « صُنوان » بضم الصاد . (٥)

٢ — وقرأ الأعمش والخفاف والأعرج « قُنوان » بضم القاف ورواه السلمى عن على بن أبى طالب . (٦)

٣ — قرأ السلمى وأبو رجاء والحسن « فى مُرية » بضم الميم (٧) .

٤ — وقرأ الأعمش « يعرِجون » بكسر الراء (٨) .

وعن لهجات القبائل فى هذه الظاهرة فإنهم ينسبون الكسر إلى أهل الحجاز

---

(١) النشر : ٢ : ٢٧١ والإتحاف ٢٧٣
(٢) الحجة : ٣ : ٣٠١
(٣) الحجة : ٧ : ٢٥٠ والنشر ٢ : ٣٨٥
(٤) الحجة : ٧ :١٣٧
(٥) المحتسب : ١٦٨
(٦) البحر : ٤ : ١٨٩
(٧) البحر : ٥ : ٢١١
(٨) البحر : ٥:٤٤٨ والإتحاف ٣٢٩

لأنه أخف . (١) ونسب الفراء الضم إلى أهل الحجاز فرده أبو حيان قائلا « وهو مخالف لما نقلنا من أن لغة الحجاز قِنوان بكسر القاف (٢) . » كما ينسبه بعضهم إلى هذيل (٣) ، ونحن نعلم أن هذيلا من ساكنى الحجاز (٤) .

وإذا كان الحجازيون يستعملون الكسر ، فإن قبائل تميم وقيس (٥) وأسد(٦) ، وبكر (٧) ، تذهب إلى الضم وهى من القبائل التى كانت تسكن وسط شبه الجزيرة وشرقيها ، ومعظمها قبائل بادية ، والضم أنسب لها .

نحن إذن أمام ثلاث ظواهر ، فتح وكسر ، فتح وضم ، كسر وضم .

وفى الاختيار بين الفتح والكسر رأينا أن قبائل الحجاز المتحضرة تذهب إلى الأخف وهو الفتح ، وبين الفتح والضم تذهب إلى الفتح ، وبين الكسر والضم تذهب إلى الكسر ، بينما تميل لهجات القبائل البادية — وبخاصه فى وسط شبه الجزيرة وشرقيها — إلى الصائت الأثقل (الكسر أو الضم) .

***

---

(١) المحتسب : ١٦٨ والبحر ٥ :٢١١

(٢) البحر : ٤ : ١٨٩

(٣) البحر : ٥ : ٤٤٨ والإتحاف ٣٢٩

(٤) البكرى : معجم ما استعجم ١ :١١

(٥) المحتسب : ١٦٨

(٦) البحر : ٥ : ٢١١

(٧) البحر : ٢ ٣٩٨

ثانيا – الأصوات وتأثير بعضها فى بعض

١ — الإدغام

الإدغام ضرب من التأثير الذى يقع فى الأصوات المتجاورة إذا كانت متماثلة أو متجانسة أو متقاربة . ويقسم المحدثون تأثر الأصوات الى نوعين (١) :

١ — تأثر رجعى : Regressive وفيه يتأثر الصوت الأول بالثانى .

٢ — وتأثر تقدمى : Progressive وفيه يتأثر الصوت الثانى بالأول .

والإدغام عند القدماء هو اللفظ بحرفين حرفا كالثانى مشددا (٢) . وهو عند القراء ضربان ، كبير وصغير ، أما الكبير فهو ما كان الأول من الحرفين فيه متحركا ، (٣) أى أن الصامت الأول معه صائت قصير ، وقد نسبت القراءة بهذا الضرب إلى أبى عمرو . وأما الإدغام الصغير فهو « عبارة عما إذا كان الحرف الأول منه ساكنا (٤) . » أى أن الصامت الأول لا يفصله عن الثانى صائت .

ويقسم ابن جنى الإدغام إلى ضربين ؛ الإدغام الأكبر ويشمل عنده النوعين السابقين ، والإدغام الأصغر وهو الذى يقول عنه « وأما الإدغام الأصغر فهو تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام يكون هناك . (٥) » وجعل منه الإمالة وما إليها من ضروب تقريب الأصوات .

والذين يذهبون إلى الإدغام يذهبون إليه طلبا للتخفيف ، يقول أبو الفتح « والمعنى الجامع لهذا كله تقريب الصوت من الصوت ، ألا ترى أنك فى قطّع ونحوه قد أخفيت الساكن الأول فى الثانى حتى نبا اللسان عنها نبوة واحد ، وزالت الوقفة

---

(١) الدكتور أنيس : اللهجات العربية ٥١

(٢) النشر : ١ : ٢٧٤

(٣) المصدر والصفحة

(٤) السابق : ٢ : ٢

(٥) الخصائص ٢ : ١٤١

التى كانت تكون فى الأول لو أدغمته فى الآخر ، ألا ترى أنك لو تكلفت ترك إدغام الطاء الأولى لتجشمت لها وقفة عليها تمتاز من شدة ممازجتها للثانية بها ، كقولك قططع وسككر ، وهذا إنما تحكه الشافهة به ، فإن أنت أزلت تلك الوقيفة والفترة على الأول خلطته بالثانى فكان قربه منه وإدغامه فيه أشد لجذبه إليه وإلحاقه به [١] . »

فالقبائل التى اشتهرت بالإدغام هى إذن تلك القبائل التى كانت تميـــل إلى الخفة والسرعة فى كلامهـــا ، والقبائل التى تذهب إلى الإظهار هى التى تجنح إلى التأنى والوضوح فيه ، فأيها كان يدغم وأيها كان يظهر ؟

علينا أولا أن نعرض مذاهب القراء فى هذه الظاهرة ، على أنه مادام الإدغام الكبير ينسب إلى أبى عمرو فإننا نكتفى هنا بالأمثلة التى اختلف فيها القراء .

١ — الباء ، مع الفاء ، نحو « وإن تعجب فعجب » ونحو « اذهب فإن لك » ، قرأ أبو عمرو والكسائى بإدغام الباء فى الفاء ، وقرأ الباقون بالإظهار [٢] .

مع الميم « يعذب من يشاء » ، قرأ أبو عمرو والكسائى بإدغام الباء فى الميم وقرأ الباقون بالإظهار واختلف عن ابن كثير وحمزة [٣] .

٢ — التاء ، مع الثاء نحو « بعدت ثمود » و « كذبت ثمود » .

مع الجيم نحو « نضجت جلودهم » و « جبت جنوبها » .

مع الظاء نحو « حملت ظهورهما » و « وكانت ظالمة » .

مع السين نحو « أنبتت سبع » و « جاءت سيارة » .

مع الصاد نحو « حصرت صدورهم » و « لهدمت صوامع » .

مع الزاى نحو « خبت زدناهم » .

---

(١) الخصائص ٢ : ١٤٠

(٢) النشر : ٢ : ٨

(٣) السابق : ٢ : ١٠

فقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى بإدغامها فى كل هذه الحروف ، وقرأ ابن كثير وعاصم وأبو جعفر ويعقوب بالإظهار (١) .

٣ — الثاء ، مع الذال ، « يلهث ذلك » فقرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر وعاصم بالإظهار مع الاختلاف وقرأ الباقون بالإدغام (٢) .

مع التاء ، قرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائى وأبو جعفر « لبثتم ولبثت » كيف جاء بالإدغام وقرأ الباقون بالإظهار (٣) .

٤ — الدال ، مع الثاء نحو « ومن يرد ثواب الدنيا » ، فقرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائى بإدغامها فى الثاء وأظهرها الباقون (٤) .

مع الذال نحو « ص ذكر » فقرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائى بإدغامها فى الذال وقرأ الباقون بالإظهار (٥) .

٥ — الذال ، مع التاء ، نحو « فنبذتها » و « عذت بربى » فقرأ بإدغامها فى التاء أبو عمرو وحمزة والكسائى وخلف وقرأ الباقون بالإظهار (٦) .

٦ — الراء ، مع اللام ، نحو « واصطبر لعبادته » و « وأن اشكر لى » فقرأ أبو عمرو وحده — بخلاف — بإدغام الراء فى اللام وقرأ الباقون بالإظهار (٧) .

٧ — الفاء ، مع الباء ، نحو « نخسف بهم » فقرأ الكسائى بإدغام الفاء فى الباء وأظهر الباقون (٨) .

---

(١) السابق : ٢ : ٤ — ٦
(٢) النشر : ٢ : ١٣ : ١٥
(٣) « : ٢ : ١٦
(٤) « : ٢ : ١٣
(٥) « : ٢ : ١٧
(٦) « : ٢ : ١٦
(٧) « : ٢ : ١٢
(٨) « : ٢ : ٣٤٩

٨ — اللام ، اختلفوا فى إدغام اللام فى التاء والثاء والزاى والسين والضاد والطاء والظاء والنون والذال نحو « هل تعلم — هل ثوب الكفار — بل زعمتم — بل سولت لكم — بل ضلوا — بل طبع — بل ظننتم — هل نحن منظرون — من يفعل ذلك » فقرأ الكسائى بإدغام اللام فيها ووافقه حمزة فى التاء والثاء والسين وأظهر الباقون [1] .

٩ — النون ، مع الواو نحو « يس والقرآن » فقرأ الكسائى ويعقوب بإدغامها فى الواو واختلف عن نافع وعاصم وقرأ الباقون بالإظهار [2] .

مع الميم ، نحو « طسم » فقرأ حمزة وأبو جعفر بالإظهار وقرأ الباقون بالإدغام [3] .

— ١٠ — تاء الافتعال ، قرأ نافع « فَتَخَّطفه الطير » بفتح التاء والخاء والطاء مشددة [4] . وقرأ عاصم — فى رواية — وحمزة والكسائى « يطّهرن » مشددة [5] .

ومن الشواذ قرأ الجحدرى « إن يصّالحا بينهما » أراد يصطلحا ثم أدغم [6].

١١ — الفعل المضعف ، اختلفوا فى إظهار الدال وإدغامها من قوله « من يرتد منكم عن دينه » فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزه والكسائى بإدغام الدال الأولى فى الآخرة ، وقرأ نافع وابن عامر «من يرتددْ» بإظهار الدالين وجزم الآخرة [7]

---

(١) النشر : ٢ : ٦
(٢) « : ٢ : ١٧
(٣) « : ٢ : ١٩
(٤) الحجة : ١ : ٣٦٤
(٥) الحجة : ٢ : ٣٥٣
(٦) ابن خالويه : ٢٩
(٧) الحجة : ٣ : ٤٣٢ والإتحاف ٢٢٩

وقرأ الجمهور « أفعيينا » بياء مكسورة بعدها ياء ساكنة ماضى عَيِىَ كرضى ، وقرأ من (من الشواذ) ابن أبى عبلة والوليد بن مسلم والقورصى عن أبى جعفر والسمسار عن شيبة وأبو بحر عن نافع بتشديد اليـــاء (أفعيّنا) من غير إشباع فى الثانية (١) .

١٢ — ألف المقصور فى ياء المتكلم ، من ذلك قراءة النبى صلى الله عليه وسلم وأبى الطفيل وعبد الله بن أبى إسحق وعاصم الجحدرى وعيسى بن عمر الثقفى « هُدَىّ » (٢).

وقرأ ابن أبى إسحق وعيسى والجحدرى (ومحيّ) بقلب الألف ياءوإدغامهافى ياء المتكلم (٣) .

١٣ — تأثر تقدمى : قـــرأ أبو جعفر « ثم اجعل على كل جبل منهن جُزّا » و « جُزٌّ مقسوم » بحذف الهمزة وتشديد الزاى . ومن الشواذ قرأ الزهرى وقتادة « بين المرّ وزوجه » (٥) .

وقرأ الزهرى « دِفٌّ » من غير همز وبالتشديد (٦) .

وهذه القراءات تضع أمامنا الحقائق الآتية : —

١ — أن الإدغام فى اللغة العربية يكاد ينحصر فى هذا الضرب الذى يتأثر فيه الصوت الأول بالتالى أى تأثر رجعى فيما عدا هذه القراءات الأخيرة التى يظهر فيها تأثر الصوت الثانى بالأول .

---

(١) البحر : ٨ : ٢٣
(٢) المحتسب : ٢٦
(٣) البحر : ٤ : ٢٦٢
(٤) النشر : ١ : ٤٠٦
(٥) المحتسب : ٢١ الكرمانى ٣٠
(٦) الكرمانى : ١٣٠

٢ — أن القراء الذين اشتهر عنهم الإدغام هم أبو عمرو بن العلاء والكسائي وحمزة وابن عامر وهم قراء البيئة الكوفية والشامية،وأن الذين اشتهر عنهم الإظهار هم أبو جعفر ونافع وابن كثير وعاصم ويعقوب ، وهم قراء البيئة الحجازية سوى عاصم ويعقوب فمن الكوفة والبصرة .

٣ — أن القراءة بالإدغام كانت مشهورة وفاشية بين القراء حتى لا نكاد نجد واحداً إلا وقد شارك فيه ولو بقدر قليل . ومعنى ذلك أن الإدغام لم يكن يقل شيوعا فى اللغة العربية عن الإظهار ، إن لم يزد عليه حتى إن أبا عمرو بن العلاء يقول « الإدغام كلام العرب الذى يجرى على ألسنتها ولا يحسنون غيره [١] » .

أما عن لهجات القبائل فى الإدغام ، فتتفق كتبهم على أن الإظهار لهجة الحجازيين ، وأن الإدغام لهجة تميم [٢] ، وهى القاعدة الكبيرة التى كانت تتخذ مثلا لقبائل وسط شبه الجزيرة وشرقيها ، أما الفعل المضعف فى حالة الجزم أو سكون اللام ففيه لهجات كثيرة :

١ — الإدغام مع التحريك بالفتح على كل حال وهى لهجة بنى أسد وغيرهم من بنى تميم ، يعنى أنهم يقولون ردَّ يابنى وإن تردَّ أردَّ وفرَّ وعضَّ [٣] .

٢ — الإدغام مع الكسر على كل حال وهى لهجة كعب [٤] وغنى ونمير [٥] فهم يقولون ردِّ وعضِّ وفرِّ .

٣ — إذا اتصل المضعف بواو جمع نحو ردوا أو ياء مخاطبة نحو ردى أو نون

---

(١) النشر : ١ : ٢٧٥

(٢) الحجة : ٣ : ٣٤٣

(٣) السيرافى : شرح كتاب سيبويه ٢ : ٥١٦

(٤) المصدر والصفحة

(٥) شرح التصريح على التوضيح ٢ : ٤٠٦

توكيد نحو ردون اشترك الحجازيون مع غيرهم من العرب فى الإدغام[١] .

٤ — إذا أدغم فى الأمر على لهجة تميم وجب طرح همزة الوصـــل ، إلا أن الـكسائى نسب إلى عبد القيس الإدغام مع همزة الوصل ، ارد واعض وافر [٢] .

ويعلل الدكتور أنيس هـذه الظاهرة بأنهـا من المحتمل أن تـكون من أنواع القياس الخاطىء أى أن هذه اللهجة تقيس الفعل الأمر هنا على الأمر من الفعل الثلاثى الصحيح الذى يلتزم فيه البدء بهمزة الوصل [٣] .

٥ — عند اتصال الضعف بضمير رفع فإن القبائل التى تذهب إلى الإدغام تشارك الحجازيين فى الإظهار نحو رددتِ ورددنا ورددن. إلا أن الخليل روى أن أناسا من بنى بكر بن وائل وغيرهم يدغمونه أيضا فيقولون ردّنَ ويردّن وردّن فى الماضى والمضارع والأمر [٤] . وعلى هذه اللهجة جاءت قراءة « أفعيّنا بالخلق الأول [٥] .

أما إدغام ألف المقصور فى ياء المتكلم فهى لهجة نسبت إلى هذيل ، ويستشهدون عليها بقول أبى ذؤيب الهذلى [٦] :

سبقوا هَوَىّ وأعنقوا لهـــواهم فتخرمـــوا ولـكل جنب مصرع

ويروى أبو الفتح عن قطرب قول الشاعر [٧] :

يطـــوف بى عكب فى معـــد ويطعـــن بالصمــــلة فى قَفَيّـا
فإن لم تثـأرا لى من عكب فلا أرويتمـــا أبـداً صَـدَيّا

---

(١) السابق : ٢ : ٤٠٥
(٢) المصدر والصفحة
(٣) الدكتور أنيس : اللهجات العربية ١١٤
(٤) الاستراباذى : شرح شافية ابن الحاجب ٢ : ٢٤٦
(٥) البحر : ٨ : ١٢٣
(٦) السكرى : شرح أشعار الهذليين (ط العروبة) ١ : ٧
(٧) المحتسب : ١٦

فالقبائل التى تذهب إلى الأدغام إذن هى :

تميم — أسد — غنى — عبد القيس — بكر بن وائل — كعب — نمير — هذيل (فى حالة واحدة) .

أما تميم وأسد فقد ذكرناهما من قبل ، وأما غنى فتنتسب الى بنى أسد ، [١] وكذلك تنتمى عبد القيس الى أسد [٢] .

ونحن نعلم أن بكر بن وائل كانت تسكن جنوب العراق ، وأما كعب ونمير فبطنان من عامر بن صعصعة من هوازن [٣] ، وكانتا تسكنان العروض مجاورتين لتميم [٤] .

فنحن نستطيع إذن أن نسب الإدغام إلى تلك القبائل التى كانت تسكن وسط شبه الجزيرة وشرقيها ، ومعظمها قبائل بادية تميل الى التخفف والسرعة فى الكلام . كما نستطيع أن ننسب الإظهار الى بيئة الحجاز المتحضرة وهى تميل إلى التأنى فى الأداء بحيث تظهر كل صوت فيه . [٥] وبقيت لدينا هذيل وهى من القبائل الحجازية [٦] ، وقد نسب إليها إدغام ألف المصور فى ياء التكلم ، فلعلها ذهبت إلى الإدغام فى هذه الظاهرة وحدها ، وعلى أية حال فإن الحجازيين كانوا يذهبون الى بعض الإدغام كما رأينا .

---

(١) القلقشندى : نهاية الأرب ٣١٦

(٢) السابق : ٢٥٧

(٣) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ٢٧١ والقلقشندى : نهاية ٣٤٨

(٤) الهمدانى : صفه ١٥٩

(٥) الدكتور أنيس : اللهجات العربية ٥٦

(٦) البكرى : معجم ما استعجم ١ : ١١

٢ - الفتح والإمالة

الإمالة ضرب من ضروب التأثر الذى تتعرض له الأصوات حين تتجاور أو تتقارب ، وهى والفتح صائتان ، وقد يكونان طويلين أو قصيرين .

ويبدو أن الإمالة كانت شائعة شيوعا كبيرا بين القبائل العربية مما نجد له أثره فيما كتب عنها فى كتب النحو والقراءات ، ولقد اهتم علماء القراءات اهتماما كبيرا بالإمالة فبينوا معناها وأسبابها ودرجاتها ومذاهب القراء فيها .

ويعرف ابن الجزرى بها إذ يقول « والفتح عبارة عن فتح القارىء لفيه بلفظ الحرف وهو فيما بعده ألف أظهر ، ويقال له أيضا التفخيم وربما قيل له النصب . وينقسم إلى فتح شديد وفتح متوسط . . . والإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء (كثيرا) وهو المحض ، ويقال له الإضجاع ، ويقال له البطح ، وربما قيل له الكسر أيضا ، (وقليلا) وهو بين اللفظين ويقال له أيضا التقليل والتلطيف وبين بين ، فهى بهذا الاعتبار تنقسم أيضا الى قسمين ، إمالة شديدة وإمالة متوسطة ، وكلاهما جائز فى القراءة جار فى لغة العرب [١] . »

فالإمالة إذن هى أن تميل الفتحة إلى الكسرة ، والألف إلى الياء ، لكن الدكتور أنيس يذكر أنه كما تكون هناك إمالة من هذا النوع ، تكون هناك إمالة من نوع آخر ، وهو أن تنحو بالفتحة نحو الضمة والألف نحو الواو [٢] .

وقد ذكر ابن جنى مثل هذا النوع من الإمالة فى قوله ألف « وأما ألف الإمالة فهى التى تجدها بين الألف والياء نحو قولك فى عالم وخاتم عـالم وخـاتم. وأما ألف التفخيم فهى التى تجدها بين الألف وبين الواو نحو قولهم ، سلاٰم عليه وقاٰم

---

(١) النشر : ٢ : ٢٩ ـ ٣٠

(٢) اللهجات العربية ٤٦ ونحن نلاحظ وجود هذه الإمالة فى لهجاتنا العامية من نحو فوق ـ نوع ـ شوط . . الخ » لذا تمال الفتحة التى قبل الواو إلى :O

زيد . وعلى هذا كتبوا الصلوة والزكوة والحيوة بالواو ، لأن الألف مالت نحو الواو (١) » .

وذكر ابن جنى نوعا آخر من الإمالة قرىء به ، وهو إمالة الكسرة نحو الضمة وهى فى الفعل الثلاثى الذى قلبت عينه ألفا فى الماضى كقال إذا بنى للمجهول ، فيقول « وأما الكسرة المشوبة بالضمة فنحو قيل وبيع وغيض وسيق ، وكما أن الحركة قبل هذه الياء مشوبة بالضمة فالياء بعدها مشوبة بروائح الواو (٢) » . وقد ذكرها الدكتور أنيس لكنه لم ينسبها إلى قبيلة بعينها . (٣) إلا أننا وجدنا نصوصا تعزوها إلى قبائلها على ما سيظهر بعد .

ولقد شغل القدماء بموضوع الأصلية والفرعية فى الفتح والإمالة ، فذهب أكثرهم إلى أن الفتح هو الأصل والإمالة فرع عليه ، يقول ابن خالويه « الحجة لمن فخم أنه أتى بالكلام على أصله ووجهه الذى كان له ، لأن الأصل التفخيم ، والإمالة فرع عليه (٤) » . ويقول ابن يعيش « والذى يدل على أن التفخيم هو الأصل أنه يجوز تفخيم كل ممال ولا يجوز إمالة كل مفخم ، وأيضا فإن التفخيم لا يحتاج إلى سبب والإمالة تحتاج إلى سبب (٥) » . ويلخص ابن الجزرى آراء من تقدمه فيقول « ولقد اختلف أئمتنا فى كون الإمالة فرعا عن الفتح ، أو أن كلا منها أصل برأسه مع اتفاقهم على أنهما لغتان فصيحتان صحيحتان نزل بهما القرآن . فذهب جماعة إلى أصالة كان منها وعدم تقدمه

---

(١) سر الصناعة ١ / ٥٥ ـ ٥٦

(٢) السابق / ١ / ٥٩

(٣) اللهجات العربية ٤٧

(٤) ابن خالويه / الحجة ص ٤

(٥) شرح المفصل ٩ / ١٥٤

عن الآخر . . . وكما أنه لا يكون إمالة إلا بسبب فكذلك لا يكون فتح ولا تفخيم إلا بسبب . قالوا ووجود السبب لا يقتضى الفرعية ولا الأصالة . وقال آخرون إن الفتح هو الأصل وإن الإمالة فرع ، بدليل أن الإمالة لا تكون إلا عند وجود سبب من الأسباب ، فإن فقد سبب منها لزم الفتح وإن وجد شيء منها جاز الفتح والإمالة ، فما من كلمة تمال إلا وفى العرب من يفتحها ، ولا يقال كل كلمة تفتح فني العرب من يميلها . . . قلت ولكل من الرأيين وجه وليس هذا موضع الترجيح [١] » .

ويعالج الدكتور أنيس الوضوع بطريقة علمية حديثة ، فيرى أن الإمالة أقدم فى حالات ، والفتح أقدم فى حالات أخرى ، فالإمالة فى الألف التى أصلها ياء تطورت من صائت مركب Diphthong إلى إمالة إلى فتح (بَيْعَ)← (إمالة) ← (فتح) .

أما الإمالة بغير أصل من أصول الكلمة كإمالة الفتحة أو إمالة الألف غير المنقلبة عن أصل فليس هذا إلا نوعا من الانسجام بين الصوائت ، وهذا الانسجام أقرب إلى السهولة والاقتصاد فى الجهد العضلى ، وعلية فإن الكلمة التى تشتمل على صوائت منسجمة أحدث من نظيرتها التى خلت صوائتها من الانسجام . وعلى ذلك فإن كلمة (كتاب) بالفتح أقدم منها بالإمالة [٢] .

وأسباب الإمالة عندهم عشرة ترجع إلى شيئين ، أحدهما الكسرة والثانى الياء [٣] .

١ — كسرة متقدمة ، ولابد أن يحصل بين الكسرة المتقدمة والألف فاصل

(١) النشر ٢ / ٣٢

(٢) اللهجات العربية ٤٧ — ٤٨

(٣) من النشر ٢/٣٢ — ٣٥

وأقله حرف واحد مفتوح نحو كتاب وحساب . وأما الفتحة الممالة فلا فاصل بينها وبين الكسرة .

٢ — ياء متقدمة نحو أياما ، الحياة ، شيبان .

٣ — كسرة متأخرة نحو عابد ، من الناس ، فى النار .

٤ — ياء متأخرة نحو مبايع .

٥ — كسرة مقدرة فى المحل الممال نحو خاف أصله (خَوِف) .

٦ — ياء مقدرة فى المحل الممال نحو يخشى ، أتى .

٧ — كسرة تعرض فى بعض أحوال الكلمة نحو (طلب — جاء — زاد) لأن الفاء تكسر من ذلك إذا اتصل بها الضمير المرفوع من المتكلم والمخاطب ونون جماعة الإناث .

٨ — إمالة لأجل إمالة نحو (رأيت عمادا) فأمالوا الألف المبدلة من التنوين لأجل إمالة الألف الأولى الممالة لأجل الكسرة .

٩ — إمالة لأجل الشبه نحو (الحسنى) قالوا إنهم أمالوا ألفها لشبهها بألف (الهدى).

١٠ — إمالة لأجل كثرة الاستعمال نحو (الناس) .

والمهم فى هذه الأسباب أن الإمالة تنتظم التأثر الرجعى والتقدمى أو كليهما ، فالإمالة للكسرة والياء المتقدمتين تأثر تقدمى إذ يتأثر الصوت الثانى بالأول ، والإمالة للكسرة والياء المتأخرتين تأثر رجعى إذ يتأثر الأول بالثانى .

والآن علينا — قبل الحديث عن لهجات القبائل فى الفتح والإمالة — أن نعرض مذاهب القراء فيها[1] .

١ — أمال حمزة والكسائى كل ألف منقلبة عن ياء حيث وقعت فى القرآن سواء

---

(١) من النشر : ٢ : ٣٥ : ٩٠

كانت فى اسم أو فعل نحو (الهدى — مأواه — مثواه — الأزكى — الأعـلى — موسى — عيسى) و (أتى — سعى — يرضى — اجتبى — استعلى) . ووافقها أبو عمرو من جميع ما تقدم على ما كان فيه راء بعدها ألف ممالة بأى وزن كان نحو (ذكرى — بشرى — النصارى — اشترى — وارى) .

٢ — أمال أبو عمرو والكسائى فى رواية كل ألف بعد راء متطرفة مجرورة سواء كانت الألف أصلية أم زائدة نحو (الدار والنار والقهار والغفار والكفار) .

٣ — أمال حمزة الألف التى هى عين من الفعل الثلاثى الماضى نحو (زاد — شاء — ران — خاف) ووافقه الكسائى فى (ران) .

٤ — إمالة أحرف الهجاء فى أوائل السور ، أمال الراء من « الر » أبو عمرو وحمزة والكسائى ، والهاء من « كهيعص » أبو عمرو والكسائى، والهاء من«طه» أبو عمرو وحمزة والكسائى ، والياء من « يس » ابن عامر وحمزة والكسائى .

ومعنى ذلك أن القراء الذين اشتهروا بالإمالة هم أبو عمرو وحمزة والكسائى . لكن أبا على يذكر فى حجته هذه القراءات :

١ — اختلفوا فى الإمالة والفتح من قوله « جرف هار » فقرأ ابن كثير وعاصم — فى رواية — وحمزة بفتح الهاء. وأمالها نافع وأبو عمرو وعاصم — فى رواية — والكسائى (١) .

٢ — اختلفوا فى فتح الراء وإمالتها من قوله « ولا أدراكم به » فقرأ ابن كثير وعاصم — فى رواية — ونافع بالفتح ، وقرأ أبو عمـر وعاصم — فى رواية — وحمزه والكسائى بالإمالة (٢) .

اختلفوا فى قوله « الهدى » وما أشبه من نحـو « الهوى والعمى واستوى

---

(١) الحجة : ٥ : ٣٣٤

(٢) الحجة : ٥ : ٣٦٦

وأعطى » فالكسائى يميل ذلك كله ، وأبو عمرو فى رؤوس الآى ، وعاصم يفتح إلا « رأى ورمى ورآه » فيميل ، وحمزه يميل ذوات الياء وابن كثير وابن عامر يفتحان [1] .

٤ — قراءة بإمالة الكسرة نحو الضمة ، اختلفوا فى قراءة «قيل وغيض وحيل وسيء وسيئت وجيء وسيق « فقرأ الكسائى بإمالة الكسرة نحو الضمة ، ووافقه نافع فى « سئ وسيئت » ، وقرأ الباقون بإخلاص الكسر [2] . وقرأ عيسى « سوء » بإخلاص الضم [3] .

وإذن فقد شارك نافع وعاصم فى الإمالة أيضا . ولذلك يقسم الجعبرى أصحاب الإمالة إلى قسمين :

١ — مقل ، ابن عامر وعاصم .

٢ — مكثر ، أبو عمرو وحمزة والكسائى .

ومعنى ذلك أن الإمالة كانت شائعة فى قراءات أهل البصرة والكوفة أى فى البيئة العراقية .

أما عن لهجات القبائل فى الفتح والإمالة فيكادالقدماء يتفقون على أن الفتح لهجة أهل الحجاز ، وأن الإمالة لهجة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس [4] ، وذكر السيوطى فى الإتقان أن الرسول صلى الله عليه وسلم قر « يا يحيى » فقيل له ، يارسول الله تميل وليس هى لغة قريش ؟ فقال هى لغة الأخوال من بنى سعد [5] أى

---

(١) الحجة : ١ : ٣٤٨

(٢) البحر : ١ : ٦١

(٣) البحر : ٧ : ١٥١

(٤) شرح المفصل : ٩ : ٥٤ والنشر : ٢ : ٣٠

(٥) الإتقان : ١ : ١١٤

سعد بن بكر . وذكر ابن الجزرى أيضا أن « الإمالة لغة هوازن وبكر بن وائل وسعد بن بكر [١] » . ونقل السيوطى فى الهمع أن « أكثر اليمن يميلون ألف (حتى) لأن الإمالة غالبة فى ألسنتهم فى أكثر الكلام » [٢] .

لكن هل كان الحجازيون يذهبون إلى الفتح دائما ؟

يذكر سيبويه أن الحجازيين يميلون فى مواضع قليلة، وذلك حيث يقول « ومما يميلون ألفه كل شىء من بنات الياء والواو مما هما فيه عين إذا كان أول فعلت مكسوراً نحواً نحو الكسرة ، كما نحوا نحو الياء فيما كانت ألفه فى موضع الياء وهى لغة لبعض أهل الحجاز ، فأما العامة فلا يميلون ، ولا يميلون ما كانت الواو فيه عينا إلا ما كان منكسر الأول وذلك خاف وطاب وهاب [٣] . » وكذلك يذكر السيوطى فى الهمع والأشونى فى شرحه على الألفية [٤] .

ومعنى ذلك أن القبائل المميلة هى :

تميم — أسد — قيس — هوزان — سعد بن بكر — بكر بن وائل .

القبائل اليمنية فى مواضع قليلة .

الحجازيون فى مواضع قليلة .

أما تميم وأسد وقيس فقد ذكرنا أنهم من ساكنى وسط شبه الجزيرة وشرقها وأما هوزان فبطن من قيس [٥] ، وينتسب بنو سعد بن بكر إلى هوزان [٦] ، وبكر بن وائل فى جنوب العراق .

---

(١) ابن الجزرى : منجد المقرئين ص ٦٠
(٢) همع الهوامع : ٢ : ٢٠٤
(٣) الكتاب ٢ : ٢٦١
(٤) همع الهومع ٢ : ٢٠٠ وشرح الأشمونى ٤ : ٤٣٨
(٥) القلقشندى : نهاية الأرب ٣٥٥
(٦) السابق : ٢٤٠

فنحن نستطيع إذن أن ننسب الإمالة إلى القبائل البادية فى وسط شبه الجزيرة وشرقها والفتح إلى غربها ، ويبدو أن ذلك راجع إلى أن أهل البادية كانو يميلون — فى كلامهم — إلى الاقتصاد فى المجهود العضلى ، والإمالة تحقق لهم ذلك بما فيها من انسجام بين الأصوات ، يقول ابن الجزرى « وأما فائدة الإمالة فهى سهولة اللفظ وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة ، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع (١) . » لكن وجود الإمالة فى اليمن وعند الحجازيين فى مواضع قليلة يجعلنا نقرر أن الإمالة كانت معروفة منتشرة فى شبه الجزيرة كلها . وهى ظاهرة أخرى تنضاف إلى غيرها لتؤكد أن اللغة العربية المشتركة لم تقم على لهجة قريش وحدها .

وبقيت لدينا — بعد ذلك — اللهجات فى إمالة الكسر نحو الضم ، وهى توجد فى الفعل الثلاثى الذى قلبت عينه ألفاً فى الماضى إذا بنى للمجهول ، وقد ذكر أبو حيان أن فيه ثلاث لهجات (٢) .

١ — إخلاص كسر أوله وسكون عينه ياء فى لهجة قريش ومجاوريهم من بنى كنانة .

٢ — إمالة الكسر نحو الضم وهى لهجة كثير من قيس وعقيل ومن جاورهم وعامة بنى أسد .

٣ — إخلاص الضم وهى لهجة هذيل .

ومعنى ذلك أن إخلاص الكسر عند قريش ومجاوريهم من بنى كنانة تناسب ما يذهبون إليه من الفتح ، وهذه اللهجة نستطيع أن ننسبها إلى بيئة الحجاز ، وإذا كانت هذيل قد اختلفت مع بيئتها الحجازية فى هذه اللهجة فقد اختلفت معها كما ذكرنا

---

(٣) النشر : ٢ : ٣٥

(٤) البحر : ١ : ٦١ والإتحاف ١٥٨

من قبل من إدغامها ألف المقصور فى ياء المتكلم. والقبائل التى تذهب إلى إمالة الكسرة نحـــو الضمة هى نفسها القبائل التى اشتهرت بالإمالة ، وهى قبائل وسط شبه الجزيرة وشرقيها ، وإن كانت قد ذكرت هنا قبيلة عقيل دون أن تذكر فى القبائل المميلة ، فهى من قبـــائل المنطقة الشرقية حيث كانت تنزل البحرين على ما هو مذكور فى موضعه .

* * *

٣ ـ التأثر بالجهر أو بالإطباق أو بالمخالفة أو بالإتباع

حين يلتقى صوت مهموس بصوت مجهور،قد ينقلب أحدهما إلى نظير الآخر بحيث يتكون منهما صوتان مهموسان أو مجهوران [١] . كما قد تؤثر الأصوات المطبقة فيما يجاورها فتحولها إلى مطبقة ، والصوت المجهور كما نعلم هو الذى يهتز معه الوتران الصوتيان،والمهموس هو الذى لا يهتزان معه ولا يسمع لهما رنين حين النطق به [٢]. والصوت المطبق يكون اللسان معه مقعرا منطبقا على الحنك الأعلى ، مع تصعد أقصاه وطرفه نحو الحنك [٣] . ومن ثم فإن أصوات الإطباق أصوات مفخمة لها رنة قوية فى الآذان [٤] لا تتوافر فى غير المطبقة .

أما المخالفة فتحدث فى الكلمات التى تشتمل على صوتين متماثلين كل التماثل ، إذ تميل بعض اللهجات إلى قلب أحدهما إلى صوت آخر لتتم المخالفة بينهما ، والغالب أن يتغير أحدهما إلى صائت طويل [٥] .

والإتباع الذى نقصده هنا هو ما نجده من تأثر الصوائت القصيرة بعضها ببعض ، إذ يحدث أن يتجاور أو يتقارب صائتان قصيران فى كلمة أو كلمتين فيتأثر أحدهما بالآخر وينقلب إلى جنسه ، ويؤدى ذلك إلى انسجام فى الأصوات ، وهـذا الانسجام كما ذكرنا يؤدى إلى السهولة والاقتصاد فى الجهد العضلى عند الكلام . وهذا الضرب من التأثر قد يكون تأثرا رجعيا أو تقدميا على النحو الذى يظهر بعد .

ولقد وجدنا أن الجهر والهمس والإطباق والمخالفة والإتباع من خواص بعض

---

(١) الدكتور أنيس : الأصوات اللغوية ١١٧

(٢) السابق : ٢٣

(٣) السابق : ٧٤

(٤) اللهجات العربية:٧١

(٥) الأصوات اللغوية : ١٤٣

اللهجات العربية ، وعلينا الآن أن نعرض لمذاهب القراء فى هذه الظواهر قبل الحديث عن اللهجات فيها .

ا ـ تأثر بالجهر :

١ — قرأ حمزة « اهدنا الصراط » بإشمام الصاد الزاى ، ورواها الأصمعى عن أبى عمرو بالزاى (١) .

٢ — «من أصدق من الله حديثا» قرأ حمزة والكسائى بإشمام الصاد زايا وكذا كذا فيما كان مثله من صاد ساكنة بعدها دال نحو « يصدقون » و « تصدية » (٢).

ب ـ تأثر بالهمس :

قرأ يحى بن وثاب « ألم أحَّد إليكم » (٣) .

جـ ـ تأثر بالإطباق:

١ — قرأ الجمهور « اهـــدنا الصراط » بالصاد وقرأ ابن كثير فى رواية « السراط » بالسين (٤) .

٢ — اختلفوا فى السين والصـــاد من « يبسط وبسطة والمسيطرون وبمسيطر» فقرأ ابن كثير بالسين فى كل ذلك ، وقرأ نافع بالصاد ، واختلف عن الباقين (٥) .

٣ — ومن ذلك ما يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم « والنخـــل باسقات، وباصقات » (٦)

---

(١) الحجة : ١ : ٣٨ والبحر ١ : ٢٥
(٢) البحر : ٣ : ٣١٢
(٣) ابن خالويه : ١٢٥ والبحر ٧ : ٣٤٣
(٤) الحجة ١ :٣٨ والبحر ١ :٢٥ والإتحاف ١٥١
(٥) الحجة : ٢ : ٣٨٠
(٦) المحتسب : ٣٠١

٤ — وقرأ يحيى بن عمارة « وأصبغ عليكم نعمته » (١) .

د - تأثر بالمخالفة :

١ — اختلفوا فى تشديد النون وتخفيفها من قوله جل وعز « فذانك » فقرأ ابن كثير وأبو عمرو « فذانّك » مشددة النون ، وروي عن ابن كثير « فذانيك » خفيفة النون بياء ، وقرأ الباقون « فذانِك » خفيفة النون (٢) .

٢ — وقرأ عكرمة « إِيلا ولا ذمة » بياء بعد الكسرة خفيفة اللام (٣) .

هـ - تأثر بالإتباع :

١ — اختلفوا فى قوله جل وعز « أن اقتلوا أنفسكم ، أو اخرجوا » فى كسر النون والواو وضمهما ، فقرأ أبو عمرو فى رواية « أنِ اقتلوا » بكسر النون « أوُ أخرجوا » بضم الواو ، وقرأ ابن عامر وابن كثير ونافع والكسائى « أنُ اقتلوا » « أوُ أخرجوا » بالضم فيهما ، وقرأ عاصم وحمزة « أنِ اقتلوا » « أوِ اخرجوا » بالكسر فيهما (٤) .

٢ — روى قطرب من قراءة بعضهم « قُمَ الليل » و« قُلَ الحق من ربكم » . بالفتح (٥) .

٣ — وقرأ يزيد بن قطيب «والمُحُصُنات» بضم الصاد إتباعا لضمة الميم (٦) .

٤ — قرأ أهل البادية « الحمدُ ُلله » مضمومة الدال واللام ، وقرأ إبرهيم بن

(١) المحتسب : ٢٥٠
(٢) الحجة : ٦ : ١٤
(٣) المحتسب : ١٣٦
(٤) الحجة : ٣ : ٢٧٩
(٥) المحتسب : ١٥
(٦) البحر : ٣ : ٢١٤

أبى عبلة ورويت عن زيد بن على والحسن البصرى « الحمدِ للهِ » بالكسر فى الدال واللام . (٤)

٥ — وقرأ أبو جعفر وسليمان بن مهران « وإذ قلنا للملائكةُ اسجدوا » بضم التاء إتباعا لحركة الجيم (٥) .

ونستطيع أن نرى فى هذه القراءات ما يلى :

أولا — المجموعة الأولى :

١ — أن الذين ذهبوا إلى الجهر هم القراء الذين ذهبوا إلى الإمالة ومنهم هنا حمزة والكسائى قارئا الكوفة .

٢ — أن التأثر فى « الصراط » و « أصدق » تأثر رجعى ، حيث تأثر الصوت الأول بالثانى ، فالصاد صوت مهموس لثوى احتكاكى مطبق(١) ، والراء صوت مجهور لثوى مكرر (٢) ، والدال صوت مجهور انفجارى (٣) ، ومعنى ذلك أن الصاد المهموسة تجاورت مع صوت مجهور فتأثرت به ، وكان ما أسموه إشمامها زايا ، وأغلب الظن أن هذا الإشمام لم يكن زايا خالصة ، بل كان مطبق الزاى أى ما يشبه الظاء فى لهجاتنا العامية فى مصر . وكلام ابن جنى يؤدى الى ذلك إذ يقول «وأما الصاد التى كالزاى ، فهى التى يقل همسها قليلا ويحدث فيها ضرب من الجهر لمضارعتها الزاى(٤) . » وقد جعل أبو الفتح هذا الضرب من التأثر نوعا من الإدغام الأصغر «ومنه — أى الإدغام الأصغر — تقريب الحرف من الحرف نحو قولهم فى نحو مصدر مزدر ، وفى التصدير التزدير ، وعليه قول العرب فى المثل (لم يحرم من فُزْدَ له)أصله

---

(٤) المحتسب : ٥

(٥) البحر : ١ : ١٥٢

(١) الدكتور السعران : علم اللغة ١٩٢

(٢) السابق : ١٧٨

(٣) السابق : ١٦٨

(٤) سر الصناعة ١ : ٥٦

قصد له[1] . » ويحلل أبو الفتح هذه الظاهرة من التأثر تحليلا علميا فيقول « وروينا عن الأصمعى قال : اختلف رجلان من العرب فى الصقر ، فقال أحدهما بالصاد وقال الآخر بالسين فتراضيا بأول من يقدم عليهما ، فإذا راكب ، فأخبراه ورجعا إليه ، فقال ليس كما قلت إنما هو الزقر ، وهذا أيضا تقريب الحرف من الحرف ، وذلك أن السين مهموسة والقاف مجهورة فأبدل السين زايا وهى مجهورة لتقرب من القاف وهى مجهورة والزاى أخت السين[2] » :

٣ — برهنت التجارب الحديثة على أن الصوت المجهور أوضح فى السمع من نظيره المهموس . فالمجهور يسمع من مسافة قد يخفى عندها المهموس . وحين يتحدث اثنان بعدت بينهما المسافة يحس السامع منهما بوضوح صوت (كالد ال) حين يقارن بنظيره المهموس وهو (التاء[3]) . وعلى ذلك فإن الذى نتوقعه أن تنسب هذه الظاهرة من التأثر بالجهر إلى القبائل البادية حيث تتطلب البيئة الصحراوية التى تنتشر فيها الأصوات فى مسافات شاسعة لايعوقها عائق ، ولايحول دونها حائل ، توضيح الأصوات بطرق عدة من بينها الجهر بالصوت ليصبح أكثر وضوحا فى أذن السامع .

ويعزو أبو حيان إشمام السين زايا فى مثل هذه الحالة إلى قبائل قيس ، كما يعزو قلبها زايا خالصة إلى قبائل عذرة وكعب وبنو القين ، أما قيس فقد ذكرناها من قبل بين القبائل البادية ، وأما عذرة فهم بطن من قضاعة وهى قبيلة بادية أيضا اشتهرت فى الأدب العربى بشدة العشق ، وذكرنا أيضا أن كعبا بطن عامر بن صعصعة من هوازن وأنها كانت تسكن العروض مجاورة[4] لتميم . وأما بنو القين فبطن من بنى أسد ويقال لهم بلقين[5] . وكانت تنزل بنفس المنازل التى كانت تنزلها بنو أسد التى

---

(١) الخصائص ٢ : ١٤٤
(٢) المحتسب : ٣٠١
(٣) الدكتور أنيس : اللهجات العربية ٩٠
(٤) الهمدانى : صفه ١٥٩
(٥) القلقشندى : نهاية ٩٢

حددناها من قبل [١] .

وعلى ذلك نستطيع أن نعزو الميـــل إلى الجهر إلى القبائل البادية فى وسط شبه الجزيرة وشرقيها ، وأن ننسب الميل إلى الهمس إلى القبائل المتحضرة .

ثانيا — المجموعة الثانية ، ونلحظ فيها ما يلى :

١ — أن الذى رويت عنه القراءة فى « ألم أحهد » هــو يحيى بن وثاب وهو كوفى من موالى بنى أسد على ما ذكرنا .

٢ — أن الذى حدث فى هــذه الظاهرة عمليتان ، الأولى نتيجة تجاور العين والهاء فى «أعهد» ، فالعين صوت مجهور حلقى [٢] والهاء صوت مهموس حلقى [٣] ، فتأثر المجهور بالمهموس وقلب إلى نظيره المهموس وهو الحاء « أحهــد » وهو تأثر رجعى ، ثم تأثرت الهـاء وفنيت فيها وهو تأثر تقدمى . وقد جاء على هذه اللهجة قولهم « دحّا محّا » أى « دعها معها » . [٤]

٣ — القريب حقا أن تنسب هذه اللهجة إلى تميم ، ذلك أن الميـــل إلى الهمس مناقض لنظيره وهو الميـــل إلى الجهر ، والجهر أنسب للقبائل البادية على ما ذكرنا آنفا ، خاصة وأن تميما قد اشتهرت بالميل إلى الجهر أكثر من غيرها من القبائل حتى نسبوا إليها ما يسمونه بالعنعنة وهى قلب الهمزة عينا إذا اجتمعت مــع همزة ثانية أو مع نون [٥] . ويستشهدون على ذلك بقول ذى الرمة : [٦]

أعن ترسمت مــن خــرقاء منزلة   ماء الصبـابة من عينيك مسجـوم

---

(١) الصدانى : ١٣٢

(٢) الدكتور السعران : علم اللغة ١٩٥

(٣) السابق : ١٩٦

(٤) البحر : ٧ : ٣٤٣

(٥) السيرافى : شرح كتاب سيبويه ١/١٥٤ .

(٦) ابن جنى : سر الصناعة ١ : ٢٣٤

وقول قيس :

فعيناك عينـــاها وجيدك جيـــدها

سوى عَنّ عظم الساق منك دقيق (١)

وذلك يجعلنا نشك فى نسبة هذه الظاهرة — أى التأثر بالهمس — إلى تميم ، هذا بالإضافة إلى أننا لم نجد شاهدا آخر من القراءات أو غيرها عليها ، ولعلها — إن وجدت أن تـكون لهجة لبعض من بنى تميم دون أن تـكون لهم جميعا .

ثالثا — المجموعة الثالثة . ونلحظ فيها :

١ — أن القراء جميعا اتفقوا على قراءة « الصراط » بالصاد ، وأن ابن كثير وحـده قرأ « يبسط » بالسين ، ونافع وحده بالصاد وهذا مدنى وذلك مـكى أى أنها من بيئة واحدة .

٢ — أن الذى حـدث فى « الصراط » هو تأثر رجعى ، تأثر فيه الصـوت الأول (السين) بالثانى (الراء) . لـكن كيف أثرت الراء المجهورة فى السين المهموسة فقلبتها صوتا مطبقا ؟ إذا رجعنـا إلى كتب القراءات أعانتنا على فهم هذه الظاهرة ، إذ تذكر أن القراء قد اتفقوا على قراءة « الصراط » بتفخيم الراء ، (٢) فإذا علمنا أن الراء المفخمة تعـد من الناحية الصوتية أحـــد أصوات الإطباق (٣) فهمنا تأثيرهـا فى السين بأن حولتهـا صوتا مطبقـا . وما حـدث فى « يبسط » و « بمسيطر » واضـح لإطباق الطاء . أما الذى حدث فى « باسقات وباصقات »

(١) شرح المفصل ٨ / ٧٩ .
(٢) النشر : ٣ / ٩٣
(٣) الدكـتور أنيس : الأصوات اللغوية ٦٢ .

« وأصبغ » فلأنهم كانوا يرون فى هذه الأصوات المجهورة استعلاء ، والقاف عندهم صوت مجهور . (١) يقول ابن جنى « الأصل السين وإنما الصاد بدل منها لاستعلاء القاف فأبدلت السين صادا لتقرب من القاف لما فى الصاد من الاستعلاء ، ونحوه قولهم فى سقر صقر وفى السقر الصقر » (٢) . وجعل ابن جنى هذا النوع أيضا من الإدغام الأصغر لأنه تقريب صوت من صوت (٣).

وعن اللهجات فى هذه الظاهرة يذكر أبو حيان أن التأثر بالإطباق فى « الصراط » لهجة قريش ويصفها بأنها « اللغة الجيدة » (٤) . وقد يكون ذلك صحيحا فى الألفاظ التى يوجد فيها إطباق نحو « يبسط وبسيطر » . أما أن قريشا كانت تذهب إلى الإطباق فى « باسقات » و « أسبغ » و « سقر » ، فذلك ما لا نظنه لأن البيئة الحضرية تميل إلى الأناة فى الأداء بحيث تعطى كل صوت حقه فتنطقه بصفاته ، ولعل هذه الظاهرة أن تنسب إلى أهل البادية أجدر ، حيث عرفنا أن صوت الإطباق فيه من الوضوح ما يناسب البيئة الصحراوية .

رابعا — المجموعة الرابعة . ونلحظ فيها ما يلى :

١ — أن الذى حدث فى « فذانيك » و « وإيلا » إنما هو نوع من المخالفة ، حيث اجتمع صوتان متماثلان ، فغيرت النون الثانية من « فذانّك » إلى صائت طويل وهو الياء ، كما أبدلت اللام الأولى من « إلاّ » إلى صائت طويل وهو الياء أيضا .

٢ — أن هذه الظاهرة يقصد بها التخفيف من شىء يستثقلونه ، وهو التضعيف

(١) سر الصناعة : ١ / ٢٧٨ .
(٢) المحتسب : ٣٠١ .
(٣) الخصائص : ٣ / ١٤٣ .
(٤) البحر : ١ / ٢٥ .

والذين يذهبون إلى هذا التخفيف هم القبائل البادية ذاتها التى تذهب إلى التضعيف . يقول السيوطى « وقد يقال فى المذكر ذانيك وذينيك ، وفى المؤنث تانيك وتينيك على لغة من شدد النون بإبدال إحدى النونين ياء [١] . والتثقيل موجود فى اللفظة الأولى « فذانّك » لوجود صائت طويل (الألف) قبل صوت مضعف (النون) ، وفى اللفظة الثانية لوجود الهمزة قبل اللام المشددة ، والهمزة صوت شديد لأنه صوت انفجاري كما ذكرنا من قبـل . يقول ابن جنى « طريق الصنعة فيه أن يكون أراد (إلاّ) كقراءة الجماعة إلا أنه أبدل الـلام الأولى ياء لثقل الإدغام ، وانضاف إلى ذلك كسرة الهمزة وثقل الهمزة ، وقد جاء نحـــو هذا أحرف صالحة كدينار لقولهم دنانير وقيراط لقولهم قراريط وديماس فيمن قال دماميس وديبـاج فيمن قال دبابيج وشيراز فيمن قال شراريز وقـــد جاء مع الفتحة استثقالا للتضعيف وحده . قال سعد بن قرط يهجو أمه :

يالبتما أمنـــا شالت نعامتها أيما إلى جنة أيمـــا إلى نار

وقال عمر بن أبى ربيعة :

رأت رجلا أيما إذا الشمس عارضت فيضحى وأيمـــا بالعشى فيخصر

وقـــد قلبوا الثانى منها فقالوا فى أملات أمليت ، وفى أملّ أنا أملا أنا . وحدثنا أبو على أن أحمد بن يحيى حكى عنهم لا وربيك لا أفعل ، أى لا وربك [٢] » .

٣ — نسبت هذه الظاهرة إلى بنى عبد القيس [٣] وهم بطن من أسد ، وكانوا يسكنون المنطقة الشرقية مجاورين لبنى تميم وبكر بن وائل [٤] . وعلى ذلك فإننـــا نستطيع أن نعزو هذه الظاهرة أيضا إلى القبائل البادية .

---

(١) الهمع : ١ / ٧٥ .
(٢) المحتسب : ١٣٦ ـ ١٣٧ .
(٣) ابن هشام : مغنى اللبيب ١ / ٥٧
(٤) القلقشندى : نهاية ٢٧٥ .

خامسا — المجموعة الخامسة . ونلحظ فيها ما يلى :

١ — أن الذى حدث فى « الحمدُ لُله » تأثر تقدمى ، تأثر فيه الصوت الثانى بالأول ، وما حدث فى « الحمدِ لِله » تأثر رجعى ، تأثر فيه الصوت الأول بالثانى ، ويلاحظ هنا أن الصائت القصير (الضمة فى الحمدُ) له وظيفة إعرابية ومع ذلك تأثر بالصائت القصير الآخر (الكسرة فى لِله) طلبا لهذا الانسجام بين الأصوات .

٢ — ذكر ابن جنى هذا الضرب أيضا من بين ضروب الإدغام الأصغر ، وقال إن الأغلب فيه أن يكون « مع حروف الحلق نحو شِعير وبِعير ورِغيف . وسمعت الشجرى غير مرة يقول زِئير الأسد ، وحكى أبو زيد عنهم (لمن خاف وِعيد الله) »[٢] . وذكر فى المحتسب أمثلة أخرى ليست كلها مع أصوات الحلق مثل السُّلُطان والقُرُفصاء ، وما حكى من قولهم «مُنُتُن» وهو مُنُحدُر من الجبل ، وحكى أيضا أجوءُك وأنبوءُك[٣] .

٣ — يلحظ أن قراءة « الحمدُ لُله » بالضم لم ترو عن قارىء بعينه بل جاءت رواية عن « أهل البادية » وهو ما نعتقده من أن هذه الظاهرة كانت شائعة فيهم لما يكون فيها من انسجام صوتى تتحقق به السهولة والسرعة فى الكلام . وقد عزا أبو حيان كثيرا من هذه الأمثلة إلى أزد شنوءة[٤] وهم من القبائل البادية التى كانت تسكن سروات الحجاز على ما ذكرنا من قبل .

وبعد ، فلعلك لحظت الآن أن التأثر بالجهر ينسب إلى قبائل قيس وعذرة وبنى القين ، وأن التأثر بالإطباق ينسب أيضا إلى أهل البادية ، وأن التأثر بالمخالفة ينسب إلى عبد القيس ، وأن التأثر بالإتباع ينسب إلى أزد شنوءة . وعلى ذلك نستطيع أن نقول إن هذه الظواهر كانت من خصائص اللهجات المنتشرة فى البادية .

(٢) الخصائص : ٢ / ١٤٣
(٣) المحتسب : ٨١
(٤) البحر : ١ / ١٥٢

٤ - التأثر بالحذف

حين تتجاور أصوات متماثلة أو متقاربة ، تميل بعض اللهجات إلى حذف أحدها طلبا للتخفيف ، وليس هذا الحـــذف مقصــورا على الصوامت وحدها بل يشمل الصوائت أيضا ، وقد يكون الصائت جزءا من الشـكل « form » فى بنية الكلمة ، وقد يكون ذا وظيفة إعرابية على النحو الذى يظهر بعد .

وإليك الآن عرضا لنماذج من القراءات التى تشير إلى هذه الظاهرة .

أولا — حذف فى الصوامت .

١ — اختلفوا فى تشديد النون وتخفيفهـا من قوله تعالى « أتحاجونى فى الله » فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والـكسائى بتشديد النون ، وقرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر بتخفيفها (١) .

٢ — اختلفو فى « تأمرونى » فقرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر « تأمرونى » بنـــون خفيفة ، وقرأ الباقون بالتشديد ، وقرأ ابن عامر فى رواية « تأمروننى » بنونين خفيفتين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة (٢) .

٣ — ومن الشواذ قرأ أبى وعيسى « الذى يخرج الخبَ » بنقل حركة الهمزة إلى الباء وحذف الهمزة . (٣)

وهذه القراءات توضح لنا ما يلى :

١ — أن الذى حدث فى القراءتين الأوليين « أتحاجونّى » و « تأمرونّى » هو اجتماع صوتين متماثلين (النـــون) نتج عنه إدغامها فى صوت واحد ، والإدغام بطبيعته مستثقل ، أضف إلى ذلك أن قبلة صائتـا طويلا وهو عنـــدهم « حرف

---

(١) الحجة : ٤ / ٣٧ والنشر ٢ / ٢٥٩

(٢) الحجة : ٧ / ٦٣ والنشر ٢/٣٩٣

(٣) ابن خالويه : ١٠٩ والبحر ٧ /٦٩

ساكن » والإدغام أوله ساكن ، مما جعل بعضهم يقلب مثل هذا الصائت الطويل همزة على ما رأيت فى قراءتهم « ولا الضـــألين » و « دأبة » . وعلى ذلك فإن حذف النون الثانية إنما طلب به التخفيف . وعلى هذه اللهجة فى حذف النون جاءت شواهد كثيرة من نحو (١) :

أبالموت الذى لابد أنى ملاق لا أباك تخوفينى

وينقل أبو على أن هذه اللهجة لغطفان (٢) . وهى كما ذكرنـا تنتسب إلى قيس عيلان (٣) ، كما أنها من القبائل البادية التى كانت تسكن مجاورة لطىء (٤) ، والبدو يميلون إلى السهولة والسرعة فى الكلام ومن هنا كان الحذف .

أن الذى حدث فى « الخبء » هو وجـــود صوتين صامتين متجاورين وبينهما شىء من التشابه ، فالباء صوت صامت انفجارى (٥) ، والهمزة كذلك انفجارى ، فكان حذف الهمزة مؤديا إلى التخفيف .

ثانيا — حذف فى الصوائت :

أ — فى الأسماء :

١ — اختلفوا فى تحريك الدال وتسكينهـــا من قوله جل وعز « على الموسع قـدره وعلى المقتر قدره » ، فقرأ ابن كثير ونافـع وأبو عمرو وعاصم بإســـكان الدال وقرأ ابن عامر وحمزة والـكسائى بالتحريك (٦) .

٢ — اختلفوا فى فتـح الراء وإسكانها من قوله تعالى « الدرك » فقرأ ابن كثير

---

(١) الحجة : ٤ / ٣٨

(٢) المصدر والصفحة .

(٣) المبرد : نسب عدنان وقحطان ١١

(٤) القلقشندى : نهاية الأرب ٣١٤

(٥) الدكتور السعران : علم اللغة ١٦٧

(٦) الحجة : ٣ / ٣٧٠

ونافـــع وأبو عمر وابن عامر بفتـــح الراء ، وقرأ عاصم وحمزه والـكسائى بإسكانها (١) .

٣ — اختلفوا فى ضم الطـاء وإسكانها من قوله تعالى « خطوات » فقرأ ابن كثير وابن عامر والـكسائى « خُطُوات » مثقلة ، وقرأ نافـع وأبو عمرو وعاصم وحمزة « خُطْوات » ساكنة الراء (٢) .

٤ — اختلفوا فى ضم الـكاف وإســكانها من « الأكل » فقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافـــع بسكون الـكاف ، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والـكسائى « أُكُلها والأُكُل وأُكُله » مثقلا كله (٣) .

ومن الشواذ :

روى ابن مجاهد وابن دريد عن أبى حاتم عن الأصمعى عن أبى عمرو « فى قلوبهم مَرْض » ساكنة الراء (٤) .

٢ — وقرأ عبيد عن أبى عمر « وقال رَجْل » بسكون الجيم (٥) .

وقرأ الحسن « فنظْرة إلى ميسرة » بسكون الظاء (٦) .

٤ — وقرأ ابن الزبير وأبو حيوة وابن أبى عبلة ورواية عن أبى عمرو وزيد بن على والأعمش « الجمْعة » بسكون الميم (٧) .

---

(١) الحجة : ٣ / ٣٠٠

(٢) الحجة : ٢ / ٢٨٨

(٣) الحجة : ٣ / ٣٤

(٤) المحتسب : ١٤

(٥) ابن خالوية : ١٣٢

(٦) السابق : ١٧

(٧) البحر : ٨ / ٢٦٧

ب — فى الأفعال :

١ — قرأ بعضهم « اُعشنوا » بإسكان العين (١) .

٢ — وقرأ زيد بن على « بما رحْبت » بسكون الحاء (٢) .

ثالثا — حذف صائت ذى وظيفة إعرابية :

١ — قرأ الجمهور بظهور حركة إعراب فى « بارئكم » وروى عن أبى عمرو الاختلاس ، روى ذلك عنه سيبويه . وروى عنه الإسكان وذلك إجراء المنفصل من كلمتين مجرى المتصل (٣) .

٢ — واختلف فى راء « يأمركم وتأمرهم ويأمرهم وينصركم ويشعركم » حيث وقع مرفوعا ، فأبو عمرو من أكثر الطرق بإسكان الراء كما ورد عنه وعن أصحابه منصـــوصا . (٤)

٣ — سئل أبو عمرو عن « يعلمهم الكتاب » فقال : أهل الحجاز يقولون يعلمُهم ويلعنُهم مثقلة ، ولغة تميم يعلمْهم ويلعنْهم (٥) .

وهذه القراءات توضح لنا ما يأتى :

١ — أن القراء اختلفوا فى التحريك والتسكين بحيث لا يظهر لهم مذهب واحد لكن أبا عمرو كان أكثرهم قراءة بالتسكين وهو من البيئة البصرية .

٢ — أن حذف الصائت جاء نتيجة توالى الصوائت ، سواء كانت هذه الصوائت فى اسم أم فى فعـل ، وسواء كانت فى كلـة أم فى كلمتين ، وسواء كانت متماثلة نحـو « الدَّرَك — خطُوات » أم مختلفة نحو « رَجُل — فنَظِرة » .

---

(١) ابن خالويه : ٣٤
(٢) البحر : ٥ / ٢٤
(٣) البحر : ١ : ٢٠٦
(٤) الإتحاف : ١٦٤
(٥) المحتسب : ٤٤

٣ — أن هذا الحذف للصائت كان طلبا التخفيف لاستثقالهم توالى الصائت ، حتى لو كان هذا الصائت ذا وظيفة إعرابية كما فى قراءة أبى عمرو .

٤ — أن هذا الحذف فى الصائت الإعرابى قد أثار نقاشا بين النحويين والقراء فذهب النحاة إلى ما يعبر عنه ابن جنى بقوله «حتى دعا ذلك من لطف عليه تحصيل اللفظ إلى أن ادعى أن أبا عمرو كان يسكن الهمزة ، والذى رواه صاحب الكتاب اختلاس هذه الحركة ، لاحذفها البتة ، هو أضبط لهذا الأمر من غيره من القراء الذين رووه ساكنا ، ولم يؤت القوم فى ذلك من ضعف أمانة ، لكن أتوا من ضعف دراية . [١] » وذهب أصحاب القراءات إلى أن « كثيرين من هؤلاء النحاة يسيئون الظن بالقراء ولا يجوز لهم ذلك [٢] . » وإلى أن « القراءات لاتجىء على ما علمه البصريون ونقلوه » [٣] .

٥ — أن أصحاب الضرائر جعلوا حذف الصائت ذى الوظيفة الإعرابية من الضرورة الشعرية ويخرجون عليها بيت الكتاب : [٤]

فاليوم أشرب غير مستحقب إثما من الله ولا واغل

ومع ذلك يعترف بعضهم أن هذا التخفيف « سائغ فى حال السعة لأنه لغة » . [٥]

٦ — أن الروايات تكاد تتفق على أن توالى الصوائت من لهجة الحجاز ، وهى تلائم البيئة الحضرية التى تميل إلى التأنى فى الكلام بحيث تعطى كل صوت حقه ، وأن التخفيف من لهجات بنى تميم وأسد وبعض نجد ، وهى قبائل بادية تميل إلى السرعة والاقتصاد فى المجهود العضلى وهذا الحذف يوفر لهم ذلك .

---

(١) الخصائص : ١ : ٧٣
(٢) البحر : ٤ : ٢٧٢
(٣) البحر : ٣٦٧
(٤) الكتاب ٢ : ٢٩٧
(٥) الألوسى : الضرائر ص ٢٧٠

وقد جاءت على هذه اللهجة البدوية شواهد كثيرة منهـــا بيت الكتاب السابق ذكره ، ومنها قول جرير [١] :

سيروا بنى العم فالأهواز منزلـــكم ونهر تيرى فلا تعرفْـكم العرب

وقول الراعى :

تأبى قضاعة أن تعرفْ لـكم نسبا وابنـــا نزار فأنتم بيضة البلد

* * *

(١) الخصائص ١ : ٧٤

الفصل الثانى

المستوى الصرفى

أولا — فى الأسماء والمشتقات :

١ — الضمير

الحق أنه لا يزال هناك اختلاط كبير بين منهج الدرس الصوتى وبين الصرف ، فإذا كانت دراسة الأصوات بحثا فى العناصر الأولى البسيطة التى تتكون منها اللغة ، فإن كثيراً من الموضوعات التى يدور حولها الصرف إنما تنبنى على قوانين صوتية مرجعها ذلك التأثر المتبادل بين الحروف حين تتألف ويتصل بعضها ببعض . بل إن اللغويين المحدثين حين يحددون ميدان النحو يجعلونه مشتملا على « المورفولوجيا » و «النظم» (١) .

ولقد كنا نستطيع أن ندرس الضمير فيما عرضناه من الفروق اللهجية فى الأصوات، كأن نجعل بعضه تحت اللهجات التى تميل إلى الضم ، وبعضه الثانى تحت التى تميل إلى الكسر ، وبعضه الثالث تحت التى تميل إلى الحذف . . الخ . ولكننا آثرنا أن نضعه هنا فى المستوى الصرفى لأننا — أولا — أردنا أن نلم شتاته ، ولأننا — ثانيا — وجدنا أن عرضنا له على هذه الصورة يوضح لنا بنية الكلمة التى يتكون منها الضمير منفصلا أو متصلا مع غيره على النحو الذى يظهر بعد .

ومما يقوى عندنا ذلك ما كان من اختلافهم فى الشكل « Form » الذى ينبنى عليه الضمير حيث يقولون مثلا « المختار فى (أنا) أن الضمير هو الهمزة والنون فقط والألف

(1) Bloomfield : Language, London (1950) p. 184

زائدة لبيان الحركة ومذهب الكوفيين أنه الأحرف الثلاثة ... وفى (أنت) وفروعه أن الضمير نفس (أن) عند البصريين واللواحق لها حروف خطاب ، وذهب الفراء إلى أن (أنت) بكماله هو الضمير ، وذهب ابن كيسان إلى أن التاء هى الضمير وهى التى فى فعلت ... وفى (هو وهى) الجميع ضمير وهو مذهب البصريين ، وذهب الكوفيون إلى أن الضمير هو الهاء فقط والواو والياء إشباع وفى (هما وهم) الضمير الهاء وحدها وحكى عن الفارسى أنه المجموع وفى (هن) الهاء وحدها والنون الأولى كالميم فى (هم) والثانية كالواو فى (هو) [١] » .

وإليك الآن عرضا لما ورد من قراءات فى الضمائر :

أولا — ضمير المفرد المتكلم :

١ — اختلفوا فى قوله تعالى « أنا أحيي » فقرأوا جميعا بحذف الألف من « أنا » إذا وصلوا فى كل القرآن ، غير أبى جعفر ونافع فإنهما يثبتان الألف فى الوصل إذا لقيتها همزة فى كل القرآن مثل « أنا أحيي » و « أنا أخوك » إلا فى قوله « إن أنا إلا نذير مبين » فإنهما يطرحانها فى هذا الوضع [٢] . ولم يختلفوا فى إثباتها وقفا .

٢ — اختلفوا فى « بمصرخيّ » فقرأ حمزة بكسر الياء « بمصرخيِّ » وقرأ الباقون بفتحها [٣] .

٣ — وقرأ الحسن « هى عصايِ » بكسر الياء [٤] .

٤ — قرأ النبى صلى الله عليه وسلم وأبو الطفيل وعبد الله بن أبى إسحق وعاصم الجحدرى وعيسى بن عمر الثقفى « هوَىّ » [٥] وقرأ ابن أبى إسحق وعيسى

---

(١) شرح التصريح على التوضيح ١ : ١٠٣

(٢) الحجة : ٢ : ٣٩٤ والإتحاف ١٩٣ .

(٣) النشر : ٢ : ٢٢٨ والإتحاف ٣٢٧

(٤) المحتسب ١٩٧

(٥) المحتسب : ٢٦

والجحدرى « وَمَحْيِىّ » [١]

وهذه القراءات تقدم لنا ثلاث ظواهر لهجية :

١ — أن ضمير المتكلم (أنا) تثبت ألفه فى كل القراءات ، لكنها تثبت وصلا فى قراءة أبى جعفر ونافع وهما قارئا المدينة ، وهم ينسبون إثبات الألف فى الوقف والوصل إلى بنى تميم ، وحذفها إلى الحجاز [٢] ، وغريب حقا أن تثبت تميم ويحذف الحجازيون ، فالمشهور عن تميم أنها قبيلة بادية تميل إلى السرعة فى الكلام حتى نسب إليها حذف بعضه على ما بينا من قبل ، لكننا إذا نظرنا إلى هذه الظاهرة من ناحية أخرى وهى أن الروايات التى تثبت الألف فى (أنا) وردت فى قراءات بعدها همزة ، فقد يكون محتملا أن تميما — وهى من القبائل المشهورة بالهمز — كانت تثبت هذه الألف توصلا إلى تحقيق الهمزة . إلا أنه وردت على هذه اللهجة شواهد بثبوت ألف (أنا) فى الوصل دون أن يكون بعدها همزة من نحو قول الشاعر [٣] :

أنا سيف العشيرة فاعرفونى　　حميدا قد تذريت السناما

ويذكر الأشمونى أن هذا الضمير فيه خمس لهجات دون أن يحددها كلها، فصحاهن إثبات ألفه وقفا وحذفها وصلا ، والثانية إثباتها وصلا ووقفا وهى لهجة تميم، والثالثة (هَنا) بإبدال همزته هاء ، والرابعة (آن) بمدة بعد الهمزة ، والخامسة (أن) كعن [٤] .

٢ — أن القراءات التى قدمناها بضمير المتكلم مضافا إليه تبين بنيته فى حالة واحدة فقط ، وهى أن يسبقه صائت طويل « بمصرخىّ » و « عصاىِ » ، وهى

---

(١) البحر : ٤ : ٢٦٢
(٢) الاتحاف ١٩٣
(٣) المخصص : ٣ : ٩٣
(٤) حاشية الصبان : ١ : ١٠٠

تدل على أنه قد كانت هناك لهجة تحرك هذا الضمير بالكسر فى هذه الحالة ، ولقد كنا نستطيع أن نعالل هذه اللهجة بالإتباع فى « بمصرخىِّ » لكن القراءة الأخرى تناقض ذلك . وعليه فإننا نقول إن هذه اللهجة كانت تحرك ياء المتكلم فى حالة الإضافة بالكسر ، وهم يتفقون على نسبة هذه اللهجة إلى بنى يربوع [1] وهم ينتسبون إلى بنى تميم [2] ، ويذكرهم الهمدانى فيمن كان يسكن بلاد بنى تميم ، ويقول عنهم « وهم البادية » [3] ، ويرجع ذلك عندنا أن اللهجة البادية تذهب إلى الكسر حيث تميل لهجات الحضر إلى الفتح . وعلى هذه اللهجة جاءت شواهد من نحو قول الشاعر [4]:

علىَّ لعمرو نعمة بعد نعمة ... لوالده ليست بذات عقارب

٣ — واللهجة الثالثة التى تشير إليها هذه القراءات هى إضافة المقصور إلى ياء المتكلم وقد ذكرناها فى حديثنا عن الإدغام وذكرنا أنها تعزى إلى هذيل .

ثانيا — ضمير الغيبة :

١ — اختلفوا فى قوله جل وعز « فألقه إليهم » فقرأ ابن كثير وابن عامر والكسائى « فألقهى إليهم » موصولة بياء ، وقرأ عاصم وحمزة « فألقهْ إليهم » بإسكان الهاء ، واختلف عن أبى عمرو [5] .

٢ — اختلفوا فى قوله « يرضه لكم » فقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائى « يرضهو لكم » موصولة بواو ، وقرأ ابن عامر « يرضهُ لكم » من غير إشباع ، وقرأ حمزة وعاصم فى رواية « يرضهْ » بإسكان الهاء [6].

---

(١) النشر : ٢ : ٢٢٨
(٢) القلقشندى : نهاية الأرب ٣٥٩
(٣) الهمدانى صفة ١٤٠
(٤) المحتسب : ١٩٧
(٥) الحجة : ٦ : ٦٢
(٦) الحجة : ٧ : ٥٣

٣ — اختلفوا فى قوله « يؤده إليك » فقرأ أبو عمرو وحمزة بإسكان الهاء ، وقرأ الباقون بكسرها ووصلها بياء [١] .

٤ — وروى عن ابن عباس « ونادى نوح ابنهْ » بسكون الهاء [٢] .

٥ — اختلفوا فى الهاء من قوله تعالى « فهو — وهى » إذا كان قبلها لام أو واو أو ثم أوفاء ، فقرأ ابن كثير وابن‌عامر وحمزة « وهُو — فهُو — لهُو — ثم ُهو — فِهى — وِهى » بتحريك الهاء فى ذلك كله وقرأ أبو عمرو والكسائى وأبو جعفر بإسكان الهاء فى ذلك كله واختلف عن نافع [٣] .

وهذه القراءات تضع بين أيدينا ما يأتى :

١ — أن ضمير الغائب المفرد إذا كان ما قبله مفتوحا فإنه إما أن يتكون من الهاء وحدها ساكنة ، أو من الهاء وحدها مع تحريكها بالضم ، أو من الهاء مع وصلها بواو .

٢ — وإذا كان ما قبله مكسورا فإنه يتكون من الهاء وحدها ساكنة أو من الهاء موصولة بياء .

٣ — أن ضمير الغائب الذى يكون فى محل رفع ويكون مسبوقا بصائت قصير فإنه يكون بين حالتين ، تحريك الهاء أو إسكانها .

وعن اللهجات فى هذا الضمير يذكر أبو على أنه يتكون من الهاء والواو فى لهجة أهل الحجاز سواء كان ما قبلها مفتوحا أم مكسورا ، يقولون مررت بهو ، ولديهومال ، ويقرأون « فخسفنا بهو وبدارهو الأرض » [٤] . وهذا الضمير نفسه

---

(١) البحر : ٢ : ٤٩٩

(٢) المحتسب : ١٥٥

(٣) الحجة : ١ : ٣٨٢ والإتحاف ١٦٠

(٤) الحجة : ١ : ٥٠

يتسكون من الهاء الساكنة وحدها فى لهجة أزد السراة كما ينقل ابن جنى ويؤيده بقول الشاعر (١) :

فظلت لدى البيت العتيق أخيلهو ومطواى مشتاقان لهْ أرقان

وينقل أبو حيان عن الكسائى أنها لهجة لعقيل وكلاب وأنهم يقرأون « لربهْ لكنود » بسكون الهاء (٢) .

أما أزد السراة فقد ذكرنا أنهم فرع من الأزد وأنها قبيلة بادية كانت تسكن سروات الحجاز ، وأما عقيل فقد ذكرنا أيضا أنها كانت تسكن البحرين فى المنطقة الشرقيــة من شبه الجزيرة وأما كلاب فبطن من عامر بن صعصعة وكانت تسكن فى جهات المدينة وفدك والعوالى ثم انتقلت إلى الشام (٣) .

وأما الضمير المرفوع الذى يسبقه صائت قصير فنستطيع أن ننسب تحريك هائه إلى البيئة المتحضرة من الحجاز ، وإسكان الهاء إلى تميم ومن يجاورهم فى وسط شبه الجزيرة وشرقيها ، إذ أن هذا التسكين يندرج تحت ما عرضناه من التأثر بالحذف حين تتوالى مجموعة من الصوائت ، وعلى هــذه اللهجة جاءت شواهد كثيرة من نحو قول الشاعر (٤) .

فقمت للزور مرتاعا فأرقنى فقلت أهْى سرت أم عادنى حلم

ويذكر أصحاب الضرائر أن تسكين الهاء من هــذا الضمير ضرورة شعرية (٥) ،

---

(١) المحتسب : ١١٧
(٢) البحر : ٢ : ٤٩٩
(٣) القلقشندى : نهاية ٣٩٩
(٤) شرح المفصل : ٩ : ١٣٩
(٥) الألوسى : الضرائر : ٨١ : ٨٢

وقد رأيت أنه قد ورد عليها قراءات كثيرة ، وأن هذه القراءات تدل على لهجات بذاتها.

ثالثا — ضمير الغيبة فى التثنية والجمع :

١ — اختلفوا فى ضم الهاء وكسرها من ضمير التثنية والجمع إذا وقعت بعد ياء ساكنة نحو « عليهم وإليهم ولديهم ، وعليهما وإليهما وفيهما ، وعليهن وإليهن وفيهن وأبيهم ، وترميهم وما نريهم » فقرأ يعقوب جميع ذلك بضم الهاء ووافقه حمزة فى « عليهم وإليهم » وقرأ الباقون بكسر الهاء [١].

٢ — اختلفوا فى صلة ميم الجمع بواو وإسكانها إذا وقعت قبل محرك نحو « أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم » و « مما رزقناهم ينفقون » و « عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون » و « على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب » فقرأ ابن كثير وأبو جعفر بضم الميم من جميع ذلك ووصلها بواو وصلا ، وقرأ الباقون بإسكان الميم فى جميع القرآن ، وأجمعوا على إسكانها وقفا [٢] .

٣ — اختلفوا فى كسر ميم الجمع وضمها ، وضم ما قبلها وكسره ، إذا كان بعد الميم ساكن وكان قبلها كسرة أو ياء ساكنة وذلك نحو « قلوبهم العجل — وبهم الأسباب — ويغنيهم الله — ويريهم الله — وعليهم القتال — ومن يومهم الذى » فقرأ أبو عمرو بكسر الميم والهاء فى ذلك كله وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم وأبو جعفر بضم الميم وكسر الهاء ، وقرأ حمزة والكسائى بضم الميم والهاء [٣] .

وهذه القراءات تقدم لنا لهجتين تختلفان فى هاء هذا الضمير ، أما ضمها فلهجة قريش والحجازيين [٤] وهى توافق ما ذكرناه عن ضم هاء الضمير المفرد عندهم أيضا ،

---

(١) النشر : ١ : ٢٧٢
(٢) السابق : ١ : ٢٧٣
(٣) النشر : ١ : ٢٧٤
(٤) الإتحاف : ١٥١

وضم هذه الهاء فى الجمع مع ضم الميم ووصلها بواو (همو) يعزوها أبو على إلى قريش وأهـــل الحجاز ومن حولهم من فصحاء اليمن (١) .

واللهجة الثانية كسر الهاء ، وينقل أبو على أنها لهجة بكر بن وائل يحكى عن أبى زيد أن رجلا من بنى بكر بن وائل قال، أخذت هذا منه ومنهما ومنهمى ... ويؤكد كسر الهاء أن ناسا من بكر بن وائل قالوا بكم وفضل أحلامكم(٢). ونحن نعلم أن هذه القبيلة كانت تسكن جنوب العراق ولعله قد كانت بينها وبين اللغات التى كانت تنتشر فى هذه المنطقة كالآرامية والعبرية شىء من التأثر إذ من الملاحظ أن هذا الضمير فى العبرية يقارب هذه اللهجة وإن كان لا يميل إلى الكسر الخالص Häm (هم)و Hän (هن) و alākhem ع (عليخم) .

(١ الحجة : ١ : ٤٨

(٢) الحجة : ١ : ٥٨

٢ - المقصور والممدود

ونحن لا نعنى به هذا الباب الطويل الذى عقده علماء القراءات عن القصر والمد ، لـكننا نعنى به هذا المصطلح الصرفى فى الاسم المقصور والممدود كما يعرف بهما فى علم الصرف بأن « المقصور هو الاسم المتمكن الذى آخره ألف لازمة ، والممدود هو الاسم المتمكن الذى آخره همزة بعد ألف زائدة »(١). ومعنى هذا التعريف أن آخر الاسم المقصور صائت طويل مفتوح ، وأن كمية هذا الصائت تزداد فى الممدود حتى تخلق همزة.

وقد جعل أصحاب الضرائر قصر الممدود ومد المقصور من الضرورات الشعرية(٢) مستشهدين على ذلك بقول الشاعر :

وهم مثل الناس الذى يعرفونه ... وأهل الوفـــا من حادث وقديم

وقـــول آخـــر :

سيغنينى الذى أغناك عنى ... فـــلا فقر يدوم ولا غنـــاء

فهل كان ذلك حقيقة من الضرورات الشعرية أم كان لهجة يؤيدها ما ورد فيها من قراءات ؟ علينا أولا أن ننظر فى هذه القراءات التى تمثل هذه الظاهرة :

١ — اختلفوا فى قوله عز وجل « دكا » فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر « دكاً » منونة مقصورة ، وقرأ حمزة والـكسائى «دكاء» ممدودة غير منونة(٣).

٢ — وقرأ طلحة بن مصرف « يـكاد سناءُ برقه » بالمد ، وقـــرأ الجمهور « سنا برقه » بالقصر .(٤)

وواضح من القراءتين أن القراء أجازوا القصر والمـد فى القرآن ، والقرآن ليس شعرا ومن ثم فإن قصر الممدود أو مد المقصور ليسا من الضرورة الشعرية .

---

(١) شرح التصريح ٢ : ٢٩٣

(٢) الألوسى : الضرائر ٥٧

(٣) الحجة : ٤ : ٢٠٢

(٤) الـكرمانى : ١٧٢

وتتفق الروايات على أن الممدود من لهجات الحجاز حيث يذهب بنو تميم وقيس وربيعة وأسد إلى القصر [١] ، وذلك يناسب كلا من البيئتين ، إذ أن الفرق بين المقصور والممدود إنما هو فى كمية الصائت الطويل الذى يقع فى آخر الاسم ، فإذا كانت القبائل الحجازية المتحضرة تذهب إلى التأنى وتحقيق الأصوات فتستوفى كمية هذا الصائت حتى تصل إلى الهمزة ، فإن القبائل البادية من تميم وقيس وربيعة وأسد تميل إلى السرعة فى النطق مما يؤدى بها إلى كثير من الحذف على ما رأينا سابقاً .

---

(١) البحر : ١ : ١٣٨ وشرح التصريح ١٢٧

٣ ـ من المصادر

والمصدر من الثلاثى سماعى فى معظمه وإن وضعوا له أقيسة ، وهو قياسى فى غيره وقد وردت قراءات بمصادر نسبوها إلى لهجات نعرضها فيما يلى :

١ ــ قرأ الجمهور « وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إننى بَراء مما تعبدون »[١] .

٢ ــ وقرأ الجمهور « كِذّابا » بتشديد الذال مصدر كذّب[٢] .

٣ ــ وقرأ الكسائى « بزُعمهم » بضم الزاى ، وقرأ باقى السبعة بالفتح[٣] .

وأهمية القراءتين الأوليين فى أنه لاخلاف فيهما ، وذلك دليل على أن خصائص لهجة من غير بيئة الحجاز قد كانت شائعة حتى إنه لايظهر فيها خلاف بين القراء .

أما القراءة الأولى فتقدم لنا مصدرا من الفعل الثلاثى ، وينقل أبو حيان أن هذا المصدر « بَراء » لهجة لأهل العالية ، أى عالية نجــد ، وهى من البيئة البدوية ، وأما المصدر الثانى (كِذّابا) فمن فعل ثلاثى مضعف العين ، وقياسه فى العربية على التفعيل ، وينقل أبو حيان أيضا أنها لهجة يمانية لكننا لانعرف أى القبائل اليمانية كان يتكلم بها . وعلى هذه اللهجة جاءت شواهد من نحو قول الشاعر :

لقد طال مالبطتنى عن صحــابتى ... وعن حاجة قضّاؤهـا من شفائيا

ومن كلام أحـــدهم وهو يستفتى ، الحلق أحب إليك أم القِصّار ؟ يريد التقصير[٤] .

وينقل أبو حيان أيضا أن هذا المصدر (فِعّال) فى باب (فعّل) كله فاش فى

---

(١) البحر : ٨ ــ ١١

(٢) البحر : ٨ـ٤١٤

(٣) البحر : ٤:٢٢٧

(٤) البحر : ٨ـ٤١٤ ورواية اللسان :

لقد طال مالبثتنى عن صحــابتى ... وعن حوج قضاؤها من شفائيا

كلام فصحاء من العرب لا يقولون غيره) وأن بعضهم سمعه يفسر آية فقال له (لقد فسرتها فِستارا) (١) .

أما القراءة الثالثة التى قرأ بها الكسائى وهى (بزُعمهم) بالضم فقد قالوا إنها والفتح مصدران ، وهو مصدر من الفعل الثلاثى ، ويذكرون أن الضم فيه لهجة لبنى أسد(٢) ، وقد يكون ذلك صحيحا لما علمنا من ميل هذه القبيلة البادية إلى الضم .

---

(١) البحر : ٨ ـ ٤١٤

(٣) البحر : ٤ ـ ٢٢٧

٤ ـ من صيغ المبالغة

صيغ المبالغة التي تحول من صيغة (فاعل) للدلالة على الكثرة والمبالغة فى الحدث خمسة أوزان ، فَعّال ، ومفعال ، وفعول ، وفعيل ، وفَعِل ، وهناك أوزان أخرى إلى هذه الخمسة المشهورة من نحو فِعّيل بكسر الفاء وتشديد العين كسكير ، ومفعيل بكسر فسكون كمعطير ، وفُعَلة بضم ففتح كهُمَزة ولمَزة وفاعول كفاروق .

وتقدم لنا القراءات وزنين آخرين تقول عنهما الروايات إنهما ينتسبان إلى لهجات بعينها .

وإليك أولا ماورد فى ذلك من قراءات :

١ — اختلفوا فى قوله عز وجل (لرءوف) فقرأ ابن كثير ونافع وعاصم — فى رواية — وابن عامر (لرءوف) على وزن (فعول) فى كل القرآن . وقرأ عاصم — فى رواية — وأبو عمرو وحمزة والكسائى (لرؤُف) على وزن (فَعُل) [١] .

وقرأ الجمهور قوله عز وجل (ومكرو مكرا كُبّارا) على وزن (فُعّال) [٢].

وقرأ على والسلمى وعيسى (إن هذا لشىء عُجّاب) بتشديد الجيم [٣] .

فنحن إذن أمام وزنين يفيدان المبالغة ، أولهما (فَعُل) والقارئون به هم ابن كثير ونافع من البيئة الحجازية ، فإن كان صحيحا مايذكره أبو على من أن هذا الوزن هو لهجة أهل الحجاز ، فإن ابن كثير ونافعا يكونان ممثلين للهجة بيئتهما فى هذه الظاهرة ، لكن نص أبى على يلفتنا إلى نقطة هامة إذ يقول (ومنه قول الوليد بن عقبة لمعاوية بن أبى سفيان :

وشر الطالبين فلا تكنه بقاتل عمه الرؤُف الرحيم

وقال جرير [١] :

---

(١) الحجة : ٢-٢٤٦

(٢) البحر : ٨-٣٤١

(٣) ابن خالويه : ١٢٩ والكرمانى ٢٠٧

(٥) ديوان جرير (١٣٥٣ هـ) ص ٥٠٧

ترى للمسلمين عليك حقا كفعل الوالد الرَّؤُف الرحيم

ثم يذكر أن هذا الوزن هو (الغالب على أهل الحجاز[١]) ، أفلا يدل ذلك — إذا كان الأمر هكذا — ونحن نعلم أن (فعولا) أكثر فى الاستعمال — على أن لهجة الحجاز لم تكن المستوى الأعلى للعربية المشتركة ؟ . . . وعلى أية حال فقد وردت ألفاظ أخرى على هذا الوزن من نحو (رجل قَذُر وفَطُن ونَجُد ويَقُظ وعَجُل وطَمُع وحَذُر وأُشر وفَرُح [٢] .

والوزن الثانى هو (فُعَّال) وينقل أبو حيان عن عيسى بن عمر أنه لهجة يمانية ، ويستشهد عليها بقول الشاعر :

والمرء يلحقه بفتيان الندى خلق كريم ليس بالوُضّاء

وبقوله أيضا :

بيضاء تصطاد القلوب وتستبى بالحسن قلب المسلم القُرّاء

ويقال حُسّان وطُوّال وجُمّال[٣] .

وهذا النص لا يحدد إلى أى جهات اليمن تنسب هذه اللهجة لكنه فى نص آخر يذكر أن هذه الصيغة لهجة لأزد شنوءة[٤] ، وهى — كما نعلم — قبيلة يمنية كانت تسكن سروات الحجاز الجنوبية ، لكن الذى يلفت النظر أيضا أن البيتين اللذين قدمناهما شاهدين على هذه اللهجة قد قالهما فيما يروون شاعر واحد وهو أبو صدقة الدبيرى[٥] وهو شاعر من بنى دبير ، وبنو دبير هؤلاء من بنى أسد[٦] ، فإذا كنا نعلم أن أزد شنوءة من القبائل البادية فى جنوب الحجاز ، وأن بنى أسد من القبائل البادية فى وسط شبه الجزيرة وشرقيها ، فلعل هذه الصيغة من المبالغة كانت شائعة بين القبائل البادية فى شبه الجزيرة ، وليس ذلك غريبا على قبائل تميل إلى الضم أو تميل إلى التضعيف أيضا .

---

(١) الحجة : ٢ — ٢٤٦ (٢) المخصص : ١٥—٨٣

(٣) البحر : ٨—٣٤١ (٤) البحر : ٧—٣٨٥

(٥) اللسان : (قرأ) و (وضأ) (٦) اللسان (دبر)

ثانيا - فى الأفعال

١ — بين فَعَل وأفْعَل

الفعل الثلاثى المجرد قد يكون لازما وقد يكون متعديا ، وهو حين يكون مجردا ويراد تعديته فإنهم يجعلونه مزيدا ، والهمزة من بين الزيادات التى تلحق الفعل فتجعله متعديا ، لكننا وجدنا بعض اللهجات تستعمل الفعل الثلاثى مزيدا بالهمزة حيث تستعمله لهجات أخرى غير مزيد ، والمعنى فى الوزنين واحد . وقد وردت على هذه اللهجة قراءات نعرضها فيما يلى :

اختلفوا فى قوله تعالى (ما ننسخ من آية) فقرأ ابن عامر وحده (ما نُنسخ) بضم النون الأولى وكسر السين ، وقرأ الباقون بفتح النون والسين[1]

٢ — اختلفوا فى قوله تعالى (ولا يحزنك — ولا يحزنهم) فقرأ أبو جعفر ونافع (يُحزِنك — يُحزِنهم) بضم الياء وكسر الزاى ، وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الزاى[2] .

٣ — اختلفوا فى قوله تعالى (يلحدون) فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر (يُلحدون) بضم الياء فى الأعراف والنحل والسجدة ، وقرأ حمزه الأحرف الثلاثة بفتح الياء والحاء ، وقرأ الكسائى فى النحل بفتح الياء والحاء (يَلحَدون) وفى الأعراف والسجدة بضم الياء[3] .

---

(١) الحجة : ٢ ـ ١٩٦ والنشر ٢ ـ ٢١٩

(٢) الحجة : ٣ ـ ٢٠٥ والبحر : ٦ ـ ٣٤٢

(٣) الحجة : ٥ ـ ٢٢٩

٤ — واختلفوا فى قوله تعالى « فيسحتكم » فقرأ حمزة والكسائى بضم الياء وكسر الحاء ، وقرأ الباقون بفتح الياء والحاء [١] .

٥ — وقرأ الجحدرى والثقفى وأبو الهجهاج « وأجنبنى وبنى » بهمزة قطع [٢] .

٦ — وقرأ الحسن « لم تُصِدون عن سبيل الله » بضم التاء وكسر الصاد [٣] .

٧ — وحكى أبو زيد عن رجل من كلب « ولا يُصِدنك » بضم الياء وكسر الصاد [٤] .

وهذه القراءات التى قدمناها توضح أن القراء قد اشتركوا جميعا فى القراءتين ، والاختلاف فى القراءتين لا يؤدى إلى اختلاف فى المعنى فى هذه الأمثلة ، وليس معنى ذلك أن كل (فَعَل) فى لهجة بعينها يكون (أَفْعَل) فى لهجة أخرى ، وقد نقلت كتب اللغة أمثلة كثيرة لهذين الوزنين بمعنى واحد ، من نحو ما ينقل ابن دريد فى الجمهرة « دنت الشمس للغروب وأدنت — وجن الليل عليه وأجن — وهجد وأهجد — وصليته النار وأصليته — وهدرت دمه وأهدرته » [٥] .

وينقل ابن جنى قول الشاعر :

لئن فتنتى لهى بالأمس أفتنت ‌‌ ‌ سعيدا فأضحى قد قلى كل مسلم

ثم يقول « وفتن أقوى من أفتن ، حتى إن الأصمعى لما أنشد هذا البيت شاهدا لأفتن قال (ذلك مخنث ، ولست آخذ بلغته) . وقد جاء به رؤبة إلا أنه لم يضممه إلى غيره . قال :

---

(١) الإتحاف : ٣٦٨

(٢) ابن خالويه : ٦٨ والمحتسب ١٧٥

(٣) ابن خالويه : ٢٢

(٤) السابق : ١١٤

(٥) الجمهرة : ٣ : ٤٣٦

يعرضن إعراضا لدين المفتن (١) .

وينقل ابن سيده « يقال أويته وآويته ، وأهلته للأمر وآهلته ، ويقال بكر فى حاجته يبكر بكورا وأبكر ، ويقال بت عليه الحكم يبته بتا وأبته » (٢) .

وتكاد رواياتهم تتفق على أنه حين يتحد المثالان (فَعَل) و (أَفعَل) فى المعنى فإن (فَعَلَ) لهجة لأهل الحجاز ، حيث يستعمل التميميون (أفعل) (٣) ، ويعزو أبو حيان مثال (أفعل) إلى تميم وربيعة وقيس (٤) . كما ينقل ابن خالويه عن أبى زيد أنها لهجة لبنى كلاب (٥) .

وليس هناك فرق بين هـذه القبائل إذ هى من القبائل البادية فى وسط شبه الجزيرة وشرقيها ، ونحسب أن ذلك يلائم البيئة البادية حيث تميل إلى السرعة فى كلامها فلا تفرق بين وزن ووزن ، بينما تميل البيئة المتحضرة إلى التأنى فى النطق والتفريق فى الاستعمال بين مثال وآخر .

---

(١) الخصائص ٣ : ٣١٥

(٢) المخصص ١٤ : ٢٢٧

(٣) المحتسب ١٧٥ والمزهر ٢ : ١٧٦

(٤) البحر : ٣ : ٢٣٩

بين التفعيل والمفاعلة

أما التفعيل ففى العربية للتكثير ، وأما المفاعلة فللمشاركة ، لكن وردت قراءات تجمع بين الوزنين فى فعل واحد وقال عنهما أصحاب الاحتجاج إنهما بمعنى ، واقد يكون ذلك صحيحا إذ ليس كل تفعيل مؤديا إلى تكثير ، ولا كل مفاعلة مؤدية إلى مشاركة ، صحيح أن بنية الفعل هى « صورة يحملها اللفظ ويخرج عليها ويستقر على المثال الملتزم بها » (١) ، لكنه صحيح أيضا أن هذه البنية «Form» ليست مرتبطة ارتباطا حادا بدلالتها ، وعندنا من المفاعلة أفعال لا تدل على المشاركة من نحو (عافاه الله وقاتله الله) .

والقراءات التى تمثل هذه الظاهرة يمكن أن نعرض منها ما يأتى :

١ — اختلفوا فى إثبات الألف وإسقاطها من قوله عز وجل « ولا تصعر خدك للناس » فقرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر « ولا تُصعّر » بغير ألف وتشديد العين ، وقرأ الباقون « تصاعر » بألف (٢) .

٢ — اختلفوا فى قوله سبحانه « ربنا باعد » فقرأ ابن كثير وأبو عمرو « بَعّد » مشددة العين ، وقرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائى «باعد» بألف وعين خفيفة (٣).

ومعنى ذلك أن أمامنا فى هاتين القراءتين فعلا جاء على وزنين مختلفين (فَعّل — فاعل) والاختلاف فى البنية يؤدى إلى اختلاف فى المعنى ، لكنهم ذكروا فيهما أن التفعيل والمفاعلة هنا بمعنى ، ويذكر أبو على أن هناك أفعالا جاءت على الوزنين من

---

(١) الخصائص : ٩٨/٣

(٢) الحجة : ١٣١/٦ والنشر ٣٤٦/٢ والإتحاف ٤٢٦

(٣) الحجة : ١٧٦/٦ والنشر ٣٥٠/٢

نحو ضعّف وضاعف ، وأنه إذا اختلف هذان الوزنان واتفق المعنى فإن المفاعلة هى لهجة الحجاز ، والتفعيل لهجة بنى تميم (١) ولقد يكون ذلك صحيحا من حيث إن التميميين أكثر ميلا إلى التضعيف على النحو الذى رأيناه فى حديثنا عن الإدغام ، وإذا كان ذلك صحيحا فإن لهجة بنى تميم هنا تكون أقرب إلى دلالة البنيــة من لهجة الحجازيين ، وذلك أن معنى الآيتين كما نرى لا يذهب إلى المفاعلة بل إلى التكثير .

***

(١) الحجة : ١٣١/٦

الفصل الثالث

المستوى النحوى

١ — من الفصائل النحوية

الجنس

ونعنى بالفصائل النحوية تلك التى يسميها اللغويون المحدثون : Grammatical Categories ويراد بها المعانى التى يعبر عنها بواسطة دوال النسبة ، (١) فالنوع والعدد والزمن . . . الخ كلها فصائل نحوية تسعى دوال النسبة إلى التعبير عنها . (٢)

والجنس من الفصائل النحوية الهامة التى تبرز فى اللغات بروزا قويا ، ومن الواضح أن اللغات لاتسير على نظام واحد فى التميز بين الأسماء من حيث الجنس ، فإذا كانت العربية لا تميز إلا بين مذكر ومؤنث فإن هناك لغات تقابل المذكر بالمؤنث بالمحايد . ثم إن الجنس اللغوى لايطابق — دائما — الجنس فى الواقع الطبيعى بل يجرى على منطق خاص . فالاصطلاح وحده هو الذى جعل « القمر » فى العربية مذكرا و « الشمس » مؤنثة . أضف إلى ذلك أن معرفة الجنس اللغوى فى كثير من اللغات يتوقف عليه نظام الجمله ، وانظر إلى الألمانية مثلا تجد أن الاسم يتغير فى مواقعه من الجملة وفقا لجنسه .

وإذا كان هناك فى العربية علامات تصحب الاسم للدلالة على تأنيثه كالهاء والألف والألف الممدودة فإن هناك أسماء مؤنثة دون علامة كالشمس مثلا . ثم إن هناك أسماء اختلف فى جنسها فهى مذكرة مؤنثة ، وأغلب الظن أن هذا الاختلاف فى الجنس فى اسم واحد نتج عن اختلاف اللهجات .

---

(١) دال النسبة هى الترجمة التى اختارها مترجما فندريس لكلمة المورفيم .

(٢) فندريس : اللغة ١٢٥

وإليك أولا ما ورد فى ذلك من قراءات :

١ — قرأ ابن كثير وحده « ولتستبين سبيلُ المجرمين » بالتاء وسبيل بالرفع . وقرأ أبو بكر « وليستبين سبيلُ » بالياء وسبيل بالرفع .(١)

٢ — لم يختلفوا فى قوله تعالى « وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا » ولم يختلفوا أيضا فى قوله تعالى « قل هذه سبيلى ».

٣ — تعليقا على قراءة « اهدنا الصراط المستقيم » يقول أبو حيان « والصراط يذكر ويؤنث » .(٢)

٤ — وتعليقا على قراءة « ولهم فيها أزواج مطهرة » ينقل عن القراء أن « زوجا » المراد به المؤنث فيه لغتان ، زوج وزوجة » .(٣)

وعن اللهجات فى هذه الأسماء تذكر الروايات أن السبيل مذكر عند تميم وأهل نجد ، مؤنث عند أهل الحجاز (٤) ، وأن أهل الحجاز يؤنثون الصراط كالطريق والسبيل والسوق ، وبنو تميم يذكرون هذا كله .(٥) وأن « زوجا » لهجة أهل الحجاز ، « وزوجة » لهجة تميم وكثير من قيس وأهل نجد (٦) ، فهل يعنى ذلك أن الأسماء التى اختلف فى جنسها ينسب تأنيثها إلى الحجازيين وينسب تذكيرها إلى هذه القبائل البادية من تميم وقيس وأهل نجد ؟ .

الحق أننا لا نستطيع أن نعلل الجنس اللغوى فى لهجة من اللهجات أو فى لغة من اللغات ، لأنه كما قلنا يجرى على منطقة خاص ، فنحن لا نعرف لماذا يؤنث الفرنسيون الباب La porte ويذكرون الشمس Le soleil كما لا نعرف لماذا كانت البنت das Mädchen فى الألمانية « محايدا » .

---

(١) البحر : ٤ : ١٤١
(٢) البحر : ١ : ٢٥
(٣) البحر : ١ : ١٠٩
(٤) البحر : ٣ : ١٤١
(٥) البحر : ١ : ٢٥
(٦) البحر : ١ : ١٠٩

أضف إلى ذلك أن هناك قبائل من هذه المجموعة البادية نسب إليها تأنيث أسماء مذكرة « ومن ذلك (الهدى) يؤنث ويذكر، قال أبو حاتم (الهدى) مذكر فى جميع اللغات إلا أن بعض بنى أسـد يؤنث. ومن ذلك (السلاح) يذكر ويؤنث ، قال الفراء : سمعت بعض بنى دبير يقول ، إنما سمى جدنا دبيرا لأن السلاح أدبرته ».[1] وبنو دبير هؤلاء من بنى أسد . فموضوع الجنس إذن لا يمكن تعليله بالبداوة أو بالتحضر ، لكن هكذا كان « المنطق الخاص » للهجات على اختلافها .

٢ – (ما) عند الحجازيين والتميميين

ذكر النحاة أن (ما) تدخل على الجملة الاسمية فترفع الاسم وتنصب الخبر فى لهجة الحجاز ولاتعمل شيئا فى لهجه بنى تميم . وقد وردت باللهجتين قراءات نوردها فيما يلى:

١ — قرأ عاصم فى رواية « ما هن أمهاتُهمْ » بالرفع ، وقرأ الباقون بالنصب[2]

٢ — وقرأ عبد الله بن مسعود « ما هن بأمهاتهم » بالباء .[3]

٣ — وقرأ الجمهور « ما هذا بشرا » بالنصب وقرأ ابن مسعود « ما هـذا بشرٌ » بالرفع .[4]

هذه هى القراءات التى وجدناها تمثل هذه الظاهرة ، وهى توضح لنا ما يأتى :

١ — أن (ما) تعمل فى الخبر النصب .

٢ — أن (ما) لا تعمل شيئا .

٣ — أن الخبر قد يأتى معها مقترنا بالباء .

٤ — أن ابن مسعود كان يذهب إلى القراءة بالرفع أو بالباء مع الخبر ، وأن

---

(١) المخصص : ٧ : ١٥ — ٢٧
(٢) الحجة : ٧ : ٢٤٦
(٣) ابن خالويه : ١٥٣
(٤) البحر : ٥ : ٣٠٤

عاصما — فى رواية — كان يذهب إلى القراءة بالرفع وهو من البيئة الكوفية.

وتتفق الروايات على أن إعمال (ما) عمل (ليس) لهجة الحجازيين ، وأن إهمالها لهجة التميميين ، يقول سيبويه « هذا باب ما أجرى مجرى ليس فى بعض المواضع بلغة أهل الحجاز ثم يصير إلى أصله وذلك الحرف (ما) تقول: ماعبد الله أخاك، وما زيد منطلقا ، وأما بنو تميم فيجرونها مجرى أما وهل ، وهو القياس لأنه ليس بفعل كليس ولا يكون فيه إضمار ، وأما أهل الحجاز فيشبهونها بليس إذ كان معناها كمعناها » . (١)

ومع ذلك ينكر الكوفيون أن لهجة الحجازيين تنصب الخبر بما ، يقول السيوطى فى الهمع « وزعم الكوفيون أن (ما) لاتعمل شيئا فى لغة الحجازيين وأن المرفوع بعدها باق على ما كان قبل دخولها والمنصوب على إسقاط الباء لأن العرب لاتكاد تنطق بها إلا بالباء فإذا حذفوها عوضوا منها النصب كما هو معهود عند حذف حرف الجر ، وليفرقوا بين الخبر المقدر فيه الباء وغيره . ورد بكثير من الحروف الجارة حذفت ولم ينصب ما بعدها » . (٢)

ويبدو أن نصب الخبر (بما) لم يكن شائعا فى شبه الجزيرة ، بل يكاد يكون معدوما حتى إن السيرافى ينقل عن الأصمعى أنه قال « ما سمعته فى شىء من أشعار العرب » (٣) .

وينقل أبو حيان عن الزمخشرى أن « إعمال (ما) عمل (ليس) هى اللغة القدمى الحجازية وبها ورد القرآن . وإنما قال القدمى لأن الكثير فى لغة الحجاز إنما هو جر الخبر بالباء

(١) الكتاب ١ : ٢١
(٢) همع الهوامع ١ : ١٢٣
(٣) شرح كتاب سيبويه ١ : ٢١٥

فتقول ما زيد بقائم ، وعليه أكثر ما جاء في القرآن ، وأما نصب الخبر فمن أئمة الحجازيين القديمة حتى إن النحويين لم يجدوا شاهدا على نصب الخبر غير قول الشاعر:

وأنا النذير بحرة مسودة   تصل الجيوش إليكم أقوادها

أبناؤها متكنفون أباهم   حنقو الصدور وماهم أولادها (١)

فإذا كان ذلك صحيحا ، فإن هذه الظاهرة تكون قد تطورت من إعمال (ما) النصب في الخبر إلى الإهمال أو اقتران الخبر بالباء وهو الأكثر ، ويكون معنى ذلك أيضا أن اللغة المشتركة لم تأخذ بلهجة الحجازيين في هذه الظاهرة .

---

(١) البحر : ٥ : ٣٠٤

٣ – ضمير الفصل

وضمير الفصل فى العربية يأتى للتأكيد ولا يكون له محل من الإعراب، ولكن هناك لهجات تجعل له محلا من الإعراب ، وقد وردت بهذه اللهجات قراءات نعرضها فيما يلى :—

١ — قرأ الجمهور « إن كان هذا هو الحقَّ من عندك » بنصب الحق ، وقرأ الأعمش وزيد بن على « الحقُّ » بالرفع (١) .

٢ — وقرأ الجمهور « لكن كانو هم الظالمين» بالنصب ، وقرأ عبد الله وأبوزيد « الظالمون » بالرفع (٢) .

٣ — وقرأ الجمهور « تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجراً » بنصب « خيرا وأعظم » وقرأ أبو السمال وابن السميقع « هو خير وأعظم أجراً » بالرفع فيها (٣) .

وواضح من هذه القراءات أن إهمال ضمير الفصل كان أكثر شيوعا فى العربية إذ لم يختلف فيه القراء السبعة ، وأن الذين قرأوا بإعماله هم أصحاب القراءات الشاذة.

وينقل أبو حيان عن أبى عمرو الجرمى أن لهجة تميم « جعل ما هو فصل عند غيرهم مبتدأ ويرفعون ما بعده على الخبر . » ويستشهد على ذلك بقول قيس :

نحن إلى ليلى وأنت تركتها   وكنت عليها بالملا أنت أقدر(٤)

ويذكر أن رؤبة كان يقول ، أظن زيداً هو خير منك ، بالرفع . وعلى ذلك

---

(١) البحر : ٤ : ٤٨٨
(٢) البحر : ٨ : ٢٧
(٣) الكرمانى : ٢٥٢ والبحر : ٨ : ٣٦٧
(٤) البحر : ٨ : ٢٧ ورواية الأغانى (بيروت ١٩٥٥) ٨ : ٢٤٤
أتبكى على لبنى وأنت تركتها   وأنت عليها بالملا أنت أقدر

لا نستطيع أن ننسب إهمال ضمير الفصل إلى لهجة الحجازيين ، إذ يبدو من هـــذه النصوص أنه كان شائعاً عند (غير) بنى تميم .

* * *

٤ — المثنى

تذكر الروايات أن المثنى لم يكن يرفع بالألف وينصب ويجر باليـــاء فى كل اللهجات العربية ، بل كانت هناك لهجات تلزمه الألف دائماً ، ولهجـــات أخرى تعربه بحركات على النون . وقد يكون محتملا ما ذهب إليه الدكتور حسن عون من أن الإعراب بالحركات أسبق طوراً من الإعراب بالحروف اعتماداً على نظرية ، البسيط يسبق المركب ، والحركة بمثابة البسيط والحـروف بمثابة المركب وعلى أن النحاة يذكرون أن الإعراب بالحروف إنما هو نيابة عن الحركات [١].

وفى لزوم المثنى الألف وردت قراءات نعرضها فيما يلى :

١ — اختلفوا فى قوله تعالى « إن هذان لساحران » فقرأ أبو عمرو وحده « هذين » بالياء وقرأ الباقون بتشديد النون من « إنّ » وهـذان بالألف . ووافقهم الشنبوذى والأعمش وطلحة [٢] .

٢ — وقرأ أبو سعيد الخدرى « فكان أبواه مؤمنان » بالألف [٣] .

والقراءة الأولى منها توضح أن القراء السبعة غـير أبى عمرو قرأوا المثنى فى موضع النصب بالألف ، ولقد كثرت تأويلات النحاة المتعسفة لهذه الآية على ماهو

---

(١) الدكتور حسن عون : اللغة والنحو ٨٣
(٢) النشر : ٢ : ٣٢١ والبحر ٦ : ٢٥٥ والإتحاف ٣٦٨
(٣) البحر : ٦ : ٢٥٥

مذكور فى كتبهم ، وليس من شك فى أن هاتين القراءتين قد جاءتا على لهجة من يلزم المثنى الألف فى كل حال وقد وردت عليها شواهد كثيرة مشهورة .

وينسب ابن خالويه هذه اللهجة إلى بلحارث بن كعب [١] . وينسبها غيره إلى قبائل كثيرة وهى كنانة وبلحارث بن كعب وبلعنبر وبنو الهجيم وبطون من ربيعة وبكر بن وائل وزبيد وخثعم وهمدان ومراد وعذرة [٢] .

وإذا كان ذلك صحيحا فإن معناه أن هذه اللهجة كانت منتشرة انتشاراً واسعاً بين عدد غير قليل من القبائل وفى مواطن مختلفة ، أما كنانة فقد ذكرنا أنها من مجاورى قريش وأما بلحارث بن كعب فهم بطن من تميم [٣] ، وقد ذكرهم الهمدانى فيمن كان يسكن المخاليف الشمالية فى اليمن [٤] : وبلعنبر بطن من تميم [٥] ، وقد ذكر الهمدانى أنها كانت تسكن العروض فى المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة [٦] ، وبنو الهجيم بطن من تميم أيضا [٧] ، وزبيد بطن من تميم أو من سعد العشيرة من القحطانية [٨] ومن المحتمل أن تعزى هذه اللهجة إلى كلتيها إذ أن قبائل كثيرة من تميم اشتركت فى هذه الظاهرة ، وزبيد اليمنية كانت تجار بلحارث [٩] وخثعم بطن من كهلان [١٠] ،

---

(١) ابن خالويه : الحجة ٩٦
(٢) همع الهوامع ٤١ والبحر ٦ : ٢٥٥
(٣) القلقشندى نهاية الأرب ٤٢
(٤) الهمدانى : صفة ١٠٢
(٥) القلقشندى : نهاية ١٥٩
(٦) الهمدانى : صفة ١٥٩
(٧) القلقشندى : نهاية ٦٨
(٨) السابق ٢٢٣
(٩) الهمدانى : صفة ١٣٦
(١٠) المبرد : نسب عدنان وقحطان ٢٣

وكانت تسكن السراة إلى جوار مذحج [١] ، وهمدان أيضا بطن من كهلان وكانت تنزل شمالى صنعاء [٢] ، ومراد بطن من كهلان أيضا وكانت تنزل إلى جوار بلحارث [٣] . وقد ذكرنا من قبل أن مواضع ربيعة وبكر بن وائل كانت فى العراق .

ومعنى ذلك إذن أن هذه اللهجة كانت موجودة فى شرقى شبه الجزيرة حيث توجد بطون بنى تميم وبالقرب من مكة حيث توجد كنانة ، وفى شمال اليمن حيث توجد هذه القبائل اليمنية .

* * *

(١) البكرى : معجم ما استعجم ١ : ١١

(٢) الهمدانى : صفة ١٠٩

(٣) السابق : ٨١

٥ – الفعل والفاعل أو نائبه

الفعل — فى العربيــة لا يتطابق مع فاعــله أو نائبه إفــراداً وتثنية وجمعاً ، وإنما هو مفرد فى كل حال ، إلا أنهم يذكرون أنه قد كانت هناك لهجة تطابق بين الفعل وفاعله أو نائبه سموها « لغة أكلونى البراغيث » ، وقد وردت عليها قراءات نعرضها فيما يلى :

١ — لم يختلفوا فى قوله تعالى « وأسروا النجوى الذين ظلموا » .

٢ — ولم يختلفوا فى قوله تعالى « ثم عموا وصموا كثير منهم » .

٣ — وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد « وأدخلوا الذين آمنوا »(١) .

وهذه القراءات تدل — بما لا يدع مجالا للشك — أن هذه اللهجة كانت معروفة ومعترفا بها فى الفصحى إذ لم يختلف القراء جميعا فى القراءتين الأوليين .

وقد وردت على هذه اللهجة شواهد كثيرة نذكر منها قول الشاعر :

رأين الغوانى الشيب لاح بعارضى ... فأعرضن عنى بالخدود النواضر

وقول ابن قيس الرقيات

تولى قتال المارقــين بسيفه ... وقد أسلماه مبعد وحميم

وقول أمية بن أبى الصلت :

يلوموننى فى اشتراء النخيل أهلى فكلهم ألوم

وهم ينسبون هذه اللهجة إلى قبائل طىء وأزد شنوءة وبلحارث بن كعب(٢) . أما طىء فقبيلة يمنية تنسب إلى كهلان ، وقد ذكرنا أنها تسكن فى شمال الحجــاز حيث

---

(١) ابن خالويه : ٦٨

(٢) مغنى اللبيب ٦ : ٣٧ والهمع ١ : ١٦٠

جبلاها المشهوران أجـأ وسلمى [١] . وأما أزد شنوءة ففرع من الأزد اليمنية وكانت تنزل فى سروات الحجاز الجنوبية ، وبلحارث فى شمال اليمن .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الظاهرة من مطابقه الفعل لفاعـــله أو نائبه هى القاعدة المطردة الآن فى العبرية مثل Kativa hayyiladiem « كتبوا الأولاد » .

وهذه اللهجة تعد مرحلة من مراحل التطور اللغوى فى حياة العربيـــة ، ونحن نرجح ما ذهب إليه الدكتور حسن عون من أن هـــذه اللهجة أسبق من القاعدة العامة المعروفة الآن وهى إفراد الفعل عندما يتقدم الفاعل الجمع ، فالمعقول أن يجمع الفعل مع الجمع ويفرد مع المفرد [٢] .

* * *

---

(١) الهمدانى : صفة ١٢٦

(٢) الدكتور حسن عون : اللغة والنحو ٦١

٦ — البدل التميمى

والبدل التميمى يطلق على الاسم الواقع بعد (إلا) فيما يسمونه بالاستثناء المنقطع وتتفق الروايات على أن لهجة الحجازيين نصب الاسم بعد (إلا) فى الاستثناء المنقطع ، وأن بنى تميم يتبعونه ما قبل (إلا) . يقول سيبويه « هذا باب يختار فيه النصب لأن الآخر ليس من النوع الأول وهو لغة أهل الحجاز ، وذلك قولك : ما فيها أحد إلا حماراً ، جاءوا به على معنى ولكن ، وكرهوا أن يبدلوا الآخر من الأول فيصير كأنه من نوعه ، ، فحمل على معنى ولكن وعمل فيه ما قبله كعمل العشرين فى الدرهم ، وأما بنو تميم فيقولون ، ما أحد فيها إلا حمار . . . وعلى هذا أنشدت بنو تميم قول النابغة :

يادار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد
وقفت فيها أصيلا لا أسائلها عيت جوابا وما بالربع من أحد
إلا أوارىُّ لأيا ما أبينها والنؤى كالحوض بالمظلومة الجلد

وأهل الحجاز ينصبون . » (١)

وعلى هذه اللهجة وردت قراءات نعرضها فيما يلى :

١ — كلهم قرأ « ما فعلوه إلا قليل منهم » رفعا إلا ابن عامر فإنه قرأ « إلا قليلا منهم » وكذلك هى فى مصاحفهم (٢) .

---

(١) الكتاب : ١ : ٣١٩ — ٣٢٠

(٢) الحجة : ٣ : ٢٨١ والنشر ٢ : ٢٥٠

وقرأ الجمهور « وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا إبتغاءَ وجه ربه الأعلى » بنصب الهمزة ، وقرأ يحى بن وثاب (إلا ابتغاءُ) بالرفع[١] .

٣ — وقرأ الجمهور (لايعلم من فى السموات والأرض الغيب إلى اللهُ) بالرفع وقرأ ابن أبى عبلة (إلا اللهَ) بالنصب [٢] .

٤ — وقرأ الجمهور (مالهم به من علم إلا اتباع الظن) بالنصب ، وقرأ ابن عمير (إلا اتباعُ) بالرفع [٣] .

وهذه القراءات تدل على أن القراء قد ذهبوا مرة إلى لهجة أهل الحجاز فنصبوا ومرة إلى لهجة بنى تميم فأتبعوا ، وعلى هذه اللهجة جاءت شواهد كثيرة من نحو قول الشاعر :

وبلدة ليس بهـــا أنيس إلا اليعـافيرُ وإلا العيسُ

وقـــوله :

عشية لاتغنى الرماح مكانها ولا النبل إلا المشرفىُّ المصمم

وإذا كان صحيحاً أن تنسب هذه اللهجة إلى تميم ، فإننا نظن أنها قد تدل على تطور نحوى فى العربية ، ولعلها أسبق من لهجة الحجازيين ، إذ أن هذه اللهجـــة الأخيرة تفرق بين ما إذا كان مابعد (إلا) داخلا فيما قبلها أو خارجا عنها ، ونحسب أن مثل هذا التفريق يكون متأخرا عن عدمه فى لهجة تميم ، وعلى العموم فإن الإعراب عند النحاة إنما كان للتفريق بين المعانى ، من هنا نرجح أن لهجـة الحجاز فى هذه الظاهرة تعـد طوراً متأخرا عن لهجة بنى تميم .

---

(١) البحر : ٨ — ٤٨٤
(٢) الكرمانى : ١٨٢
(٣) السابق : ٦٦

٧ ـ الممنوع من الصرف

والممنوع من الصرف عندهم اسم متمكن غير أمكن ، ولهم فى منعه علل مذكورة فى كتبهم ، وهو يعرب بالضمة رفعا وبالفتحة نصبا وجرا ، إلا إن أضيف أو لحقته (أل) . وقد يصرف عندهم للضرورة أو للمناسبة . والراجح عندنا أن هذه (المناسبة) إنما كانت تعليلا لما وجدوه مصروفا فى القراءات القرآنية ، وأغلب الظن أن صرف الممنوع كان لهجة من اللهجات على ما تنقله بعض الكتب .

ولنعرض الآن ماورد فى القراءات من هذه الظاهرة :

١ ـــ اختلفوا فى قوله تعالى (إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا)فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة (سلاسلَ) ممنوع الصرف، وقرأ نافع وعاصم والكسائى (سلا سلاً) منونة [١].

٢ ـــ واختلفوا فى (كانت قوارير) فقرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير والكسائى بالتنوين وقرأ الباقون بغير تنوين[٢] .

٣ ـــ وقرأ الأعمش (ولا يغوثاً ويعوقاً) بالصرف[٣] .

وواضح من هذه القراءات أن القراء الذين قرأوا بصرف الممنوع ، منهم من هو من البيئة الحجازية كأبى جعفر ونافع وابن كثير ، ومنهم من هو من بيئة الكوفة كعاصم والكسائى .

---

(١) الحجة : ٧ـ٣١٦ والبحر : ٨ ـ ٣٩٤
(٢) النشر ٢ ـ ٣٩٥
(٣) ابن خالويه : ١٦٢ والبحر : ٣٤٢

ومما يرجح أن صرف الممنوع كان لهجة ما تذكره كتب النحو من أن (صرف ما لا ينصرف مطلقا لغة)(١) وقد حكى عن الأخفش أنه قال (وهى لغـة الشعراء ثم كثر حتى جرى فى كلامهم)(٢) . وينقل عنه صاحب الإتحاف أن لهجة بنى أسد الصرف مطلقا (٣) .

فإذا كان ذلك صحيحا فإننـا نستطيع أن ننسب هذه اللهجة إلى البيئة البادية فى وسط شبه الجزيرة ، ولعل هذه أيضا كانت طورا ســابقا من أطوار العربية ، حيث لاتفرق اللهجة بين اسم وآخر ، والتفريق متأخر عن عدمه .

* * *

وبعد هذا العرض لما وجدناه من ظواهر لهجية على المستوى النحوى فى القراءات القرآنية ، نختم هذا الفصل برأى الدكتور أنيس فى الاختلافات اللهجية من الناحية الإعرابية حيث يقول (والحق أن هذا النوع من الاختلاف الإعرابى لا يمت للهجات العربية بصلة ، وإنما هو من صناعة النحاة حين اشتد الجدل بينهم ، وحاول كل فريق أن يأتى بجديد فى تلك القواعد الإعرابية التى ملكت عليهم مشاعرهم ، وصرفتهم عن كثير من البحوث القيمة فى اللغة . فلم تكن لهجات الكلام عند القبائل تلتزم الإعراب على الصورة التى رويت لنا فى كتب النحاة ، وإنما التزم الإعراب على تلك الصورة فى اللغة الأدبية التى نزل بها القرآن الكريم ونطق بها الشعر(١) .

والحق عندنا نحن أن نفى الصفة اللهجية عن هذه الاختـلافات الإعرابية لايقره

---

(١) حاشية الصبان : ٣ ـ ٢٠٨

(٢) البحر : ٨ ـ ٣٩٤

(٣) الإتحاف : ٥٢٨

(٤) الدكتور أنيس : اللهجات العربية ٧٤

القرآن الكريم مثلا فى قراءاته الصحيحة والشاذة ، ولقد رأيت كيف اختلف القراء فى الاعراب على ما عرضنا خلال هذا الفصل، ونحن لانظن أيضا أن هذا الاختلاف من صناعة النحاة ، لأن هؤلاء النحاة لو كانوا أولوا اللهجات العربية ما تستحق من اهتمام لما تعسفوا فى تأويل ما خرج على قواعدهم من شواهد ، وفى هذه الشواهد كثير من القراءات ، ثم إننا نرى أن دراسة هذه الاختلافات اللهجية من الناحية الإعرابية تفيد فى معرفة التطور النحوى للعربية ، ولعلنا يوما نوفق إلى بحثها واستقصائها وردها إلى أصولها .

الفصل الرابع

المستوى الدلالى

إن الدرس اللغوى على المستوى الدلالى هو غاية الدراسات السابقة عليه من صوتية وصرفية ونحوية ، وليس من شك فى أنه أكثر هذه الدراسات صعوبة ، ذلك أن تحديد المعنى ليس أمراً سهلا ، وإنا لنلاحظ ذلك فى استعمالاتنا اليومية للكلام ، بل إن كثيراً مما يصيبنا فى حياتنا من خلافات ومشقات وآلام مرجعه أننا لا نعرف بصورة واحدة معنى ما نقوله ، أو ما يقال لنا ، أو ما نسمعه ، أو ما نقرؤه .

وإذا كان الأمر كذلك فى الاستعمال اليومى للكلام — وإنه لكذلك — فإن دراسة النصوص القديمة على المستوى الدلالى أكثر صعوبة وأعظم مشقة ، ذلك أنه يخفى علينا من ظروف قولها أشياء كثيرة ، وقد نضطر إلى إعادة تصور بعض ما يمكن تصوره من هذه العناصر ، وقد لا نوفق فى هذا ، وقد نوفق فيه إلى درجة محدودة . ومع ذلك يتخذ علم الدلالة — إلى جانب دراسة المعنى من الناحية الوصفية — منهجا تاريخيا خاصا لدراسة النصوص القديمة ، يحاول أن يتتبع بهذا المنهج حياة اللفظة وتطورها [1] .

والتطور الدلالى يحدث تدريجيا فى أغلب الأحوال ، لكنه قد ينتهى آخر الأمر بتغير كبير فى المعنى . ولقد حاول اللغويون المحدثون أن يحصروا ما يطرأ على المعنى من تغيرات فى أنواع ، كالتغير الانحطاطى ، والتسامى ، والتغير نحو تخصيص المعنى ،

---

(١) الدكتور السعران : علم اللغة ٢٩٠

أو تعميمه ، أو نحو الضد [١] .

ولكن إذا كانت تغيرات المعنى غالبا ما تكون صدى لتغير الميول الاجتماعية [٢] ، فإن من أسباب هذا التغير اختلاف البيئات اللهجية للغة الواحدة ، وهو ما نلحظه فى لغتنا العربية حيث يكثر فيه « المترادف » و « المشترك » و « الأضداد » مما نرجح أن يكون سببه اختلاف القبائل فى استعمال الألفاظ .

والآن ، هل نجد فى القراءات القرآنية ما يشير إلى فروق لهجية على المستوى الدلالى ؟ . . الحق أننا لانجد من هذا الضرب إلا كلمات قليلة ، وكلها من القراءات الشاذة ، وذلك أمر طبيعى ، إذ أن القراءات لم تكن تختلف فى اللفظة ذاتها ، بل كانت تختلف فيها من ناحية أدائها ، ومعظم هذه الاختلافات على ما رأيت اختلافات صوتية .

والآن نعرض ما وجدناه فى القراءات على المستوى الدلالى مما ذكرت كتبهم أنها لهجات ، مع ملاحظة أن تعليل هذه الظواهر اللهجية أمر عسير ، ذلك أننا لانستطيع أن نعرف لماذا استعملت قبيلة لفظة بعينها واستعملت قبيلة أخرى لفظة أخرى للدلالة على المعنى نفسه ، أو لماذا استعملت القبيلتان لفظة واحدة بمعنيين متضادين .

١ — قرأ الجمهور « فول وجهك شطر المسجد الحرام » وقرأ ابن أبى عبلة « فول وجهك تلقاء المسجد الحرام » [٣] .

وهذه القراءة تقدم لنا لفظتين بمعنى واحد ، وهما « شطر » و « تلقاء » ويذكر

---

(١) الدكتور أنيس : دلالة الألفاظ ١٤٨ — ١٥٥

(٢) الدكتور السعران : علم اللغة ٣٠٥

(٣) الكرمانى : ٣٣

أبوعبيد أن التلقاء معناها (النحو) فى لهجة كنانة [١]. فنحن إذن أمام لفظتين مترادفتين تؤديان معنى واحدا وهو النحو والقصد .

أما اللفظة الأولى «شطر» فتذكر المعاجم أن الشطر نصف الشيء ، وهو ما نظنه الأصل الأول لمعانى هـــذه اللفظة ، ثم كان من معانيها المتطورة بعد ذلك النحو أو القصد ، إذ أن نصف الشيء يتضام إلى نصفه أو يلتحم معه أو يتجـــه إليه . ومن ثم قالوا شطر بصره يشطر شطورا أو شطرا صار كأنه ينظر إليك، وشطر الشيء ناحيته، وقال أبو زنباع الجذامى [٢]

أقـــول لأم زنبـــاع أقيمى صـــدور العيس شطربنى تميـم

وأما اللفظة الثانية (تلقاء) فنحسب أن المعنى الأصلى لها مأخوذ عن (اللقوة) وهى داء يكون فى الوجه يعوج منه الشدق [٣] ، فـكأن (تلقاء) مأخوذة من اتجاه الوجه فى ناحية بعينها .

ونحاول الآن أن نرى استعمال اللفظتين فى القرآن :

وردت كلمة (شطر) فى خمسة مواضع :

١ — «فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام» . البقرة ١٤٤

٢ — «ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام» . البقرة ١٤٩

٣ — «ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام» . البقرة ١٥٠

٤ — «حيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره» . البقرة ١٤٤

٥ — «وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره» . البقرة ١٥٠

---

(١) تفسير الجلالين ١ : ١٢٦
(٢) اللسان (شطر)
(٣) اللسان (لقى)

ووردت (تلقاء) فى ثلاثة مواضع :

١ — «وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا .» الأعراف ٤٧

٢ — «قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى .» يونس ١٥

٣ — «ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل.» القصص ٢٢

ويبدو لنا من هذه الاستعمالات القرآنية أن لفظة (شطر) أخص من (تلقاء)، إذ من الواضح أن الأولى مستعملة فى المواضع كلها مع الفعل (ولىّ) ومع (الوجه) (وجهك أو وجوهكم) ، بينما استعملت (تلقاء) استعمالات مختلفة بغير هذا التحديد، ولم نعثر فى استعمال آخر على (شطر) مسبوقة بحرف جر كما استعملت (تلقاء) كذلك (من تلقاء نفسى) .

وإذا كان صحيحا ما ذكره أبو عبيد من أن (تلقاء) معناها النحو فى لهجة كنانة، فنحن نعرف أن كنانة من القبائل الحجازية التى كانت تجاور قريشا .

* * *

٢ — قرأ الجمهور « إنى أرانى أعصر خمراً » ، وقرأ ابن مسعود « أعصر عنبا » (١) .

وهذه القراءة تقدم لنا أيضا لفظتين ، أما الأولى (خمراً) فيقول عنها البلاغيون إنها نوع من المجاز ، وهو تسمية الشىء باسم ما يؤول إليه ، وأما الثانية (عنبا) فاستعمال اللفظة على وجه الحقيقة . لكن أبا عبيد يذكر أن لفظة (خمر) إنما هى لهجة فى العنب ، ويقول إنها لهجة عمان (٢) .

ولقد استعملت لفظة (خمر) فى القرآن فى خمسة مواضع :

---

(١) الكرمانى ١١٩ .

(٢) تفسير الجلالين ١ : ١٩٣

١ — « يسألونك عن الخمر والميسر . » البقرة ٢١٩

٢ — « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام . » المائدة ٩١

٣ — « وأنهار من خمر لذة للشاربين . » محمد ١٥

٤ — « قال أحدهما إنى أرانى أعصر خمراً . » يوسف ٣٦

وواضح من هذه الآيات أن اللفظة قد استعملت على حقيقتها فى المواضع كلها فيما عدا الموضع الذى نحن بصدده .

أما اللفظة الثانية (عنب) فهى مستعملة أيضا فى القرآن على حقيقتها فى نحو :

١ — « أو تكون لك جنة من نخيل وعنب . » الإسراء ٩١

٢ — « فأنبتنا فيها حبا . وعنبا وقضبا . » عبس ٢٨

ومن اليسير أن نتصور التقارب بين دلالة اللفظتين إذ أن الخمر « ما أسكر من عصير العنب لأنها خامرت العقل » [١] . ويبدو أن كلا من اللفظتين كانت تدل على معنى الأخرى ، فإذا كانت الخمر هى العنب فى لهجة عمان على ما ذكر أبو عبيد فإن أبا حنيفة قال ، إن العنب هو الخمر وزعم أنها لهجة يمانية [٢] ، وهم يستشهدون على هذه اللهجة بقول الراعى :

ينازعنى بها ندمان صدق شواء الطير والعنب الحقينا

(يريد الخمر) .

ولكن الراجح عندنا أن استعمال (الخمر) بمعنى العنب ، أو العنب بمعنى الخمر ليس إلا نوعا من الاستعمال المجازى .

---

(١) اللسان (خمر)

(٢) اللسان (عنب)

(٣) جفرى : ٥٧

٣ — قرأ الجمهور « حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا » وفى مصحف ابن مسعود « حتى إذا ساوى بين الجبلين » [٢] .

والقراءة تقدم لفظتين مترادفتين . أما الأولى (الصدفين) فيذكر أبو عبيد أنها تدل على الجبلين فى لهجة بنى تميم [١] ونحن نرجح أن اللفظة أقرب إلى المعنى الذى تؤدى إليه الآية ، فإذا كان الجبل اسما لكل وتد من أوتاد الأرض إذا عظم وطال من الأعلام والأطراد ، [٢] فإن الصدف أخص منه ، إذ الصدف « إقبال إحدى الركبتين على الأخرى » ففيه — أولا — معنى الميل والالتقاء ، « ويقال لجانبى الجبل إذا تحاذيا صُدُفان وصَدَفان لتصادفهما أى تلاقيهما وتحاذى هذا الجانب الجانب الذى يلاقيه وما بينهما فج أو شعب أو واد ، ومن هذا يقال صادفت فلانا أى لاقيته [٣] .

فإذا كان صحيحا ما ذكره أبو عبيد ، فإن الاستعمال القرآنى للفظة (الصدفين) يكون مأخوذا من لهجة بنى تميم وهو أقرب للمعنى المقصود من الآية .

* * *

٤ — قرأ الجمهور (إنكم وما تعبدون من دين الله حصب جهنم) ، وعن عائشة وابن الزبير وأبى عكرمة (حطب جهنم) بالطاء [٤] .

ونحن هنا أيضا أمام كلمتين تؤديان معنى واحدا وهما (الحصب) و (الحطب) أما الأولى فقد استعملت فى القرآن مرة واحدة وهى التى نحن بصددها ، وأما الثانية فقد وردت مرتين :

١ — « وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا » الجن ١٥

٢ — « وامرأته حمالة الحطب . فى جيدها حبل من مسد » المسد ٤

(١) تفسير الجلالين ٢ : ١١

(٢) اللسان (جبل)

(٣) اللسان (صدف)

(٤) الكرمانى : ١٦٠

ويذكر أبو عبيد أن (الحصب) معناها (الحطب) فى لهجة قريش[١] ، ويقول الفراء إن (الحصب) فى لهجة أهل نجد مارميت به فى النار[٢] . والذى نحسبه أن بين اللفظتين عموما وخصوصا ، فالحصب كما تقول المعاجم الحجارة والحصى ، والحصب كل ما ألقيته فى النار من حطب وغيره . ولعلهما كلة واحدة حدث فيها تغيير فى أحد أصواتها ، وأدى هـــذا التغيير إلى تخصيص المعنى فى إحدى الـكلمتين وتعميمه فى الكلمة الأخرى .

* * *

٥ — قرأ الجمهور « أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا » وقرأ على وابن عباس وابن أبى مليـكة وعـكرمة والجحدرى « أفلم يتبين الذين آمنوا »[٣] .

ومن الواضح أن الآية فى القراءتين تؤدى معنى واحدا وهـو التبين والعلم ، أما أبو عبيد فيذكر أن « يئس » بمعنى «علم» فى لهجة هوازن[٤]. ويذكر ابن جنى أنها لهجــة لبنى وهبيل[٥] ، أما هوازن من قيس عيلان وكانت تنزل سراة الطائف فى نجدها[٦] ، وأما وهبيل فبطن من النخع[٧] ، والنخع من كهلان[٨] وهم من سكان المنطقة الشمالية فى اليمن[٩] .

وهم يستشهدون على هذه اللهجة بقول الشاعر[١٠] .

---

(١) تفسير الجلالين : ٢ — ٣٥
(٢) اللسان (حصب)
(٣) المحتسب : ١٧١
(٤) تفسير الجلالين : ١ — ٢٠٥
(٥) المحتسب : ١٧١
(٦) الهمدانى : صفة : ٧١
(٧) القلقشندى — نهاية ٣٥٨
(٨) القلقشندى : نهاية ٦٦
(٩) الهمدانى : صفة ٩١
(١٠) المحتسب : ١٧١

ألم يـــأس الأقواء أنى أنا ابنه وإن كنت عن أرض العشـــيرة نائيا

وقول الآخر :

أقول لأهل الشعب إذ يأسرونني ألم تيأسوا أنى ابن فارس زهدم

ويخيل إلينا أن لفظة « اليأس » توحى بمعنى « التبين اليقينى » إذ لو كان عند « اليائس » نسبة معينة غير معلومة لما كان يائسا . ولعلهـا — إن صح ما قاله الفراء وابن جنى — كانت تستعمل بمعنى التبين والعلم عند القبيلتين اللتين ذكراهما .

الخاتمـــة

ونظننا — الآن — لا نبتعد عن الحقيقة إذا قلنا إن البحث فى اللهجات العربية القديمة من أصل البحوث اللغوية ، ونحن نقـــدر هذه الأصالة وندرك أنها تحتاج ما تحتاج من صبر ومثابرة ، وعلى قدر الطاقة سرنا فى هذا البحث بما نظن أنه يوصل إلى الغاية المقصودة ، فمهدنا له بدراسة للبيئة الجغرافية لشبه الجزيرة العربية لـــا رأينا من من أهميتها للدرس اللهجى ، ثم أتممنا هذا التمهيد بدراسة للقبائل العربية ومنازلها من شبه الجزيرة بالقدر الذى يخدم غرض البحث . وأنت ترى أننا حددنا ميدان بحث اللهجات فى مصدر واحد حسب وهو القراءات القرآنية ، من أجل ذلك قسمنا بحثنا على النحو الذى يشير إليه عنوانه ، فدرسنا الواقع اللغوى قبل الإسلام ، ثم حاولنـا أن نقدم (تقيما) للدراسة اللهجية فى كتب العربية ، وانتقلنا إلى دراسـة فى القراءات مهتمين بوثاقتها مصدراً لدراسة اللهجات دون أن تتفرع بنا المسائل . ثم كان الدرس اللغوى لـا وجدناه فى القراءات معتمدا على المنهج الحديث ، فقسمناه مستويات أربعة : صوتية وصرفية ونحوية ودلالية . فما هو الجديد فى هذه المحاولة ، وما هى النتائج التى آلت إليها ؟

لعل أهم مافى المحاولة من جديد أننا استطعنا أن نحدد كثيراً من الظواهر اللهجية قبل الإسلام ، وأن نعزوها إلى أصحابها ، وليس ذلك جديدا هينا لأنه يدل على طور من أطوار العربية ، ولعـله أهم أطوارها لأنه المستوى الذى صدرت عنه هذه اللغـة فى حياتها حتى الآن ، وإذا وجـدت المحاولات الجادة فى هذا الميدان فلقد نستطيع أن نصل يوما إلى تأريخ لهـذه اللغة تأريخا يعتمد على المنهج العلمى بما يصلنا بتراثنا القديم من ناحية ، وبما يعين — من ناحية أخرى — على جعل لغتنا مسايرة للحياة المتطورة وليس من شك فى أن أولى خطوات التجديد قتل القديم بحثاً .

وإذا كنا قد استطعنا أن نصور بعضا من ملامح الواقع اللغوى قبل الإسلام فإننا نحسب أن بحثنا قد آل إلى النتائج الآتية :

أولا — فى ميدان القراءات:

١ — تعتبر القراءات مرآة صادقة لما كانت عليه ألسنة العرب قبل الإسلام ، وعلى ذلك لايستطيع باحث أن يتعرض للهجات العربية دون أن يقوم بدراسة للقراءات .

٢ — وإذا كانت القراءات كذلك فهى أوثق المصادر اللغوية لدراسة اللهجات إذ تختلف عن الشعر الجاهلى الذى أصابه ما أصابه من تحريف فى الرواية على مر العصور ، وتختلف عن الحديث بما أجيز فيه من رواية بالمعنى ، ولقد رأيت أن منهج القراءات أصح مناهج النقل اللغوى لأنها تعتمد على التلقى والعرض وهما يكفلان صحة النقل ودقته .

٣ — أن القراء لايمثلون بيئاتهم اللهجية تماما ، لأن القراءة كما قلنا تقوم على الرواية ، وأصدق مثل على ذلك ابن كثير قارىء مكة .

٤ — أن النحاة قد جرحوا بعض القراءات حين رأوها تخرج على قواعدهم ، وكان ينبغى أن يكون العكس صحيحا ، إذ القرآن مصدر لمعرفة اللغة وليس النقيض كذلك .

ثانيا — فى الميدان اللغوى :

١ — ذهب القدماء ومن بعدهم المحدثون إلى أن هذه العربية الفصحى هى لهجة قريش ، وقد أدى بنا البحث إلى أن ذلك لايتفق مع ما تقدمه لنا اللغة من نصوص ، وأن الأقرب إلينا أن هذه الفصحى قد تكونت على مر الزمن بطريقة لانستطيع أن نتبينها الآن ، وأن بعض الظواهر اللهجية القرشية ليست هى السائدة فى الفصحى ، وقدم لك البحث مادة كافية على ذلك ، وأوضح مثل ما رأيته فى الهمز والإدغام .

٢ — أن المادة اللهجية فى البحث تظهر أننا لا ينبغى أن ندرس اللهجات معزوة إلى قبائل باعتبار أنسابها بل باعتبار بيئاتها الجغرافية، ولقد كان من نتائج ذلك أننا وجدنا أن تقسيم القبائل من ناحية اللهجات هو تقسيم من حيث التبدى والتحضر ، فالقبائل المتحضرة تميل إلى تحقيق الأصوات والتأنى فى نطقها والبعد عن الخشونة ، بينما تجنح القبائل البادية إلى السرعة والاقتصاد فى المجهود العضلى فى الكلام على ما رأينا فى الإدغام والحذف والإتباع ، كما تميل إلى ارتفاع الصوت على ما رأينا فى اختيارها للأصوات المجهورة .

٣ — أن بعض الظواهر اللهجية يمكن تعليله بالاحتكاك ببيئات لغوية أخرى ويظهر ذلك فى دراستنا لكسر حرف المضارعة وفتح حرف الحلق إذ وجدنا أن هاتين الظاهرتين كانتا توجد ان فى بيئة تنتشر فيها العبرية وهما من خصائصها .

٤ — وإذا كان معظم الاختلاف بين اللهجات يرجع إلى الناحية الصوتية ، فإن فى اللهجات أيضا ما يعين على تعميق البحث الصرفى ، ولعل الصرف لا يزال ميدانا بكرا يحتاج إلى أبحاث كثيرة وبخاصة فى لغتنا التى تقوم على الاشتقاق .

٥ — أن بعض الاختلاف فى الناحية النحوية يعود إلى اختلاف اللهجات ولا يعود إلى صنع النحاة كما رأيت ، ودراسة هذه الاختلافات النحوية يعين على فهم لتطور الناحية الإعرابية فى اللغة ، كما يعين على « تقييم » جديد للظواهر النحوية بعيدا عن التأويل المتعسف الذى كان يذهب إليه النحاة .

٦ — أن أهم النتائج التى وصلنا إليها فى البحث وضعناها على خرائط ، ونحسب أن ذلك من الأعمال الهامة التى ينبغى أن تقوم بها الدراسات اللغوية ، فالأطلس اللغوى يعين على فهم صحيح للغة موضع الدرس .

ولنا بعد هذه النتائج مقترحات :

١ — فى ميدان القراءات :

القراءات ميدان أصيل للبحث ، لأنه يصلنا بالدرس الإسلامى وبالدرس الأدبى واللغوى. وهى لاتزال فى حاجة إلى دراسات مستفيضة ، ثم إن فيها كثيرا من المخطوطات التى تحتاج إلى تحقيق .

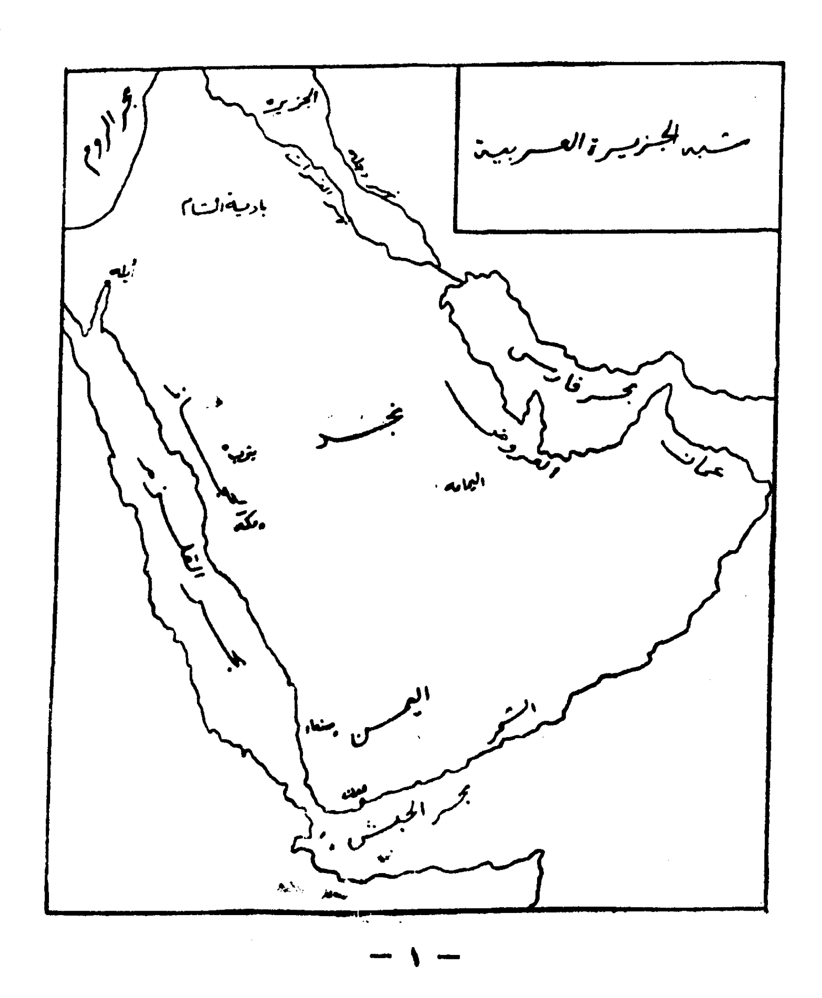
٢ — فى ميدان اللغة :

إن دراسة اللهجات العربية ضرورية جدا لفهم التطور اللغوى للعربية ولتأصيل الدرس اللغوى ، ولابد من دراسة اللهجات القديمة من مصادرها المختلفة وقد قمنا هنا بدراستها من مصدر واحد وينبغى بعد ذلك التوفر على المصادر الأخرى ، ثم إن دراسة هذه اللهجات لن تكون كاملة إلا ببحث شبه الجزيرة العربية بحثا منقبا للوصول إلى ما قد يكون فيها من آثار ونقوش تعين على تصور التطور اللغوى فيها .

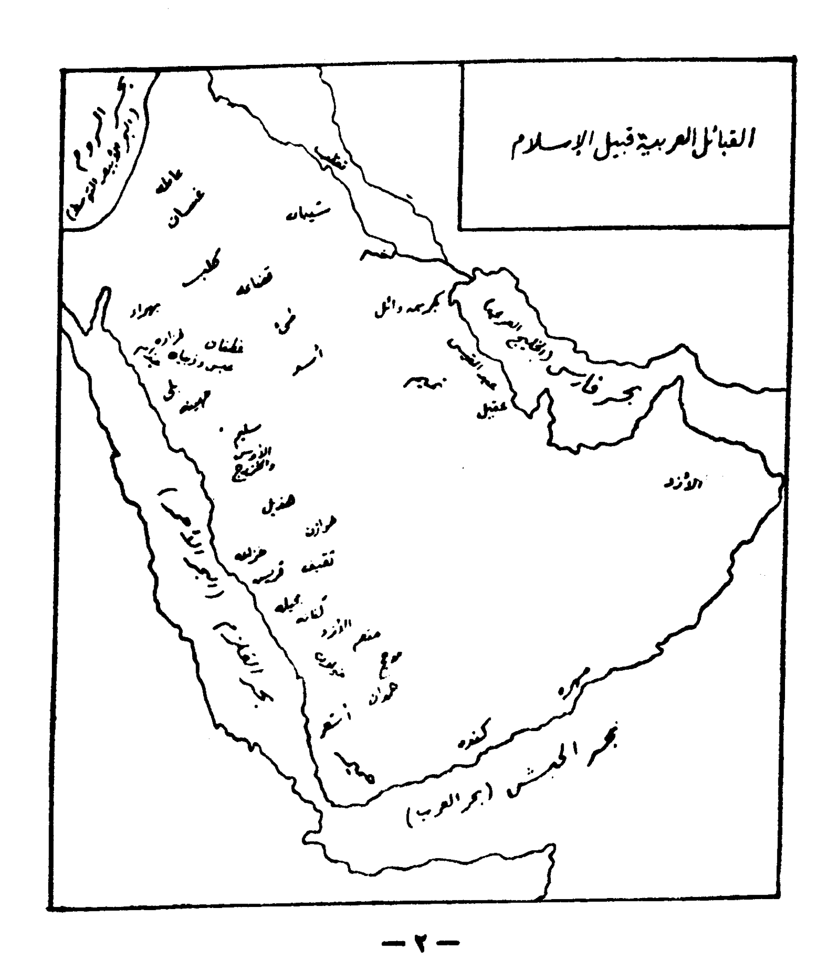
وبعد ، فإننا نرجو بعد هذه المحاولة أن نكون قد أضفنا قطرة ضوء على الطريق .

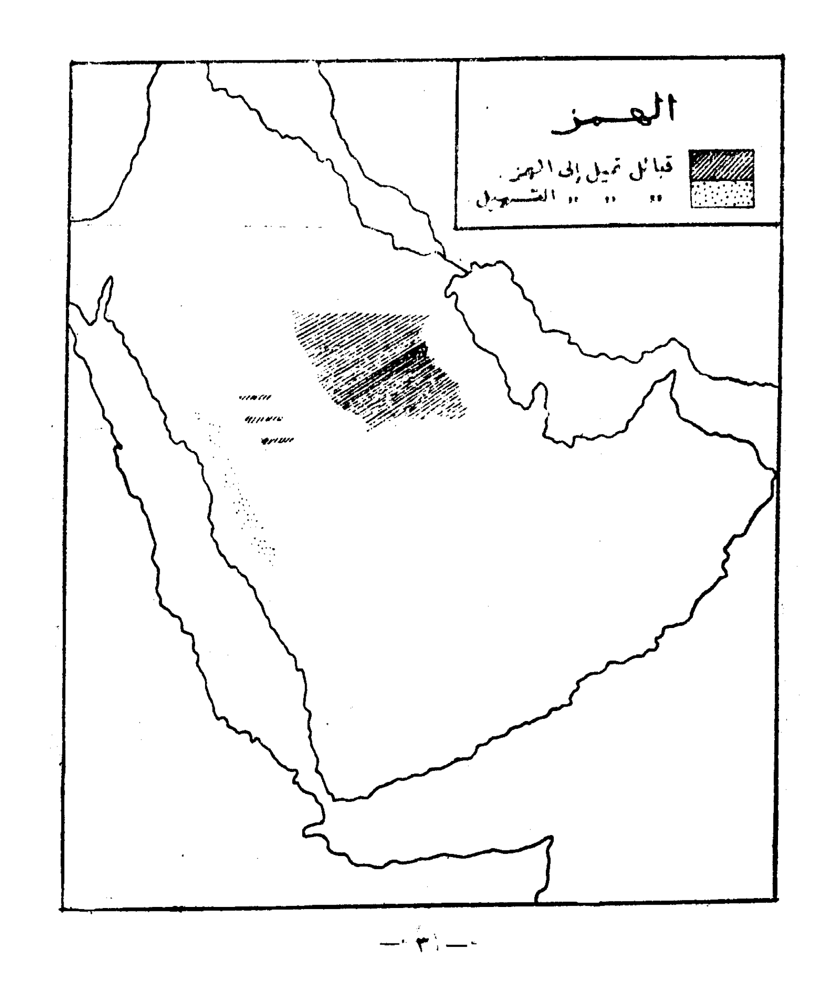
وبالله وحده التوفيق .

أطلس لغـــوى

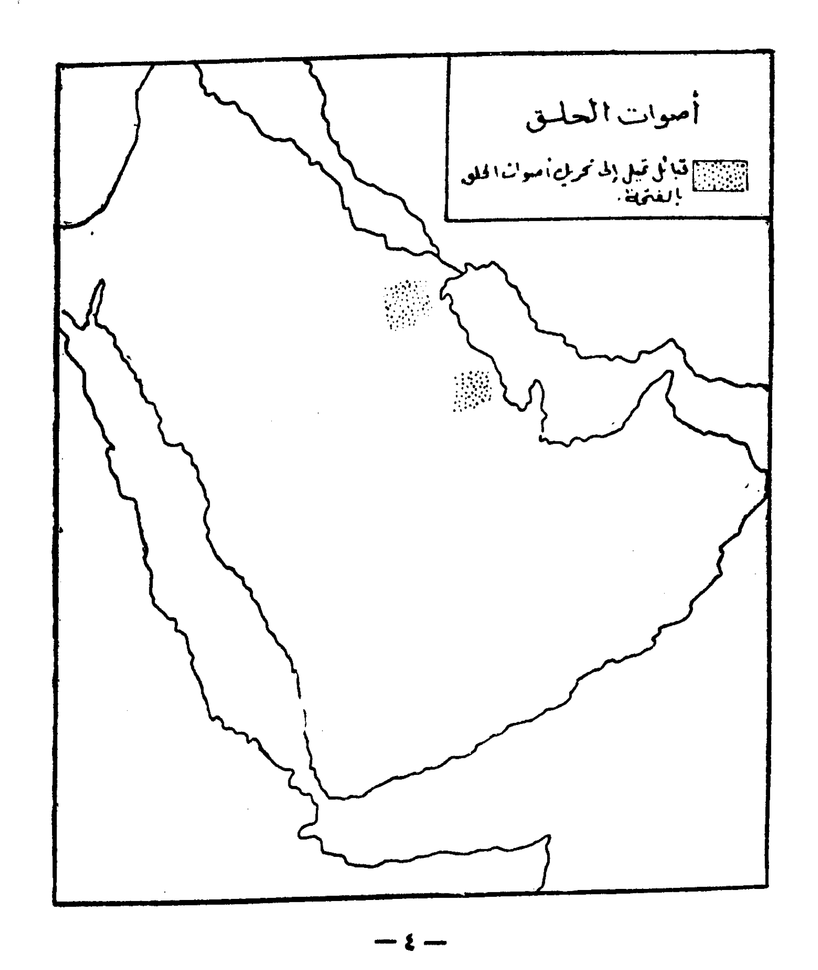

شبه الجزيرة العربية
بحر الروم
بادية الشام
الجزيرة
أيلة
نجد
يثرب
مكة
اليمامة
العروض
بحر فارس
عمان
اليمن
صنعاء
الشحر
بحر الحبش

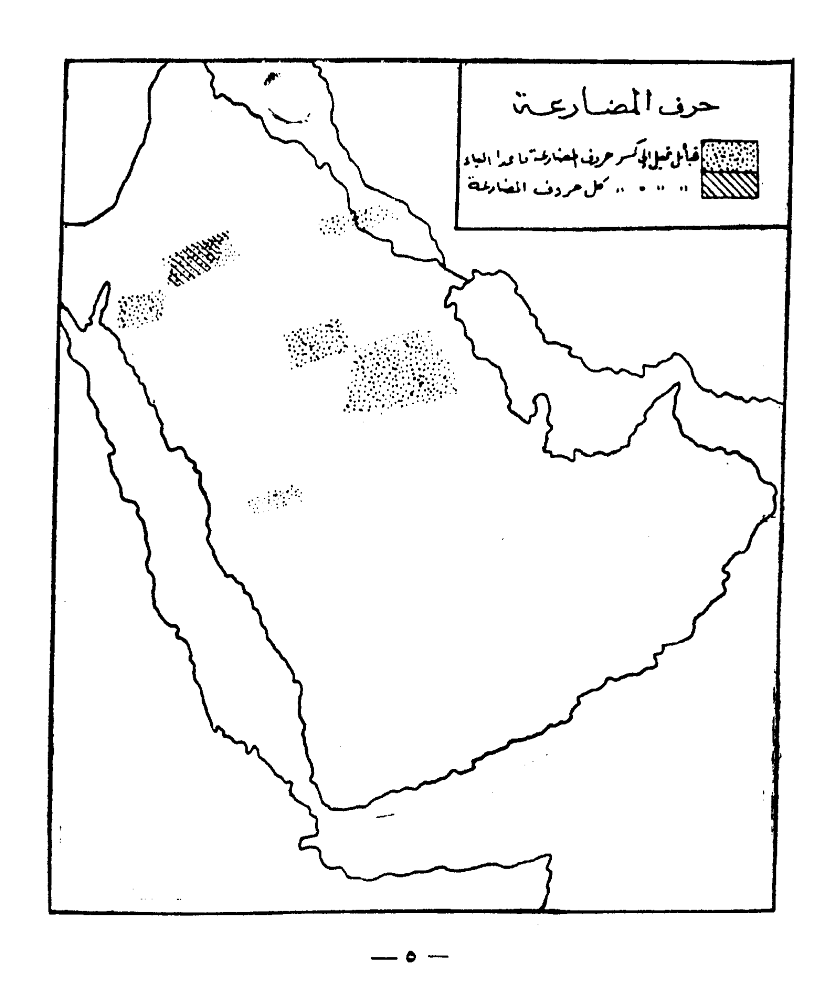
— ١ —

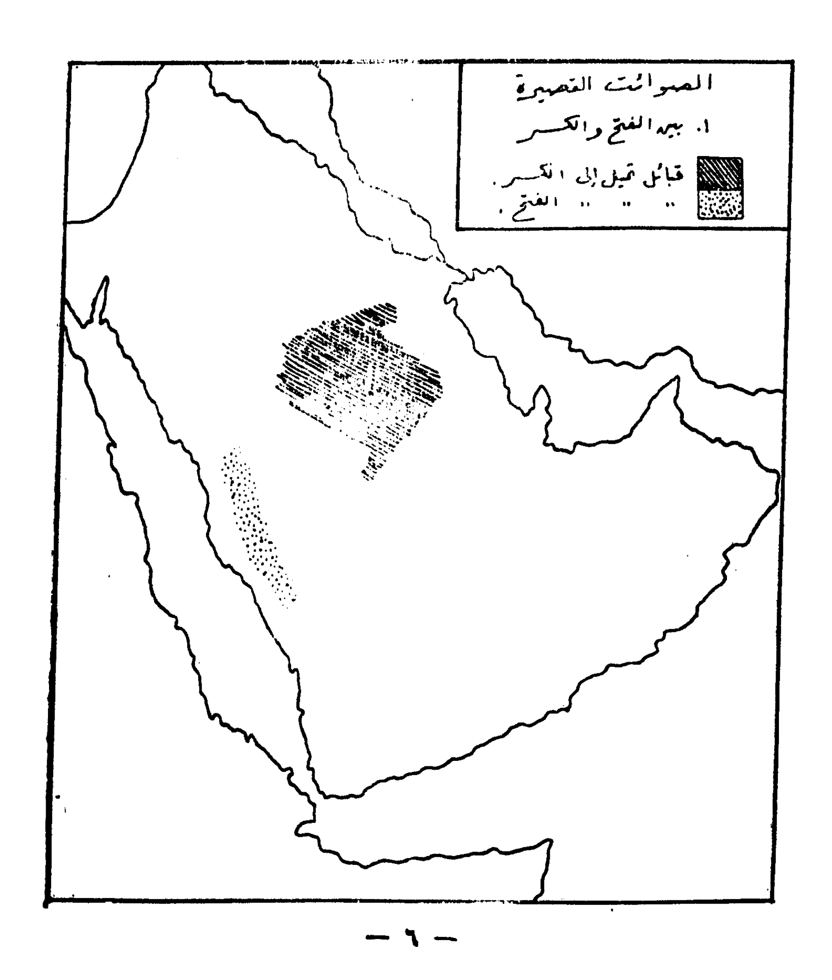

القبائل العربية قبيل الإسلام
بحر الروم
عاملة
غسان
تغلب
شيبان
كلب
قضاعة
بهراء
طيء
فزارة
غطفان
عبس وذبيان
أسد
بكر بن وائل
بلي
جهينة
تميم
عقيل
سليم
الأوس والخزرج
هذيل
هوازن
ثقيف
قريش
بجيلة
كنانة
الأزد
مهرة
كندة
أشعر
همدان
بحر فارس (الخليج العربي)
بحر الحبش (بحر العرب)

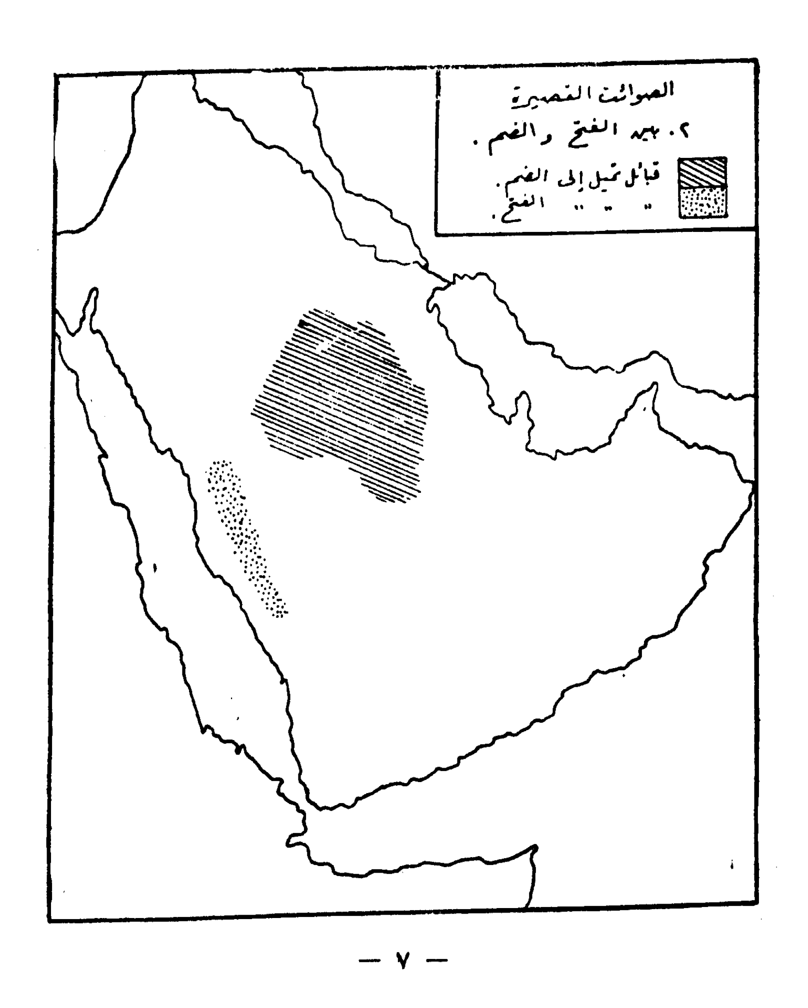


— ٣١ —

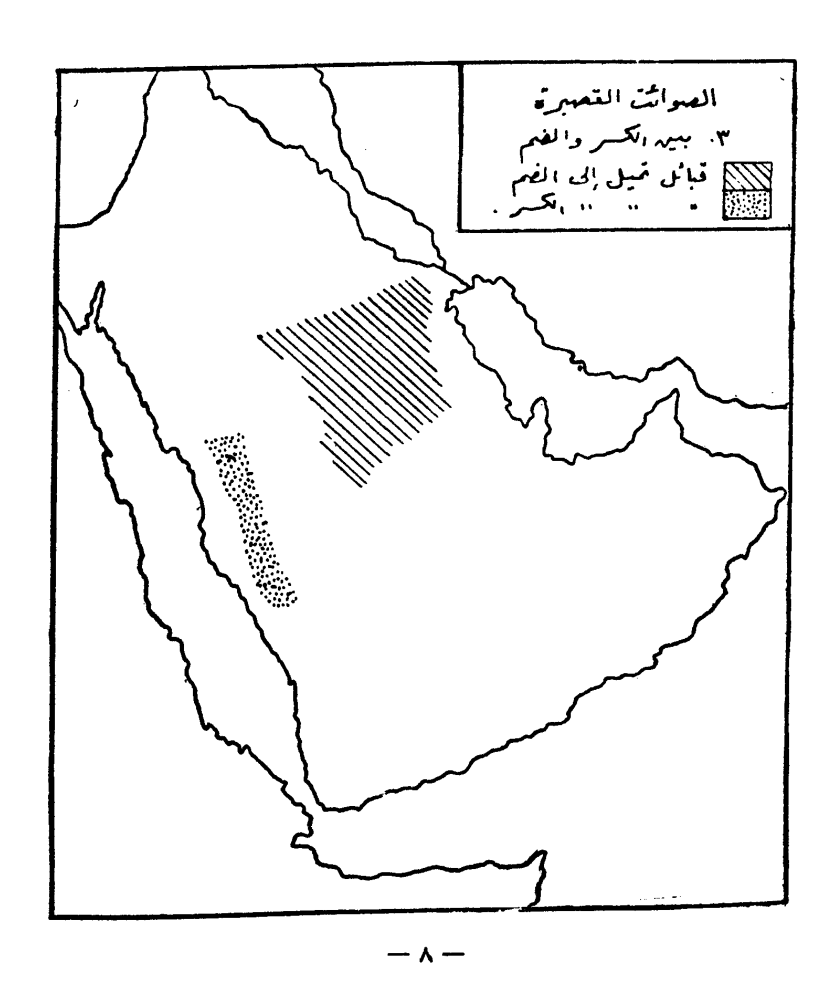

أصوات الحلق
قبائل تميل إلى تحريك أصوات الحلق بالفتحة.

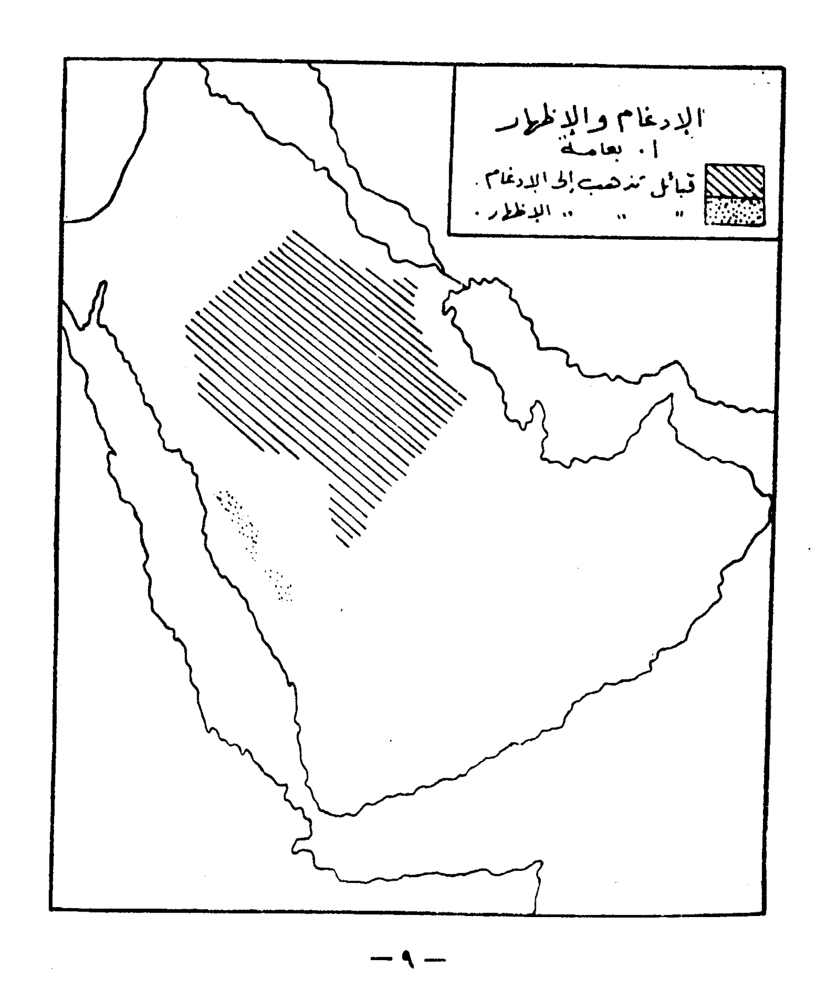

حرف المضارعة
قبائل تميل إلى كسر حروف المضارعة ما عدا الياء
" " " " كل حروف المضارعة


الصوائت القصيرة
١. بين الفتح والكسر
قبائل تميل إلى الكسر.
" " " الفتح.



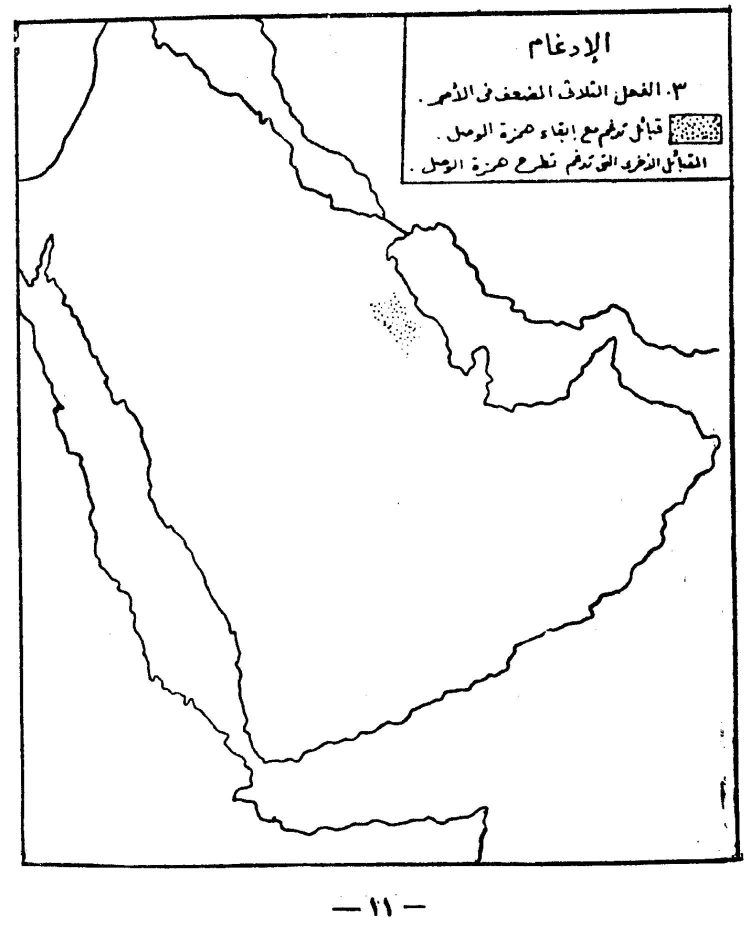
— ٧ —

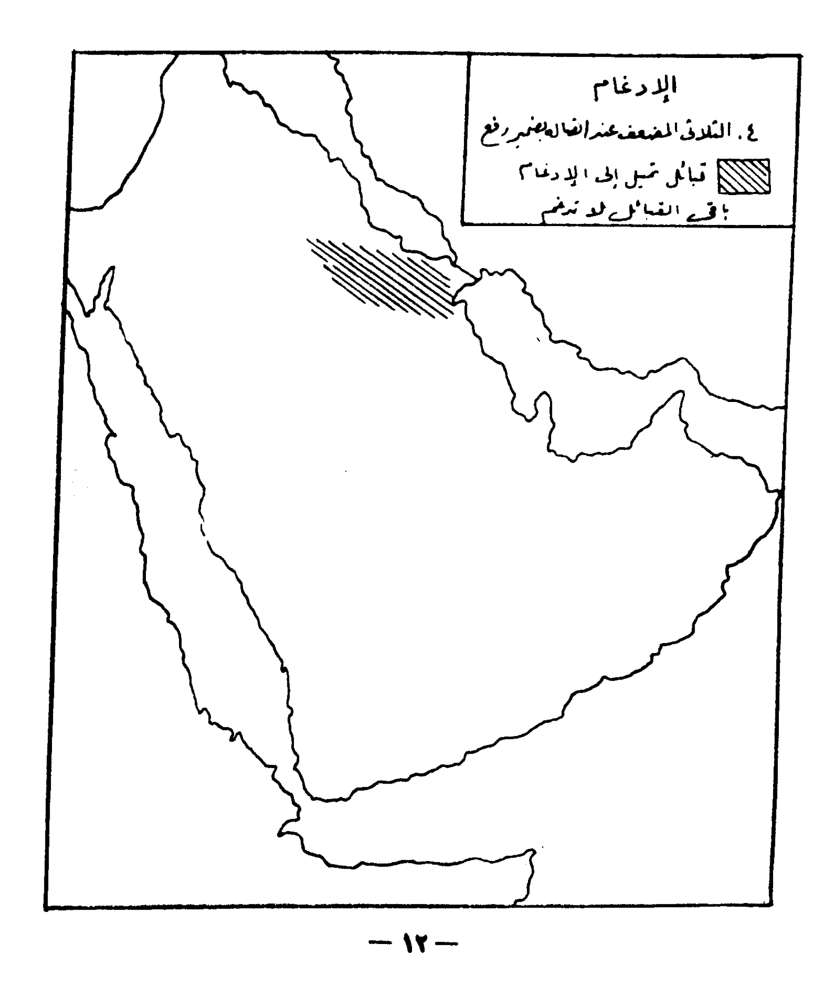

الصوائت القصيرة
٣. بين الكسر والضم
قبائل تميل إلى الضم
" " " الكسر .

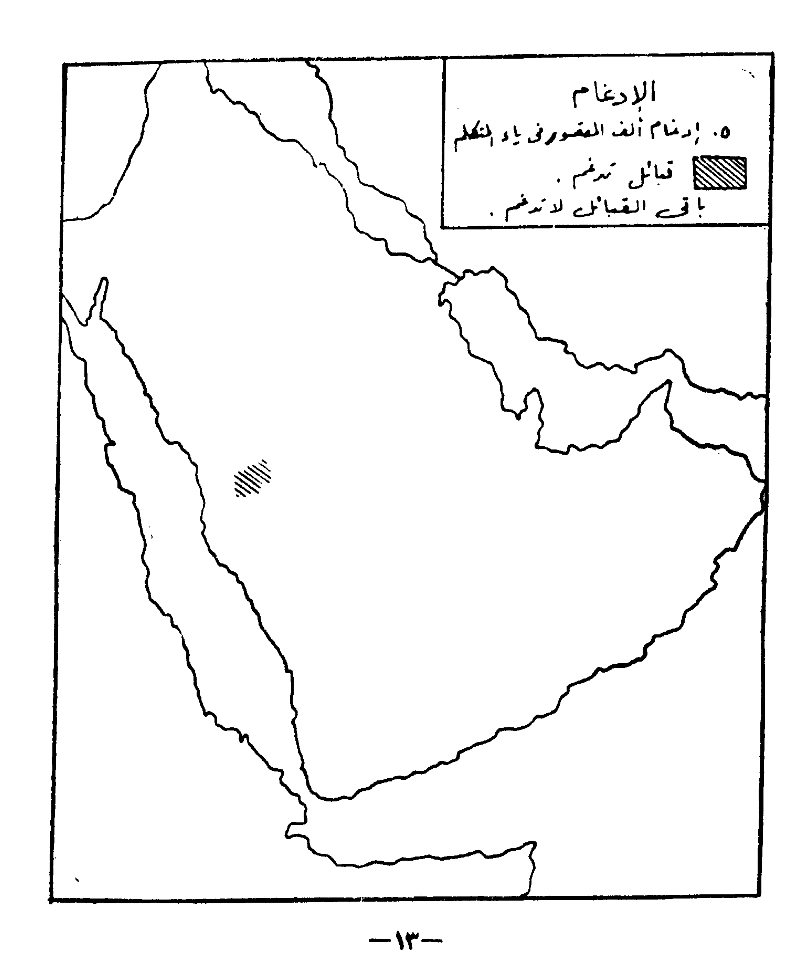

الإدغام والإظهار
١. بعامة
قبائل تذهب إلى الإدغام .
" " " الإظهار .


الإدغام
٢. الفعل الثلاثي المضعف في حالة الجزم أو سكون اللام.
قبائل تدغم مع التحريك بالفتح على كل حال
" " " " بالكسر " " "

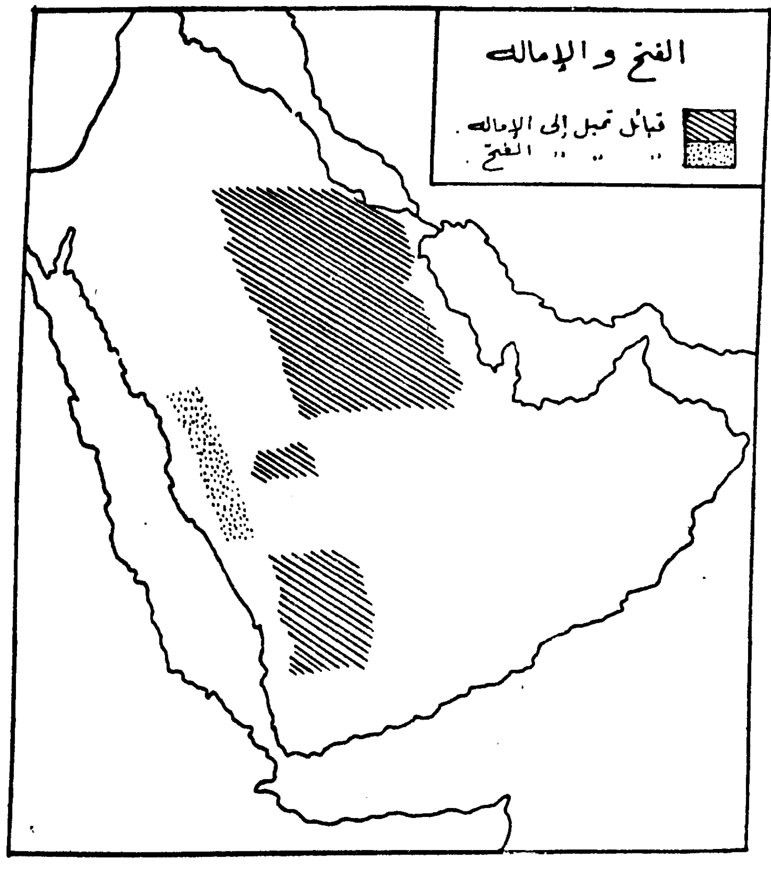
— ١٠ —


الإدغام
٣. الفعل الثلاثى المضعف فى الأمر .
قبائل تدغم مع إبقاء همزة الوصل .
القبائل الأخرى التى تدغم تطرح همزة الوصل .

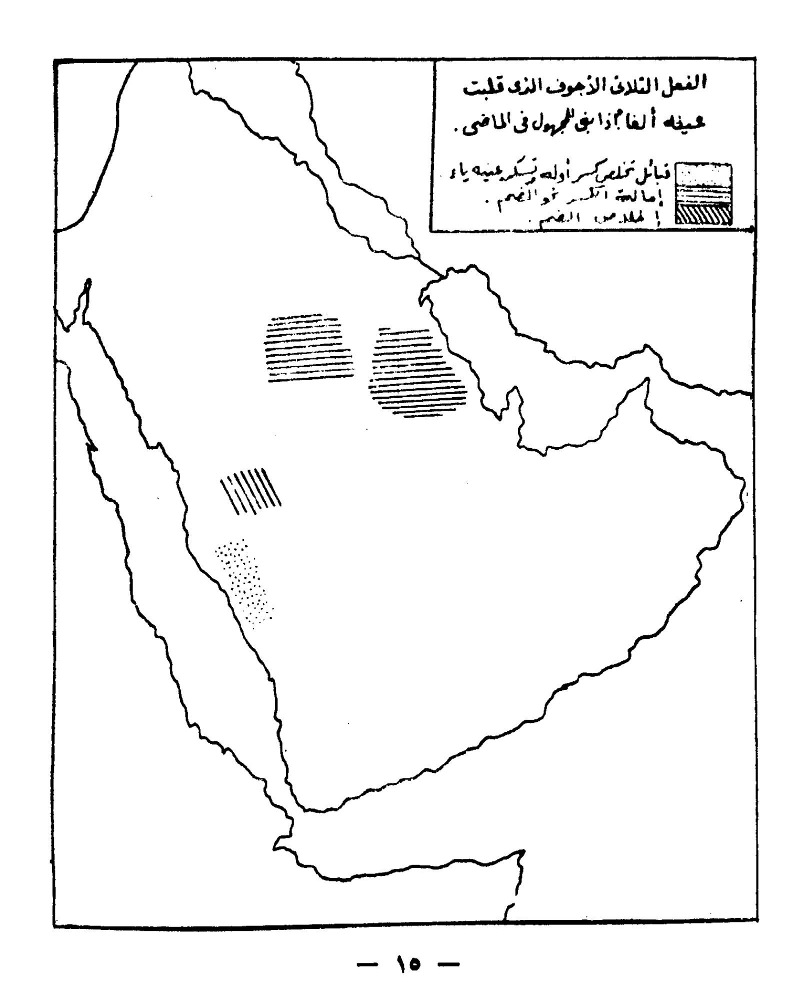

الإدغام
٤. الثلاثي المضعف عند اتصاله بضمير رفع
قبائل تميل إلى الإدغام
باقي القبائل لا تدغم

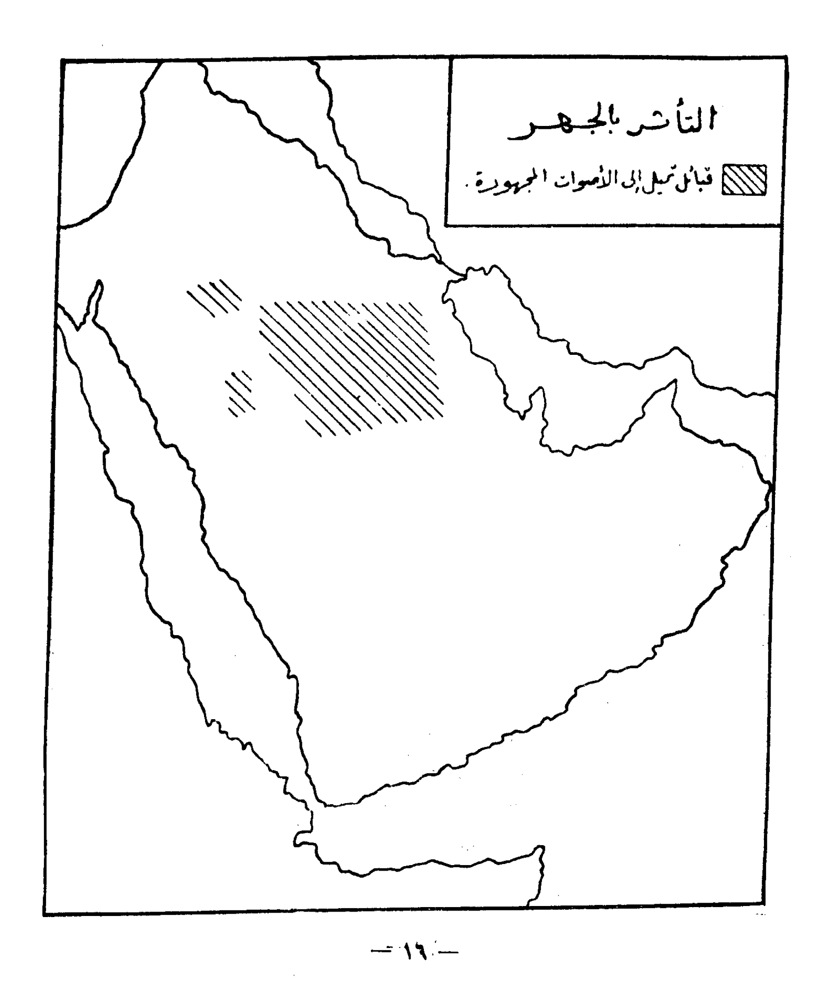

الإدغام
٥. إدغام ألف المقصور في ياء المتكلم
قبائل تدغم .
باقي القبائل لا تدغم .

—١٣—

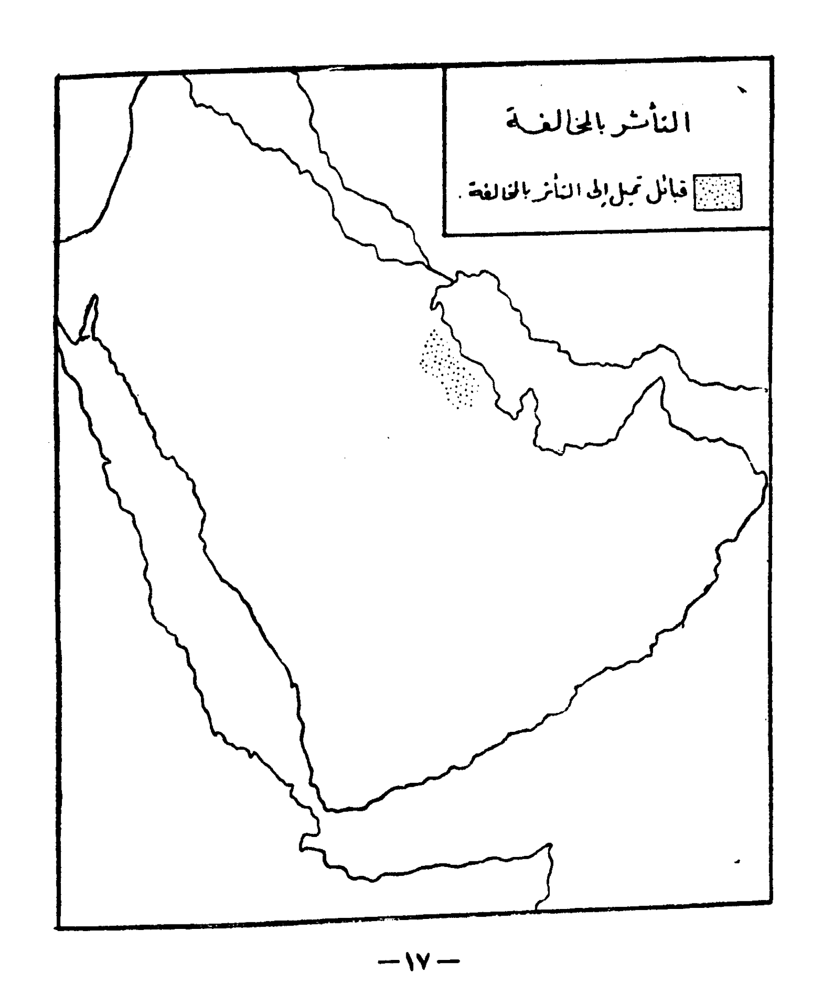


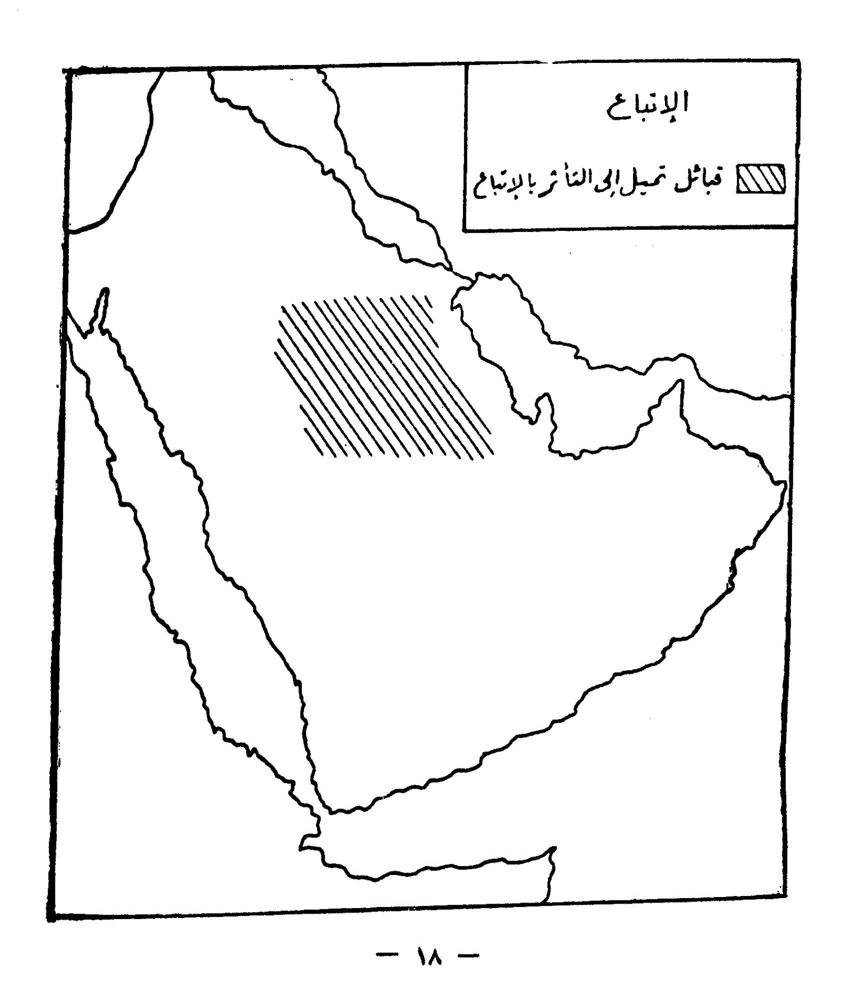
— ١٤ —

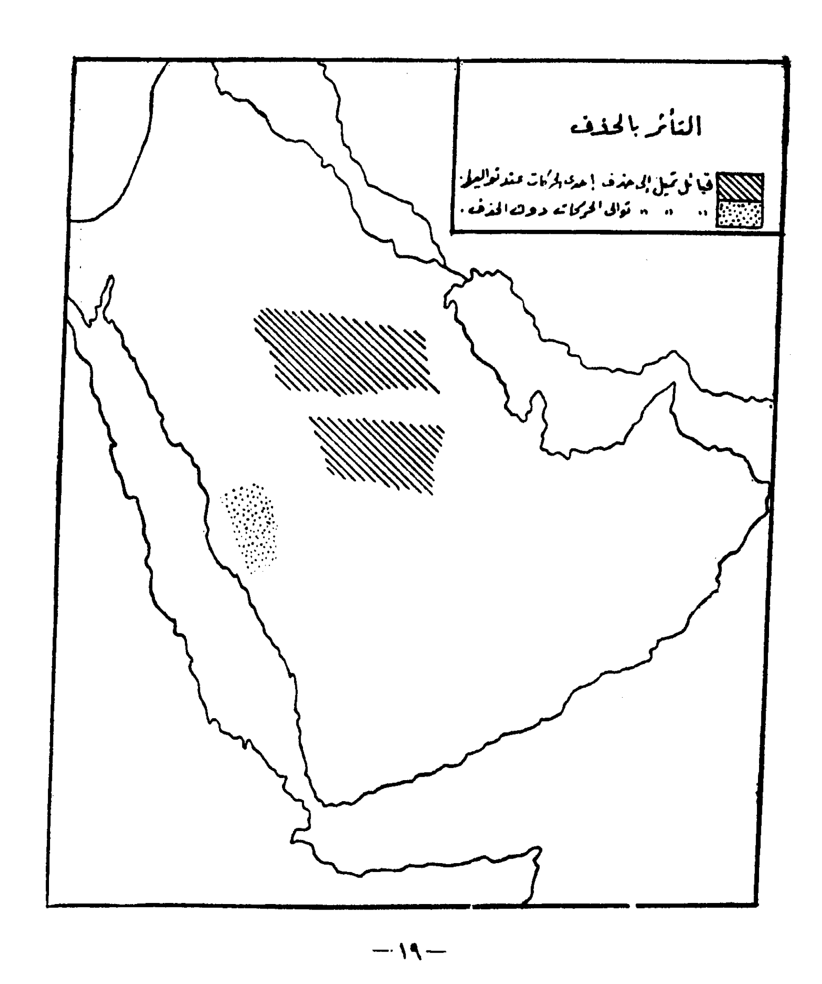

الفعل الثلاثى الأجوف الذى قلبت
عينه ألفا إذا بنى للمجهول فى الماضى .
قبائل تخلص كسر أوله تسكن عينه ياء .
إمالة الكسر نحو الضم .
إخلاص الضم .

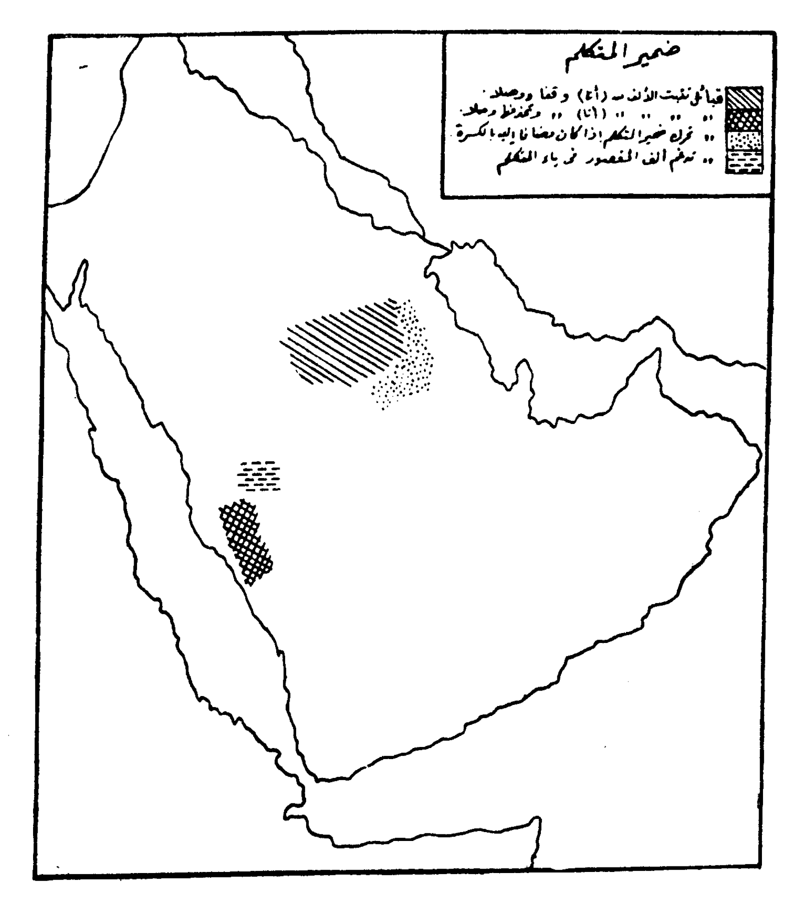


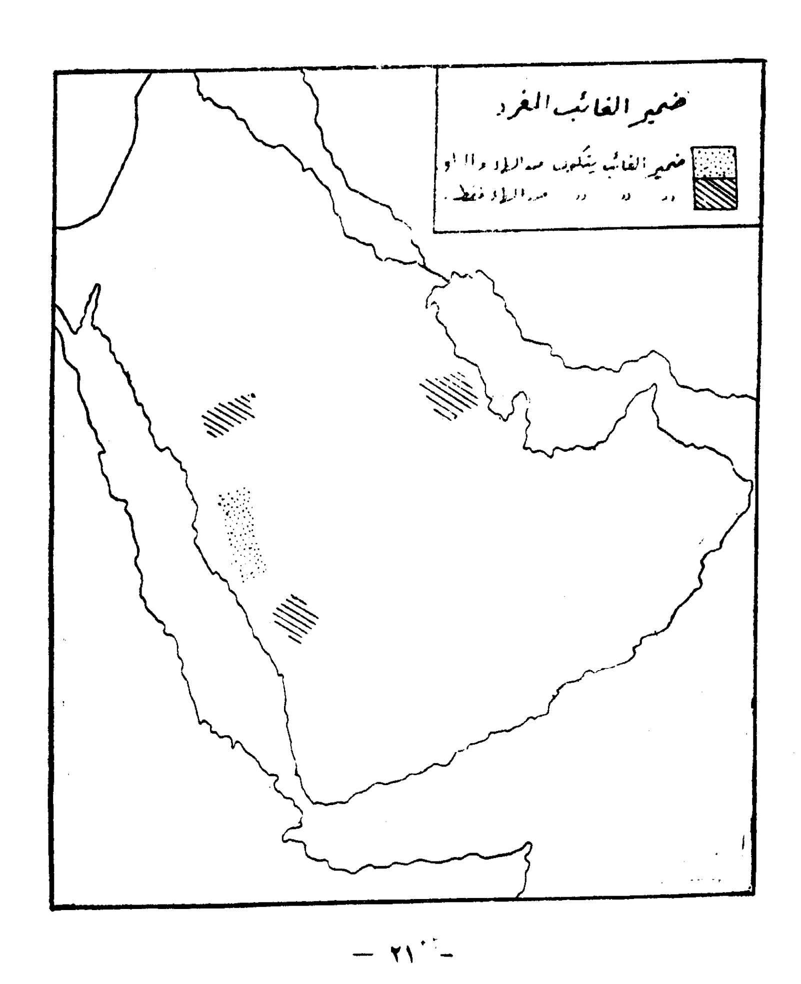
— ١٦ —

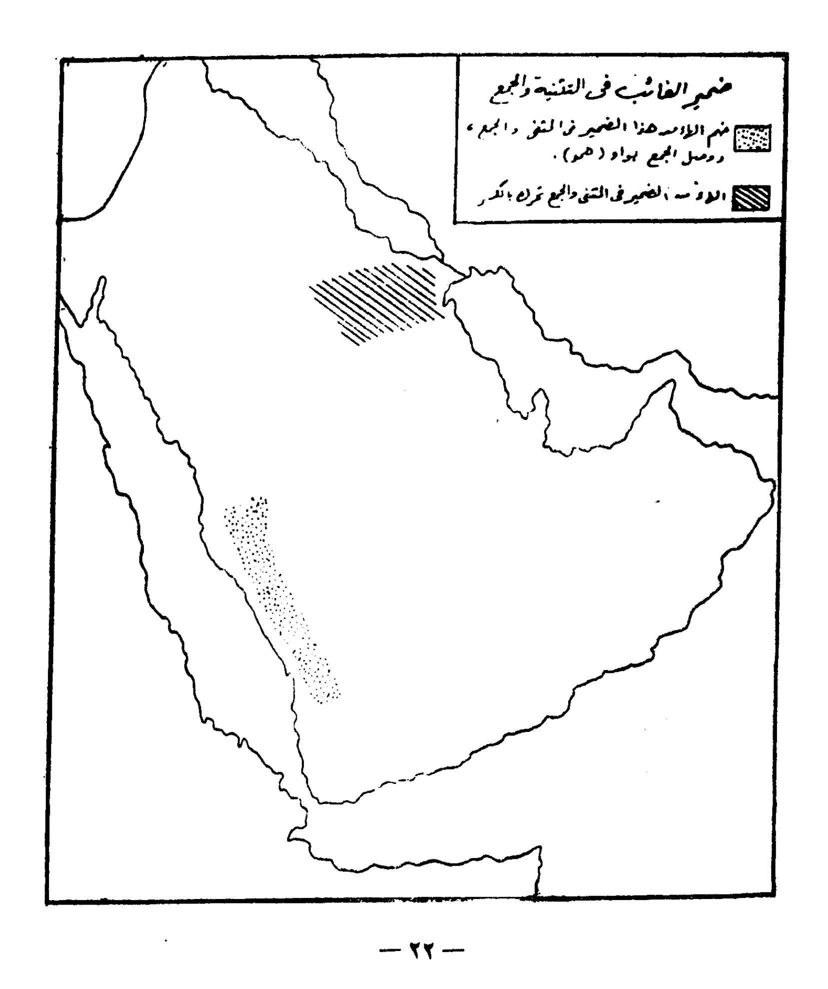

التأثر بالمخالفة
قبائل تميل إلى التأثر بالمخالفة .

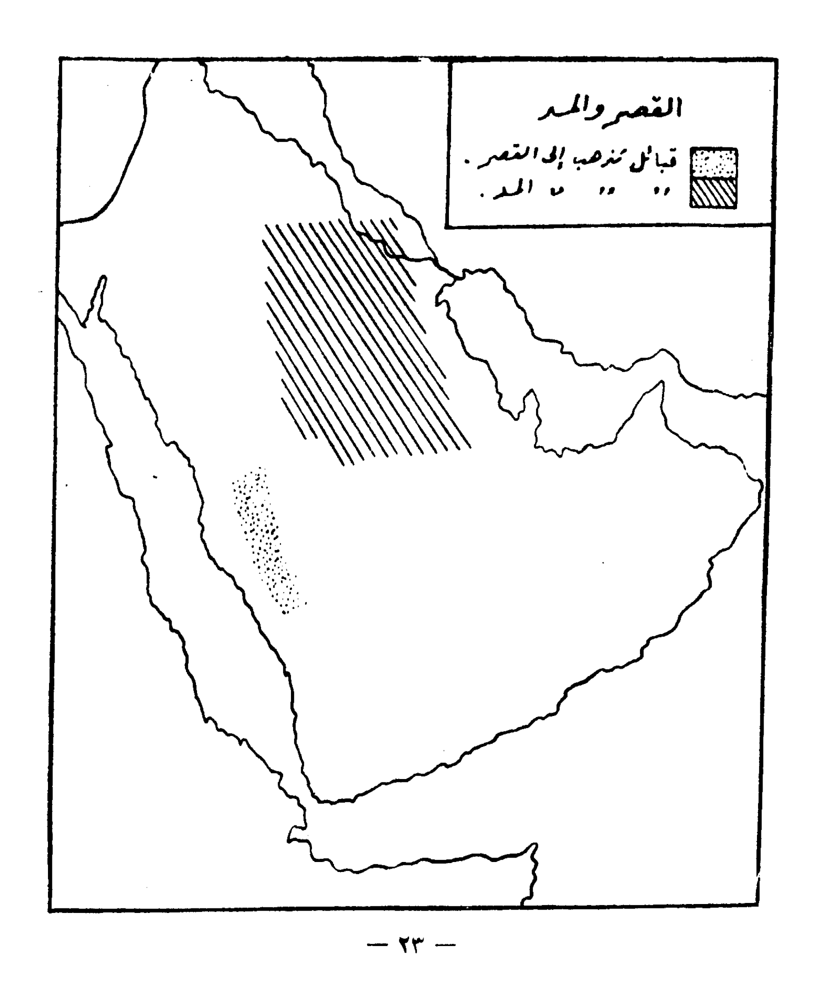

الإتباع
قبائل تميل إلى التأثر بالإتباع

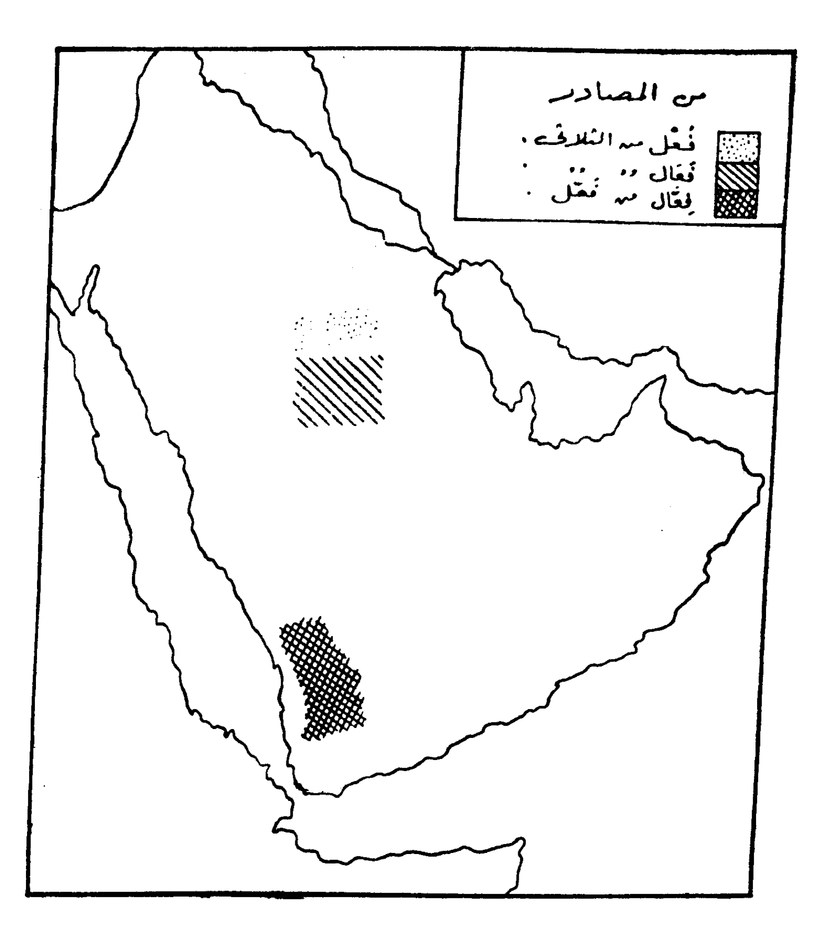

التأثر بالحذف
قبائل تميل إلى حذف إحدى الحركات عند توالها
" " " توالي الحركات دون الحذف .

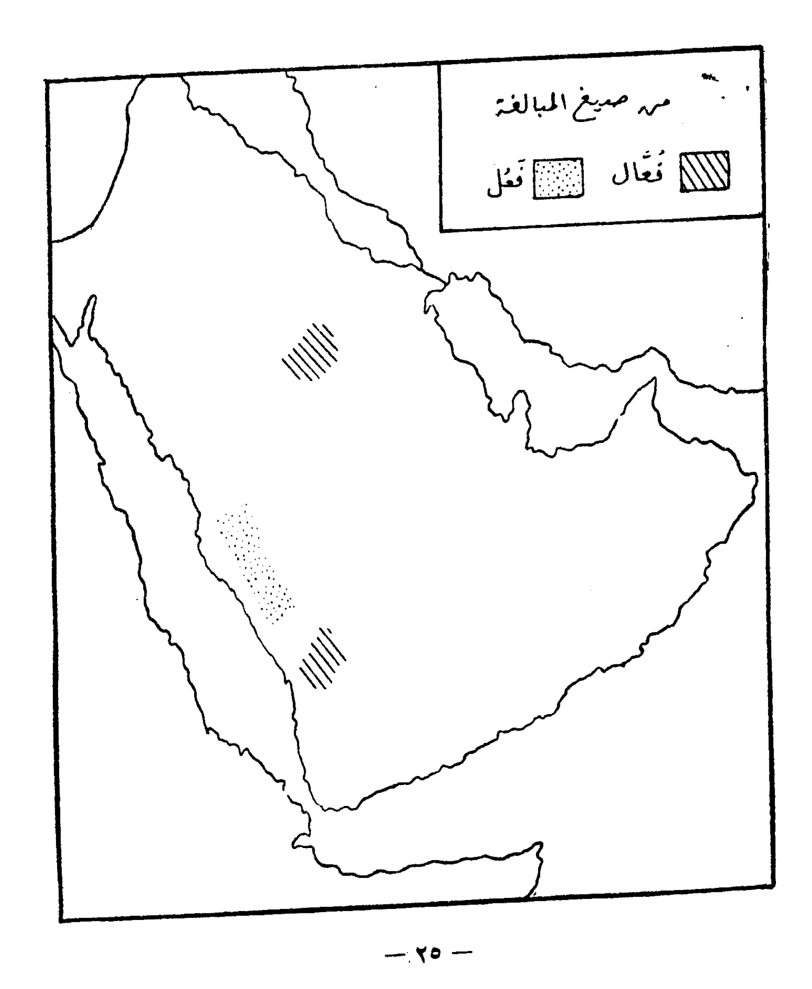

ضمير المتكلم
قبائل تثبت الألف في (أنا) وقفا ووصلا
" " " " (أنا) " وتحذفها وصلا
" تحرك ضمير المتكلم إذا كان مضافا إليه بالكسرة
" تدغم ألف المقصور في ياء المتكلم


ضمير الغائب المفرد
ضمير الغائب يتكون من الهاء والواو
،، ،، ،، من الهاء فقط .

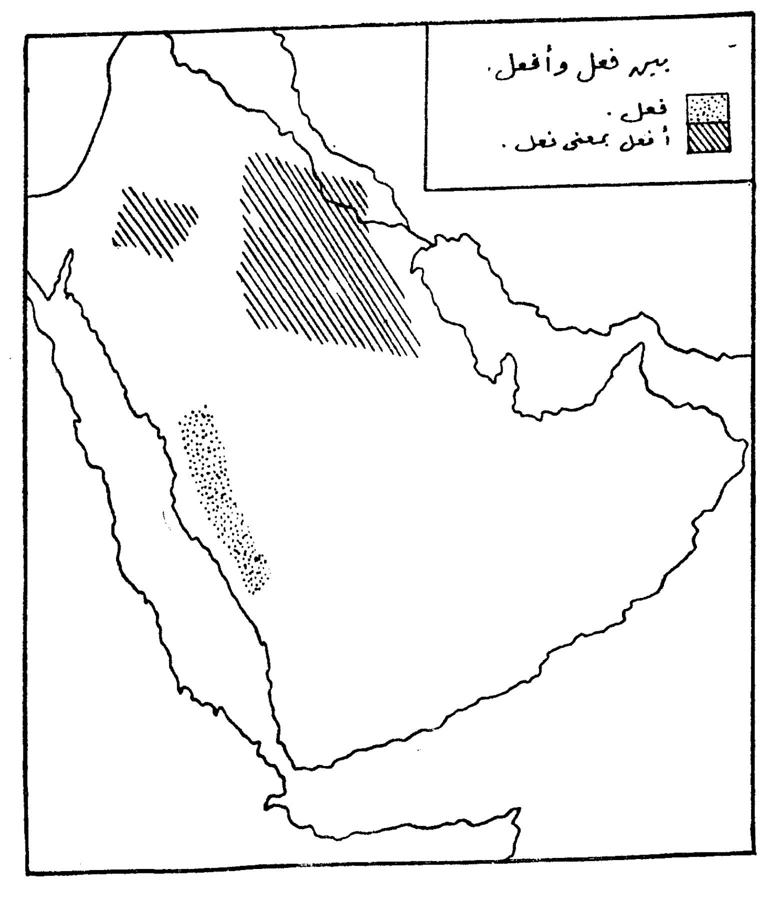

ضمير الغائب في التثنية والجمع
ضم الأزد هذا الضمير في المثنى والجمع ،
ووصل الجمع بواو (همو) .
الأوس ، الضمير في المثنى والجمع تحرك بالكسر

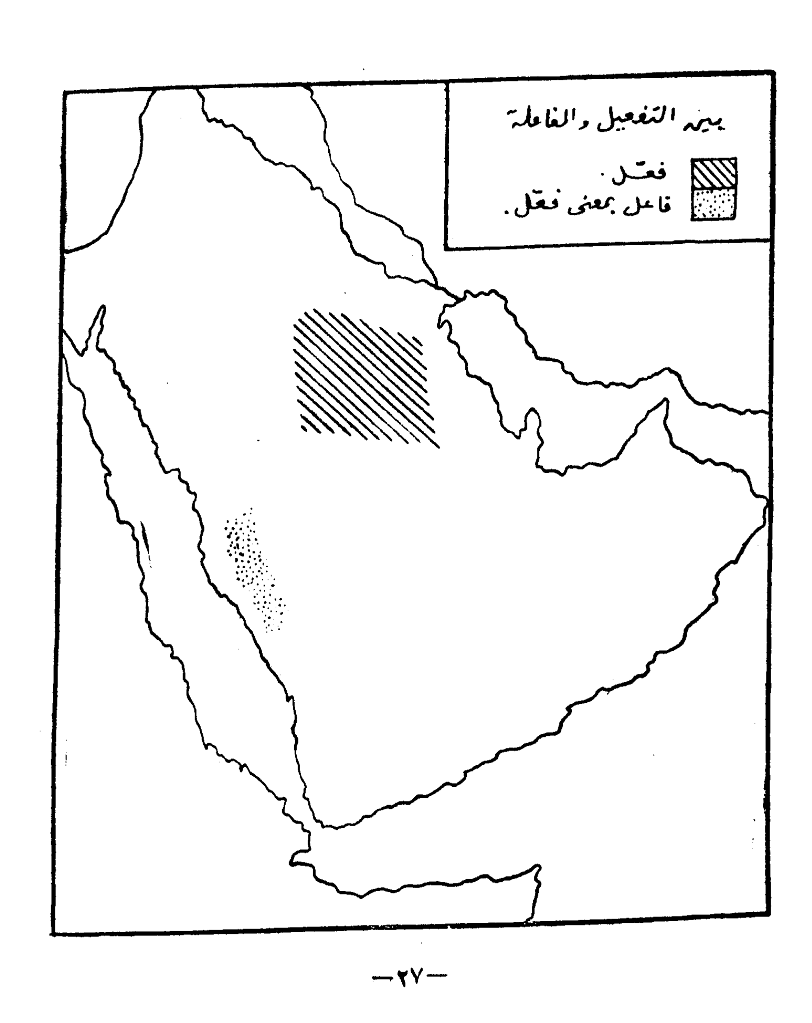

القصر والمد
قبائل تذهب إلى القصر .
" " " المد .


من المصادر
فُعْل من الثلاثي .
فَعَال " " .
فِعَّال من فَعَّل .

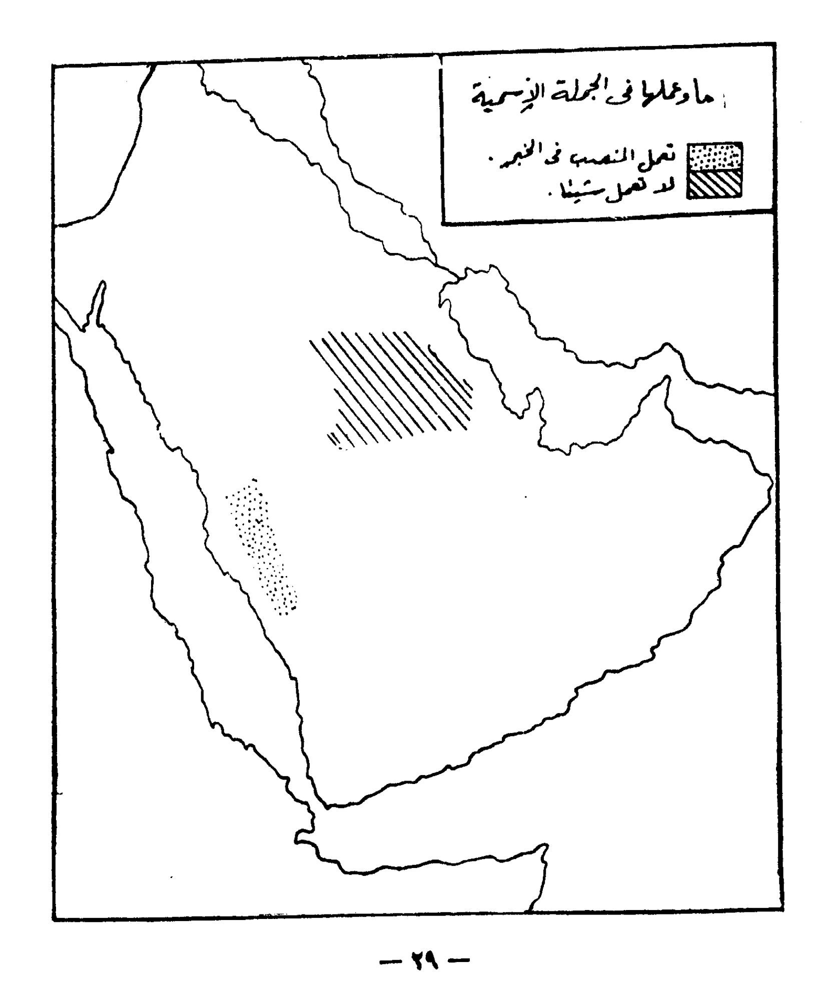


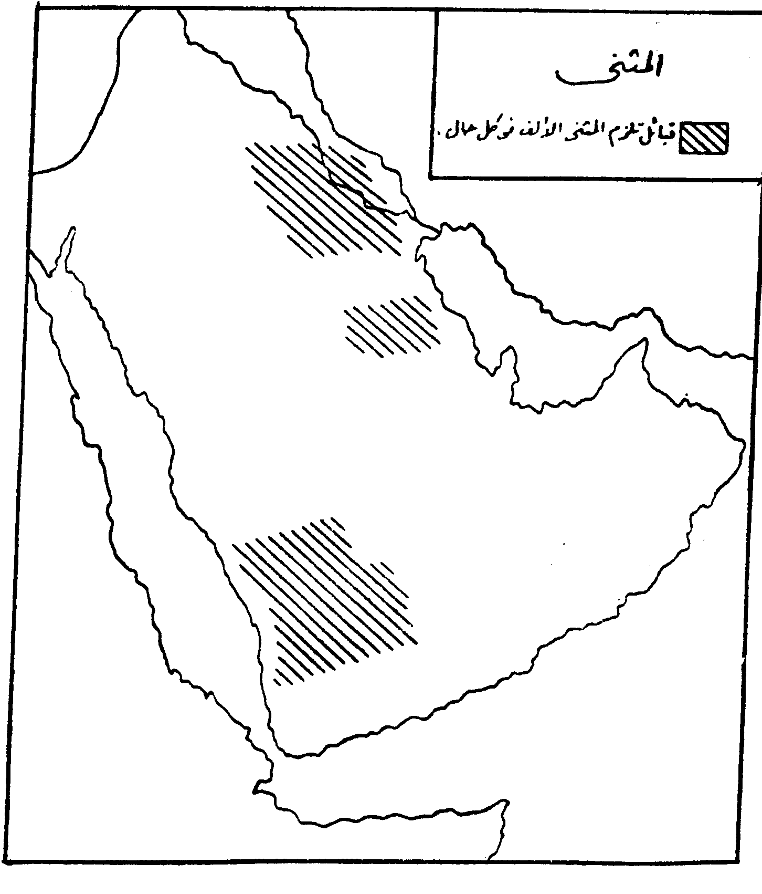
— ٢٥ —


بين فعل وأفعل.
فعل.
أفعل بمعنى فعل.

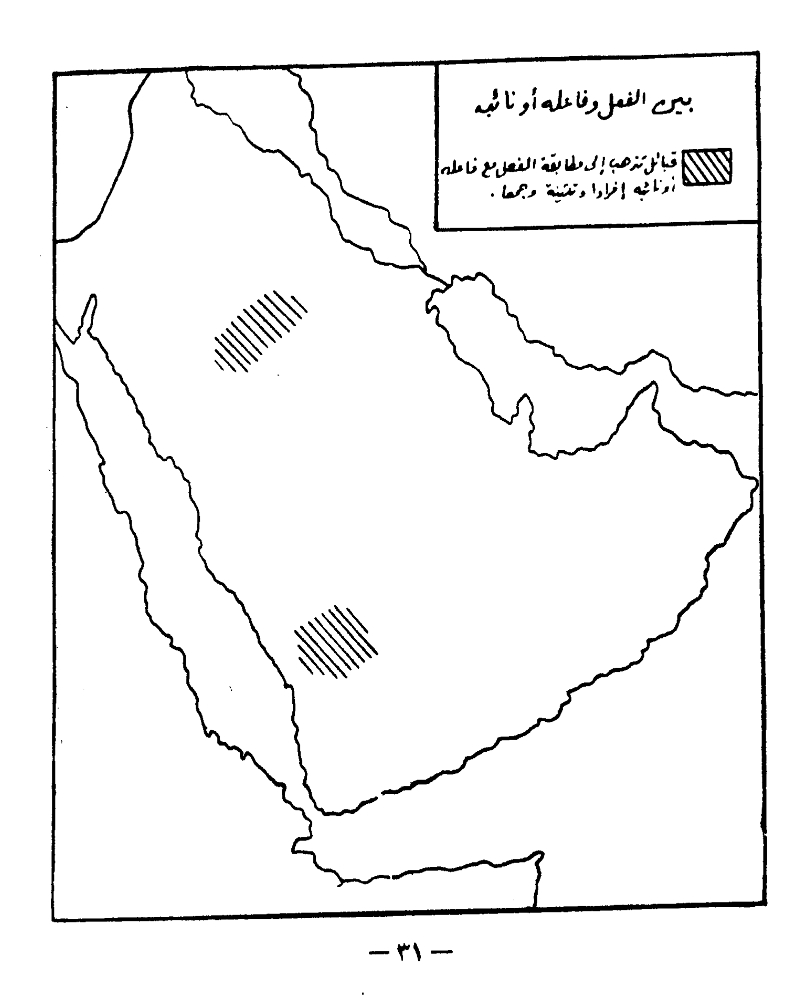

بيئة التفعيل والفاعلة
فعّل.
فاعل بمعنى فعّل.


من الخصائص اللغوية :
بين التذكير والتأنيث
قبائل تذهب إلى التأنيث .
،، ،، ،، التذكير .


ما وعملها فى الجملة الإسمية
تعمل النصب فى الخبر .
لا تعمل شيئا .



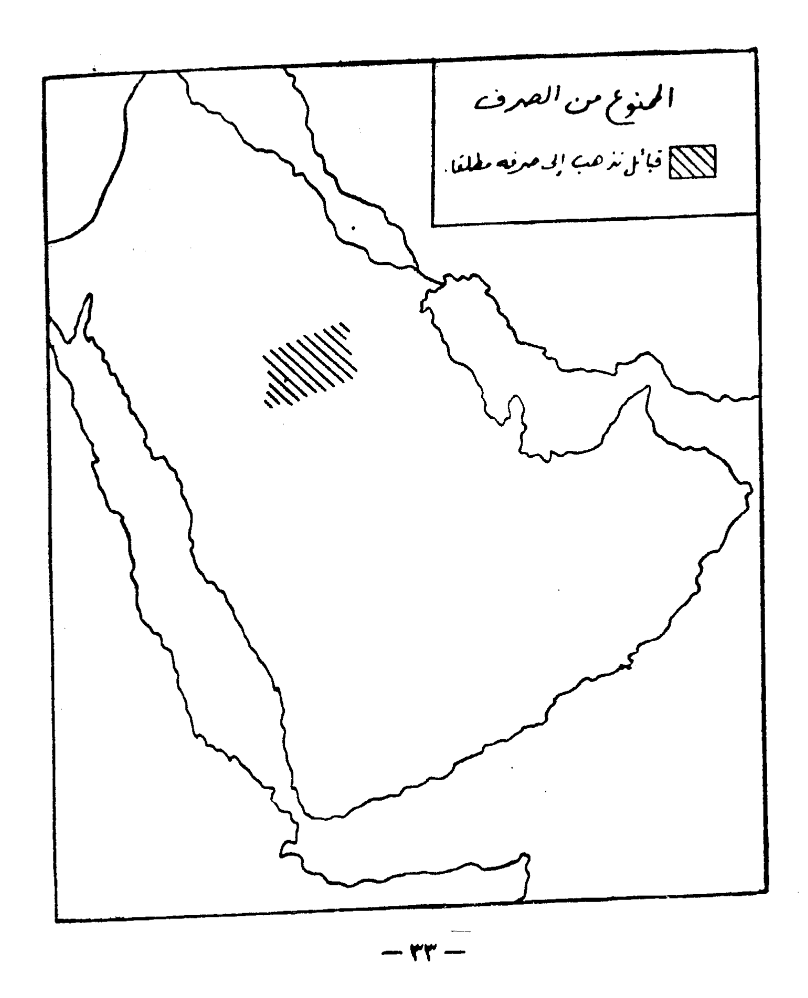
— ٣٠ —


بين الفعل وفاعله أو نائبه
قبائل تذهب إلى مطابقة الفعل مع فاعله أو نائبه إفرادا وتثنية وجمعا .

— ٣١ —


الإستثناء المنقطع
قبائل تنصب ما بعد إلا .
„ تتبع ما بعد إلا لما قبلها .

— ٣٢ —



— ٣٣ —

المصـــادر

أولا — المصادر المخطوطة :

١ — ابن جنى : المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنهـا . نسخة مصورة بمكتبة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية رقم ٤٤٤ م عن مخطوطة دار الكتب ٧٨ قراءات .

٢ — ابن خالويه : الحجة فى قراءات الأئمـة السبعة . مخطوطة بدار الكتب برقم ١٩٥٢٣ .

٣ — السيرافى : شرح كتاب سيبويه . مخطوطة بدار الكتب برقم ١٣٦ نحو.

٤ — أبو عبيد القاسم بن سلام : الغريب المصنف . مخطوطة بدار الكتب ١٢١ لغـة .

٥ — أبو على الفـارسى : الحجة فى القراءات السبع . مخطوطة بمكتبة بلدية الإسكندرية برقم ٣٥٧٠ ج .

٦ — القلقشندى : قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان. نسخة مصورة بدار الكتب برقم ١١٥٥٠ — ح .

٧ — الكرمانى : شواذ القراءة واختلاف المصاحف . مخطوطة بمكتبة الأزهر برقم ٢٤٤ قراءات .

٨ — مكى بن أبى طالب : الإبانة عن معانى القراءات . مخطوطة بدار الكتب برقم ١٩٦٦٤ ب .

٩ — نشوان بن سعيد : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم . مخطوطة بمكتبة المسجد الأحمدى بطنطا برقم خ ١٩ ع ١٩٧٨ .

ثانيا – المصادر المطبوعة :

١٠ — إبراهيم أنيس (دكتور) : الأصوات اللغوية (القاهرة ١٩٥٠م)

١١ — « « : دلالة الألفاظ (القاهرة ١٩٥٨ م) .

١٢ — « « : اللهجات العربية (ط الرسالة)

١٣ — « « : مستقبل اللغة المشتركة (الجامعة العربية ١٩٦٠ م) .

١٤ — ابن الأثير : أسد الغابة فى معرفة الصحابة (القاهرة ١٢٨٦ هـ)

١٥ — الإستراباذى : شرح الشافية . (١٩٣٩ م) .

١٦ — « : شرح الكافية . (استامبول ١٣٠٥ هـ) .

١٧ — إسماعيل بن عمرو المقرىء : كتاب اللغات فى القرآن . تحقيق صلاح الدين المنجد ط الرسالة ١٩٤٦ م) .

١٨ — الإصطخرى : مسالك الممالك (ليدن ١٩٢٧ م) .

١٩ — الألوسى : الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر . (القاهرة ١٣٤١ هـ)

٢٠ — أمين الخولى : مشكلاتنا حياتنا اللغوية (الجامعة العربية ١٩٥٨ م) .

٢١ — ابن الأنبارى : الأضداد فى اللغة (القاهرة ١٣٢٥ هـ) .

٢٢ — البكرى : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع . (١٨٧٦ هـ)

٢٣ — البنا الدمياطى : إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر (القسطنطينية ١٢٨٥ هـ) .

٢٤ — ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء . (نشر برجستراسر ط السعادة١٩٣٢ .)

٢٥ — ابن الجزرى : منجد المقرئين (القدس ١٩٥٠ هـ .)

٢٦ — ابن الجزرى : النشر فى القراءات العشر . (ط التجارية) .

٢٧ — ابن جنى : الخصائص تحقيق الأستاذ على محمد النجار ط دار الكتب

٢٨ — ابن جنى : سر صناعة الأعراب . (الحلبى ١٩٥٤ م) .

٢٩ — جولد تسيهر : المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن (ترجمة على حسن عبد القادر مطبعة العلوم بالقاهرة ١٩٤٤ م .)

٣٠ — ابن حجر : فتح البارى بشرح صحيح البخارى . ط البهية .

٣١ — ابن حزم : جمهرة أنساب العرب . المعارف ١٩٤٨ م .

٣٢ — حسن عون (الدكتور) : اللغة والنحو . الإسكندرية ١٩٥٢ م .

٣٣ — ابن حوقل : صورة الأرض . (ليدن ١٩٣٨ م) .

٣٤ — أبو حيان : البحر المحيط . ط السعادة ١٣٢٨ هـ .

٣٥ — ابن خالويه : القراءات الشاذة . تحقيق برجستراسر . الرحمانية ١٩٣٤ م .

٣٦ — الدانى : المقنع فى رسم مصاحف الأمصار . ط دمشق .

٣٧ — الرافعى : تاريخ آداب العرب . القاهرة ١٩١١ م .

٣٨ — الرمانى : الألفاظ المترادفة . القاهرة الطبعة الثانية .

٣٩ — الزركشى : البرهان فى علوم القرآن . ط الحلبى ١٩٥٧ م .

٤٠ — أبو زيد : كتاب النوادر فى اللغة . بيروت ١٨٩٤ م .

٤١ — السجستانى : المصاحف الرحمانية ١٩٣٦ م .

٤٢ — ابن سعد : الطبقات الكبير . ليدن ١٣٢٢ هـ

٤٣ — سعيد الأفغانى : أسواق العرب فى الجاهلية والإسلام . دمشق ١٩٣٧م.

٤٤ — السكرى : شرح أشعار الهذليين ١ ط العروبة .

٤٥ — سيبويه : الكتاب . ط بولاق .

٤٦ — ابن سيده : المخصص . بولاق ١٣١٩ هـ

٤٧ — السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن . حجازى ١٣٦٨ هـ .

٤٨ — « : بغية الوعاة فى طبقات اللغويين النحاة . القاهرة ١٣٢٦ هـ

٤٩ — « : الاقتراح فى علم أصول النحو . حيدر آباد ١٣١٠ هـ .

٥٠ — « : المزهر فى علوم اللغة . القاهرة ١٣٢٥ هـ

٥١ — « : همع الهوامع شرح جمع الجوامع فى علم العربية . القاهرة ١٣٢٧ .

٥٢ — الشنقيطى : الدرر اللوامع على همع الهوامع . الخانجى ١٩١٠ م .

٥٣ — شوقى ضيف (دكتور) : تاريخ الأدب العربى — العصر الجاهلى —

٥٤ — الطبرى : جامع البيان عن تأويل القرآن . دار المعارف.

٥٥ — طه حسين (دكتور) : فى الأدب الجاهلى . المعارف ١٩٥٢ م .

٥٦ — أبو عبيد القاسم بن سلام : رسالة فى ماورد فى القرآن الكريم من لغات القبائل على هامش تفسير الجلالين . الحلبى ١٣٤٢ هـ .

٥٧ — ابن الفقيه : مختصر البلدان . ليدن ١٨٨٥ م .

٥٨ — فاندريس : اللغة . ترجمة الدواخلى والقصاص . ط البيان العربى القاهرة . ١٩٥٠ .

٥٩ — ابن فارس : الصاحبى . القاهرة ١٩١٠ م .

٦٠ — القلقشندى : نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب . ط بغداد

٦١ — ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن . الحلبى ١٩٥٤ م

٦٢ — المـــبرد : نسب عدنان وقحطان . القاهرة ١٩٣٦م

٦٣ — محمود السعران (دكتور) : علم اللغة . دار المعارف ١٩٦٢ م

٦٤ — المسعودى : التنبيه والإشراف . ليدن ١٨٩٢م

٦٥ — « : مروج الذهب . القاهرة ١٢٨٣ هـ

٦٦ — المقدسى : أحسن التقاسيم لمعرفة الأقاليم ليدن ١٩٠٦ م

٦٧ — الميدانى : مجمع الأمثال . القاهرة ١٣١٠ هـ

٦٨ — نشوان بن سعيد : منتخبات من أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم . ليدن ١٩١٦ م

٦٩ — ابن النديم : الفهرست . ط الاستقامة

٧٠ — ابن هشام : السيرة النبوية . القاهرة ١٩٣٦

٧١ — ابن هشام الأنصارى المصرى : مغنى اللبيب . القاهرة ٣٥٦ هـ

٧٢ — الهمدانى : صفة جزيرة العرب . ليدن ١٣٨٤ هـ

٧٣ — اليعقوبى : البـــلدان . مع كتاب الأعلاق النفيسة لابن رســـته . ليـــدن ١٨١٩ م

٧٤ — ابن يعيش : شرح المفصل . (المنيرية)

٧٥ — ياقوت : معجم البلدان . السعادة ١٩٠٦ م

ثالثا : المصادر الأوربية

1. Bloomfield (Leonard) : Language, London, 1950.

2. Caroll (John B.) : The Study of Language, Harvard university press, 1955.

3. Musil (Alois) : Arabia Deserta, New York, 1927.

4. Rabin (Chaim) : Ancient West Arabia, London 1951.

5. Sapir (Edward) : Culture, Language and Personality; California 1960.

ملحق الفهارس

فهرس الأعلام

فهرس القبائل

فهرس الاماكن

فهرس الموضوعات